المجلس الأعلى للثقافة

قصة

بين أبوين

بقـ

جميلة ... لى

قصة

بين أبوين

بقلم

جميلة العلايلي

المجلس الأعلى للثقافة

بسم الله الرحمن الرحيم

مع الناس

سؤال طالما وجهته إلى كل زائر طاف بوادينا ، أيهما أحب إليك ؟ الإقامة فى الخلاء حتى ولو كان قفراً كالصحراء ؟ أم تؤثر ضجيج المدينة رغم ما فيها مما يثير السخط والعناء؟ فيجيب البعض بأنه يؤثر الطبيعة لينعم بالهدوء الشامل ليستعين به على التأمل فى مآثر عظمة الخالق التى تنطبع على كل مشهد من مشاهد الطبيعة حتى ولو كانت بكراً لم تلعب بأرضها أيدى العاملين لتحولها إلى ميدان إنتاج للمكافحين أو مسارح لتسلية اللاهين . . يكفى أن تكون مرآة تعكس قدرة الخالق على خلق كل شئ من العدم . . ومن التأمل تستمد الروح زادها .

والبعض يضيق بالسكون ويفسره بالركود ولا تنتعش نفسه إلا بانتعاش الحركة فى المدينة مؤثراً صخبها وضجيجها كأن ذهنه لا يتقد إلا بوهج حرارة أنفاس الناس المتزاحمة والبعض يوزع وقته بين السكون والحركة متخذاً من الهدوء قوة يستعيد بها ما افتقده من نشاط وقوة ليستأنف عمله بنشاط أوفر وفكر أغزر وأمل أكثر .

وبرغم هذا التناقض فى المشاعر والأفكار . . يخضع الجميع راضين أو كارهين لقوة خفية غير مدركة تدفعهم للكفاح أو تقعد بهم دونه مستسلمين للركود والملل لضعف إيمانهم وتفسيرهم عقيدة التوكل تفسيراً خاطئاً لا ينتمى إلى الحقيقة بصلة فعمل بلا توكل على الله لا يجدى وتوكل مع عمل لإثبات قدرة الخالق التى استودعها المخلوق سمة من سمات المو ت ...

والإنسان الجديد بانسانيته وإثبات طاقة إيمانه التي تكفل به الخير لنفسه وللآخرين يتحتم أن يعمل وفق ناموس الحركة والسكون وبذلك يجمع بين الكفاح فى حركته والتأمل فى سكونه ليعبر الحاجز الذى يحجز عنه النور الإلهى فيرتفع بنفسه فوق الأوهام والأباطيل محطماً أصفاد التشاؤم والركود والملل مستعيناً بأمل الإيمان بأنه قادر على تحقيق كل شئ مادام يقطع طريقه وفق مرضاة الله وعلى نوره .

جــولة

بعد إلحاح نفسي زارتني أختي — من أبي — وهي تقيم في الإسكندرية .. وكلما جاءت القاهرة لزيارتنا عند أخي الذي يقيم وسط ضجيج القاهرة قرب ميدان التحرير وتأبى أن تزورني في عين شمس لأنها تراها كالريف وليس بها مباهج ومعالم الإسكندرية أو مصر وكنت أذهب عند أخي .. ولكن في هذه المرة أقسمت أن تجيئني وإلا أحجمت عن زيارتها في الإسكندرية .

ولم يكن يستقر بها المقام عندي حتى دعتني صديقة لحضور عيدميلاد إبنتها في بيتها بالهرم ولما كانت جاملتني في عيد ميلاد ولدي فكان لزاماً على أن أرد جميلها وأقوم بالواجب واستطعت أن أغرى أختى لكي ترافقني بدعوى أن صديقتي مولعة بالمحافل وسوف يكون عيد ميلاد إبنتها حافلا بالموسيقى والغناء والرقص . . .

ووصلنا الهرم قبيل الغروب وقد بدأت الشمس تتأهب للاحتجاب وراء المجهول وقد بدت كعروس أسبلت خماراً رقيقاً على وجهها لتزيده فتنة وجمالا ولتغرى الرائى على اشتهاء قبلة من ثغرها فإذا استغرق في تأملها تحول إحساسه إلى تمجيد وتسبيح للخالق الأعظم الذى أحاط الجمال القدسي بشعاع يدنيه من القلب فيزداد إيمانه بالله ويقصيه عن المشاعر المبتذلة .. وسجد قلبي بين جنبي لله تعالى وأنا أتابع الشمس وهي تجر ذيل ثوبها الأرجوانى بعد أن طبعت على جبين الأفق قبلة الوداع لتوقظ في الإنسان مشاعر الذكريات فاذا بالنفس تستطيب مرارة الألم مترقبة سطوع الامل .. وبدأ الضيق يرتسم على ملامح أختى لجو الخلاء رغم روعة الجو الشاعرى الذى يحبو المار بالدفء والحنان مستشعراً بحيوية خلابة ولكى اكتسح الضجر الذى بدأ يتسلل إلى نفس أختي قلت :: ألا تشعرين بحس رقيق حانى يتسلل إلى نفسك كأنه مخدر عجيب فيه سحر يدنينا إلى الاستمتاع بأروع ما أبدعته القدرة الإلهية

التي تتجلى عظمتها فى الشروق آناً والغروب أحياناً وبدل أن تبادلنى هذا الإحساس قالت . . إلى متى تألفين الصحراء والعزلة أخرجى إلى الحياة والناس ففى الأضواء ما هو أجمل وأمتع . . أن حياتك فى عين شمس تبعث الأسى والضيق . . واليوم بدل أن تخرجى إلى القاهرة تجيئى فى إلى صحراء أخرى . . ما ذنبى أنا . . لن أكتب ولن أرسم . . ولم يكن رأيها جديداً على . فهى تضيق حقاً بالهدوء والخلاء وتوشك أنفاسها أن تختنق إذا قضت فى بيتى يوماً كاملا رغم أن حديقة البيت تغرى على البقاء فيها أبداً وحاولت جهدى أن أروضها على ممارسة الحياة بلا ضوضاء أو مغريات المدينة لأثبت لها أن حيوية الإنسان تنبثق من نفسه لا من البيئة التى يعيش فيها راضياً أو كارهاً وفى مقدوره أن يكيف حياته وفق رغباته وميوله . . ولكن عبثاً لاعتقادها أن السكون يثير شعور الخوف من الموت والحياة عندها يجب أن تنبض بالحركة على أى صورة . . وعبثاً حاولت ونحن نمضى فى الطريق أن أجذب مشاعرها التائهة فيما لا أعلم نحو جمال الشارع الذى تحتضنه الأشجار وتحميه هاماتها الكثيفة من وهج الشمس نهاراً وندى الصقيع ليلا واضطررت أن أتابع جلال الطبيعة وروعتها لأزود روحى بغذاء لا أجد بديلا له فى المدينة الصاخبة وتركتها تثرثر مستحملة من هدوء الطريق وصمتى الذى بدا لها كئيباً غير آبهة بما تعكسه الطبيعة علينا من إنطباعات خلابة ودفعتنى إلى الماضى فى طريقى كأننى أسير لغير غاية وطاب لى أن أتوغل فى الطرق المتشعبة لأرى ماذا فعلت الأيدى العاملة بالأرض الجرداء التى حولتها إلى فردوس أرضى يباهى بقدرة صانع الحياة من العدم إلى البقاء . . وأصبح الهرم بحضارته القديمة وحركته الجديدة صورة رائعة لقدرة الإنسان وسرح خيالى فتصورت أن قدماء المصريين عادوا إلى الحياة إذا صح وآمنا بتناسخ الأرواح وأن هذا العمران البادى تجديد لعمرانهم السالف .

وطال بنا المسير حتى توقفت أختى تلومنى فى غيظ متلفتة حوالها علها تجد سيارة لتعود بنا ولم تدر أننى خدعتها لأن منزل صديقتى بجوار المحطة.

التي دلفنا إليها فى أول الطريق وردت الطرف فى حنق وسخط واضح مشيرة فى خوف إلى عجوز بدا على مقربة منا ولسروحى بعيداً لم أتبينه وقالت بصوت ينم عن هلعها ، أظن هذا من قطاع الطريق وفى سرعة أخفت سوارها الذهبي بطرف (كمها) ونزعت خاتمها وساعتها ووضعتهما فى حقيبتها متأبطة إياها فى حذر وضحكت لأرفه عنها قائلة . . إنه شيخ من الزاهدين . وكنا اقتربنا منه فأردفت أنظرى إلى لحيته ووجهه ، لا أظن الشر يسكن فى هذا الإنسان الذى ترتسم آيات الإيمان على محياه واتجهت نحوه فى اطمئنان قائلة . . إنى عطشى وألقيت عليه التحية فرد السلام وقد شاع السرور على وجهه كأنه كان مترقباً مقدم عزيز عليه وقدم إلى إناء من الفخار به ماء وهو يقول إنه نظيف يا بنتى وشربت وأبت أختى أن تشرب نافرة وأخذت مجلسى بجانبه غير عابئة بنظراتها التى تحذرنى وتوشك أن تقول . . هيا نسرع من هنا وكان معى لفافة بها بعض الحلوى كنت أحضرتها لأقدمها إلى أولاد الصديقة وكان الوقت أزف فعدلت عن الزيارة مؤثرة هذه الرياضة على وراءها اكتشافاً ذهنياً وقدمت لأختى من الحلوى ما يروقها وقدمت ما تبقى للعجوز وأنا أشاركه تناول قطعة وراح يلتهمها داعياً لى بالبركة ولما انتهى من تناول الحلوى استطعت فى لباقة أن أهيب به إلى مكالمتنا لأهدئ من روع أختى ولأحظى بما لا أعلم وبعد أن ابتلع لهاثه وسرح ببصره طويلا كأنه يستلهم الماضى من عبر السنين الطوال قال : هنا يا ابنتى موسوعة تاريخ الحياة التى أخرجت أعظم رجال الفكر والفلسفة والفن والدين والعلم والفلك والأدب والطب . . وأشهد الله أننى عجبت لمنطق الرجل وقدرة ذاكرته ويقينا أنه أدرك مدى عجبى عندما نظرت إلى أختى نظرات تنم عما بخاطرى فاختطف فكرى ببسمة عريضة بدا بها كطفل لم تكتمل أسنانه وقد شاع على وجهه انطلاقة الروح الصافى واستطرد . ليتنى تعلمت يا ابنتى لو علمونى لكنت اليوم أعظم عالم ولكان بيتى كعبة الزوار وإن كنت اكتسبت من الرجل الذى قمت على خدمته خبرة ومعرفة تفوق ما يكتسبه أبناء اليوم من الجامعات . . . . . لقد كان السيد أجنبياً مولعاً بالبحث ودراسة آثار

القدماء وقد اتخذ مني الأخ والصديق والتلميذ لا الخادم كما كان مفروضاً أن أكون وغامت عيني العجوز بالدموع وانتفض انتفاضة الأسى المروع وهو يتمتم ليس الدين وحده يا ابنتي هو الذي يصل بين القلوب ويربط بين الأرواح . . هناك ما هو أقوى من الدين وخيل لأختي أن العجوز بدأ يهذي فقاطعته ، ما دينك ؟ فنظر إليها العجوز متفرساً ثم استطرد دون أن يجيب على سؤالها كأنه تكهن بما دار في خلدها وبصوت عميق اهتزت له مشاعري قال : الإيمان بالله ورسله يا ابنتي هو الذي يصل بين الإنسان والإنسان وليكن دين كل منهما أي دين وليكن جنس كل منهما أي جنس وهنا مرت بنا سيارة فاستوقفتها أختي وهي تقول . . سأذهب إلى أختي فهيا معي ونظرت إليها بمعنى . . انتظري بعض الوقت وركبت هي السيارة في عجلة فدنوت منها هامسة . . أرجوك . . أن وراء هذا الرجل قصة فتريثي ريثما نسجقها فتأففت قائلة في ضجر مالي وأنا والأدب والقصص والشعر . . ماذا جنيت أنت من هذا كله . . . غير ما تعانيه من آلام وهموم وخصوصاً بعد موت زوجك .. وأمرت السائق بالسير لكنه تلكأ على أذهب بينما هي . . إنك مغامرة في قدرتك حماية نفسك وسألني العجوز . . أتراها زوج شقيقك قلت : بل أختي . . قال ولكنها تخالفك في كل شيء . . . قلت . . إن والدتها تركية وهي أختي من أبي وقد نشأت حبيسة بيتها بعد وفاة الوالد تحت سلطة والدتها التي حجبتها ولم تسمح لها بإتمام دراستها لاعتقادها أن جمالها يعرضها مع الاختلاط إلى ما لا تحمد عقباه ، . وزوجتها قبل أن تبلغ السادسة عشرة من عمرها من رجل ثري فدللها لفرط جمالها وبذلك نما غرورها ولم تعد تهتم إلا بمظهرها لتكون ملكة جمال كما يعتقد الناس . . ولم تنجب من زوجها فتزوج خلسة تحت ضغط أسرته حرصاً على إنجاب وريث لثروته . ولما علمت تركته وهددت بالانتحار إذا استبقاها على ذمته فاضطر شقيقها أخي الكبير وكان ذا هيبة وسلطان أن يؤثر عليه بلباقة دبلوماسية أن يطلقها على أمل أن يساعده ويعيدها إلى عصمته بعد حين . . وبذلك عاشت تكره الرجل لأن زوجها الذي كان يعبدها خانها وعاشت مرفهة منعمة تحظى بكل ما تصبو

إليه المرأة ولم تتهيأ منذ الطفولة للتعلق بأى هواية فنية أو أدبية تشغل بها فراغها فالفراغ عندها موزع بين السينما والمسرح فى المساء والأندية فى الصباح وتركتنى أختى وهى تشير بيدها (باى باى) وأنا أغمغم بصوت حزين مع السلامة وهى تردد كلمات تبلغ مسمعى غير كلمة واحدة . . الفنون جنون . . وظل نظرى عالقاً بسيارتها حتى أخرجنى من صمتى قائلا . . ليس كل الناس يبحثون عن الراحة بين صخب الجامع وأناس يبحثون عن المتاعب بين معالم الراحة وكلا الفريقين لا يدرى مبعث ما يريد . أختك هذه تبحث عما يبدد أساها تحت أضواء تجذب نظرها عساها تجد ما يروقها ولكنها مع الأسف تبحث عما يكمل منقوصها دون أن تستشعر بالبصمات التى ترتسم على محياها . . وأنت تبحثين عن كل شئ فى حين أنك لا تطمعين فى شئ وهذا البحث يفور بك فى أعمق أعماق الحياة وقد تشعرين بالتعب ولكنك لا تتوقفين لأن إحساسك يدفعك إلى تلمس المجهول الذى ينبعث شعاعه من النور العلوى الذى يدنيك من حيث لا تدرى إلى الله . . ويبدو أنك بلغت هذه المرتبة ولذلك تهون معاناتك ويحلو لك جهدك إذ فى سبيل الله تتكسر صخور المتاعب بقوة الإيمان وقد يطول بحثك يا ابنتى كما طال بحث الأولين ولن تجدى ما يعوضك خيراً عما فقدته طوال هذه السنين غير ذلك الإحساس الذي يغمرك بالرضا والطمأنية رغم ما تعانيه لأن الله يمدك بقوة الاحتمال وإيمانك بأن الله يجعل من العدم وجوداً ومن الألم أملا ومن الحرمان متعة ومن المشقة سعادة ومن البذل عطاء هو الذى يفتح أمامك مغاليق الحياة الآمنة وسكت العجوز ليتنفس الصعداء ثم أردف بصوت خفيق كأنه يناجى نفسه كم تمنيت أن أجد من يسمعنى بوعى وهأنذا وجدتك فحمداً لله ثم لزم الصمت ناظراً إلى الأفق البعيد فغمرنى إحساس عميق طار بى إلى آفاق نورانية فتحت أمامى أبراجاً تسمو بروعتها عن مفاتن الوجود ورحت أتلمس مواطن ما أتخيله وحقائق ما أتصوره على اهتدى إلى السر الذى أكسب صحراء الهرم ذلك السحر الخالد الذى يشد الإنسان ويدنيه من ملكوت الله فلا يلبث حتى

يستشعر بأنه ارتفع رويداً رويداً كأنه مادية البشر تحولت إلى شعاع علوى ربط بين روحه الكامنة فى كيانه البشرى وبين اليقين اللا مدرك الذى قربه من الله فيدرك أن هذا الفضاء هو الطريق إلى الله . ونظرت عبر الصحراء وقد لزم كل منا الصمت هو يفكر فيما لا أدريه وأنا أتأمل حسب قدرتى الحسية وطاقتى الخيالية ورمقنى العجوز خلسة ولعله راح يستقرئ بواطن انفعالاتى الخفية ولكى أحوله عنى قلت من يرى الرمال الصفراء — تلك — لا يظن أنه يمكن تحويلها إلى أرض خصبة خضراء فقال وهو ينظر إلى السماء . . . الله على كل شئ قدير ثم انتصب متحاملا على عصاه وهو يشير بعصاه صوب حديقة كبيرة تبدو من بعيد قائلا . . لو عاش باحث الآثار حتى اليوم — لما أثمرت هذه الصحراء كان مغرماً بالحفريات يؤثر زاد فكره عن زاد معدته فقد يحدث أن يأكل طيلة الـ ٢٤ ساعة وجبة واحدة وشرائح معدودة بينما لا ينقطع عن البحث أبداً لا يمل ولا يتعب وإذا رجوته أن يستريح بعد أن اغتسل وجهه بالعرق ابتسم وقال . هذا العرق ضريبة حتمية للحياة الكريمة كان يتحدث وهو يسير متوكئاً على عصاه فى طريقه إلى قصر عظيم تحوطه حديقة غناء وأنا أرافقه مسحورة به ثم توقفت أثر رجفة حسية ملكتنى وتلفت خلفى وحولى لأتبين أين أنا ! وكيف أعود لو شئت وبدا لى الفضاء شاسعاً والطريق ممتداً وقليل من الناس يسيرون عن قرب أو بعد ذهاباً وإياباً وانتابنى خوف داخلى فلحقت أسأله كيف أصل إلى الطريق العام . . فنظر إلى مشفقاً قائلا وهو يشير بعصاه . . سيرى صوب هذا الشجر الممتد ولو أن الجو يغرى على التأمل والبحث ما دمت من مريديه . . مع السلامة ياابنتى والله معك . . . لقد كان فى نيتى أن أصحبك إلى القصر عند أحد أبنائى لتتاول كوب من الشاى . . أما وأنت راغبة فى العودة فمع السلامة . . قلت . إن شاء الله أعود إليك قريباً فأنا جد مشوقة لمتابعة هذه الرحلة الشيقة وودعته شاكرة واخترقت الطريق الذى أشار إليه وبعد أن قطعت فيه شوطاً وجدتنى فى مفترق عدة طرق وصعب على تعرف أى طريق أسلك فقاومت

المخاوف التى تجسمها رهبة الوحدة وتلفت حولى أبحث عمن يرشدنى إلى الطريق المتجه للمحطة . . ولاح طيف امرأة تقترب منى فحركت الطمأنينة بين جنبى . ما ست أدرى أينا كان يتجه نحو الآخر فلما دنوت منها سألتها عن الطريق العام فقالت بلهجة بدوية حلوة مصحوبة بابتسامة ردت الطمأنينة إلى نفسى . . عودى إلى الطريق الذى جئت منه حتى المنعرج ثم اتجهى يميناً عند منحنى هذا الطريق وسيرى حتى تصلى إلى مزرعة هناك وعندها يبدأ الطريق العام ثم أشرق وجهها بابتسامة صريحة وهى تقول لولا ارتباطى بعملى فى هذا المنزل (وأشارت بيدها صوبه) لسرت معك حيث تريدين وتركتنى مسرعة لتعوض الوقت الذى توقفت خلاله وفهمت من تصرفها هذا مبلغ حرصها على تأدية عملها بأمانة عكس العاملات فى المدينة فان العاملة فى البيت تتعمد الخروج لقضاء حاجة لكى تقضى أكثر وقتها متسكعة فى الشارع وكثيراً ما عرضت الطفل الذى تصحبه للخطر بسبب استهتارها .

وسرت حيث أشارت حتى بلغت المزرعة التى فاح منها أرج الليمون والبرتقال والنارنج ونهى الشذى وشدنى إليها ولم أكد أقترب منها حتى لاح لى العجوز الذى تركته جالساً أمام بابها وكان جهد المسير هد قواى وأتعبنى فدنوت منه موقنة بأن الخوف لا يمنع المقدر والوقاية لا ترد أمراً قضى الله به وتقدمت منه لأحييه ولم يكد يرانى حتى ضحك ضحكة يدغو عنها صوته الأجش ورغم مافى جرسه من خشونة فقد بدا كطفل ضاحك وقال وهو يقوم من مجلسه متحملا على عصاه عن أذنك لحظة يا ابنتى ودخل الحديقة ثم عاد يحمل مقعداً خشبياً قدمه إلى ولم أتردد فى الجلوس لشدة حاجتى إلى الراحة وشغل عنى بعض الوقت بالتسبيح والاستغفار دون صوت حتى خيل إلى أنه يستخير مسبحته لأمر ما ثم اتجه إلى قائلا . : . ظننتك قطعت شوطاً فى الطريق لتعجلك ، قلت : كان ذلك فى نيتى : : ولكن الله أراد غير ما أردت . . فقد مضى الوقت وأنا تائهة فى الطريق فعاد يضحك بصوت منطلق وقال : هذه مشيئة الله ، من يدرى لعل وراء ذلك مصلحة لك وملكنى

شعور مبهم هز مشاعرى وأحسست أن هناك علاقة بين هذا العجوز والخير المرتقب فابتسمت قائلة أرجو ذلك ولكننى مضطرة للعودة حالا فقد بدأ وشاح الليل الشفيف يحجب بياض النهار فكيف أعود ولا أثر للسيارات هنا وهنا خرج من الداخل شيخ يحمل إليه الشاى . . فلما وقع نظره على قال لم تخبرنى أن معك ضيف وبدل أن يقدمه إليه قدمه إلى فاعتذرت شاكرة ولكنه بمعاونة العجوز صمم على تناولى إياه قائلا ساحضر إلى جدى الشاى حالا وتركنا بعد أن ناولنى إياه ثم عاد مسرعاً ليقدم الشاى لجده قائلا سأذهب إلى البلد لأشترى بعض اللوازم فقال العجوز ، احرص هذه السيدة ياولدى حتى تصل إلى الطريق العام وحاول أن تجد سيارة تقلها إلى المحطة آمنة أو إلى أى مكان تريد ... كن خادماً لها وهز الشيخ رأسه مردداً بكل سرور ونظر إلى فى أدب مشيراً بيده مردفاً بصوت خفيض ينم عن أدب أصيل . . تفضلى ياسيدتى . . وسرت بجانبه تنتابنى عدة انفعالات تتأرجح بين القلق والطمأنينة وامتلات رأسى بهواجس جمة لخلو الطريق من المارة والسكون الشامل الرهيب وتصورت لو انتزع مرافقى رقبتى من جسمى فلن يرانا أو يسمع استغاثتى أى أحد وعندما نظر الرجل إلى معصمى ارتعدت فرائصى فقد كان السوار الماسى الذى بيدى يغرى على قتلى لو تسلط عليه شيطانه وبإصبعى خاتماً ماسياً ثميناً وفى يدى الأخرى ساعة ذهبية محلاة بالماس وفى محفظتى مبلغ من المال لا يستهان به . . وخيل إلى أنه يكفى أن يأمرنى بتقديم كل ذلك إليه راضية وإلا . . . ويستطيع أن يتركنى بعد الاستيلاء عليها ولا يمكننى اللحاق به وعمدت إلى مقاومة مخاوفى بالتحدث إليه لأتبين دخيلة نفسه من نبرة صوته ونظراته فسألته . . . أظن الشيخ والدك ؟ قال جدى قلت كم بلغ من العمر ، قال مائة وأربعون عاماً أو يزيد قلت : يبدو أن الطبيعة هنا تساعد على طول العمر : قال : العمل وحده هو الذى يطيل العمر : ثم نظر إلى متفرساً فأحسست بالهلع يغمرنى وخيل إلى أنه يقدر الثروة التى ستؤول إليه وهل تستحق اقتراف الجريمة ولكى أرد نظرته عنى قلت وما صناعة جدك ؟ قال : كان والدى بستانيا لحديقة رجل أجنبى بجانب خدمته الخاصة ولما جند الرجل فى الحرب العالمية ترك المزرعة بما فيها من قصر

وحديقة تحت حراسة جدى وأوصى له بها إذا استشهد أثناء الحرب ولما استشهد أصبح من حق جدى أن يستولى على تركته بحكم الوصية ولم يظهر له أى وريث فى مصر أو خارجها ليطعن فى الوصية واستغل جدى المزرعة لينتفع بها وينفع المحتاجين ممن يعوزهم العمل فى سبيل العيش وفى خلال تلك الفترة اتجه الناس شطر هذه الصحراء كل يحاول أن يقتنى سكناً بعد أن ضاقت بهم القاهرة وممن لجأوا إلى هذه المنطقة رجل تعرف على جدى ليستعين به فى تحديد قطعة الأرض التى اختارها بجوارنا وقد بدأ شهماً طيباً ولم يلبث بعد أن استقر به المقام حتى توشجت بين جدى وبينه صلة وثيقة بحكم تعاليم الدين الذى يقضى بتوطيد العلاقة بين الجيران وكان من الطبيعى أن يفتح جدى صدره إليه ويفضى له بكل أسراره وكيف آل القصر والمزرعة إلينا ولم تمض بعض شهور حتى داهمنا رجال الشرطة تنفيذاً لأمر النيابة بدعوى أننا نقيم فى قصر الباشا الذى ورثه حفيده بعد وفاة والده ابن الباشا الذى كان غائباً فى الخارج ولم يتمكن من وضع يده على القصر والمزرعة فى التو وحاول جدى أن يدافع عن نفسه وصحة الملكية بحكم قانون الوصية ووضع اليد طوال السنين التى مضت ولم نجد بين أوراق الأجنبى ما يثبت أن القصر والمزرعة كانت للباشا الذى ذكر بل منحت له من حاكم مصر مكافأة على مجهوده الذى بذله فى العثور على بعض الآثار ووقف القانون بجانب الحفيد الذى يجيد أساليب النصب والاحتيال . . . وأخيراً بعد أن فشلت جميع المحاولات التى قام بها جدى ارتضى أن يعمل حارساً للقصر والحديقة دون مقابل مالى لقاء الإقامة فى الحجرة التى خصصت للخفير وكانت من قبل يستضيف فيها جدى مواشى الغرباء الذين يلجئون إليه إذا حان المساء فقاطعته لأهون عليه . . عوضكم الله خيراً فعلق قائلا . . فعلا لقد عوض الله أبى خيراً فقد رأى سلالة أحفاده وأنا منهم وكلنا بخير والحمد لله .... فقلت . . وهل تعملون جميعاً فى الزراعة . . قال : اختار كل واحد طريقه الذى هيأه الله له . . قلت ولكنك تعمل مزارعاً طبعاً فابتسم الرجل ثم قال : وكيف عرفت ؟

قلت : يبدو عليك : فقال أظن من جلبابى الفضفاض وعمامة رأسى قلت وأنا أنظر إلى وجهه الذى اكتسى بروعة الوقار ولحيته القصيرة التى تخفى شعيراتها البيضاء شعيرات سوداء لم تزل تثبت حيوية الشباب : نقاء الطبيعة يبدو عليك ؟ فنظر إلى بعينين باسمتين وهو يقول . . . إذن أنت الأخرى تعملى مزارعة فإشراق وجهك يثبت أنك من أبناء الطبيعة المقربين ثم ضحك بصوت طليق كأنه ابن العشرين وأردف أنا الآن أزاول زراعة مزرعة خاصة لى اشتريتها من هذه المزرعة بعد أن لجأ صاحبها المحتال إلى تقسيمها لبيعها كى يصرف الثمن على ملذاته ولقد كنت قبلا كبير مهندسى الزراعة فى إحدى الأقاليم فلما بلغت سن المعاش حولت نشاطى إلى العمل الشعبى فقاطعته وقد غمرتنى الدهشة مع أننى ظننت أنك مجرد فقاطعنى . . فلاح ... ثم عقب فى أسف هذا شأن شباب الجيل يغرهم المظهر وفى جد ورصانة أردف أننى أعبد أن أتكلم بلهجة أبناء القرى لأصل إلى الأعماق الغائرة .... فهززت رأسى معجبة به قائلة أنت فيلسوف أيضاً وهنا لمحت الأتوبيس فأيقنت أننا بلغنا الطريق العام ولم يكن بد من مصافحته شاكرة وتركته وبودى لو امتد بنا الطريق وتنحى عنى فى أدب وهو يبدى استعداده لأى خدمة...ولم أكد أستقر فى الأتوبيس حتى رحت أقارن بين هذا الرجل وبين رجل من رجال المدينة المتقاعدين ، ومر بذهنى صور الشيوخ الذين يتمسكون بأذيال الصبا ليغازلوا الفتيات والنساء لإيقاعهن بشتى أساليب الخداع والتغرير المزرى :

عدت إلى بيتى ولم يبرح خيالى طيف المعمر ورحت أروى ما جرى إلى كل من أراه لأثبت أن الإيمان لم يزل يسيطر على أناس يعيشون دون أن يشيروا إلى حياتهم على أن المظهر الذى أذهلنى وظل عالقاً بذهنى احتفاظ المعمر بحياة على الصورة التى رأيتها فقد كان فارع القوام لم ينحن ظهره شأن معمرى المدن يشوب بشرته احمرار النشاط والحيوية التى لم تنضب بعد ولم يزل يتحقق من رؤية الأشياء فى وضوح دون عناء أو الاستعانة

بمنظار وتأثر بحديثي وإعجابي به زميل أصر على أن يراه ليتحقق من صدق الذي رويته بجانب رغبته في تعرف أسباب احتفاظه بصحته ليدلى برأي جديد في الصحيفة التي يعمل فيها .

وكان لابد أن أرافقه ولما بلغت المعمر تعمدت أن أنتحل عذراً يبرر مقدمي فقلت له .. لقد ضاع وقتي هنا سدى يوم جئت ولم أتمكن من مشاهدة الهرم ولقد بكرت اليوم لمشاهدة الهرم وأنا مدينة لك لتيسير الراحة لي وتكليف حفيدك العزيز لحراستي وقدمت إليه الحلوى التي أحضرتها خصيصاً له قائلة لقد ظل الشاى الذى اسقيتني اياه عالقاً برأسي.
فابتسم منتعشا وهو يأخذ الحلوى مني قائلا : كم أنت كريمة ياسيدتي ثم قدم لنا أريكة خشبية مردفاً استريحا ريثما أهيء لكما الشاى العربى وتركنا لحظة ثم عاد يتبعه حفيدة شابة تحمل الشاى .. فراعني جمالها الطبيعي الساحر وعلق نظري بها وكأنها جذبتني وقالت وهي تقدم الشاى أهلا وسهلا تشرفنا ثم خاطبت جدها سأذهب لكي أهيء لك الغذاء فهز رأسه بمعنى ... اذهبي ورمقتنا بنظرة ساحرة وتمنيت لو استبقيتها لأتحدث إليها ولكنها لم تترك لى الفرصة وهرعت إلى الداخل .... وراح المعمر يسبح بصوت خفيض كأنه تعمد ألا يشغلنا عن تناول الشاى ولكنني قطعت تسبيحه لأهيب به إلى مكالمتنا قائلة ... إن شاء الله تكون بخير؟ قال كل شيء على ما يرام مادمنا نسمع ونرى ونمشي على أقدامنا ونأكل بأيدينا ولله الحمد على ما تفضل به علينا حتى يسترد وديعته ، فقلت : وقد سرت الطمأنينة من نفسه إلى نفسى ، هذا أقصى ما يتمناه الإنسان فابتسم ابتسامة كشفت عما تبقى من أسنانه التي بدت كأنها ترسم كلمة الله تعبيراً عما يجيش به قلبه المؤمن مردفاً ، هذا أقصى ما يتمناه امثالنا الزاهدين الذين عملوا فى الدنيا بما يرضى الله فى سبيل لقائه بإيمان وفير واتجه لزميلى وهو يقول أما شباب اليوم فأضواء المدنية الزائفة تغرى على التعلق بآمال واهية .... فقاطعه زميلى .. كان ذلك قبل حرب رمضان التى أعادت للشباب ثقته فى نفسه ورفعته

للتعلق بكرامته وشرفه ولم أشأ أن يسترسلا فى حديث ملأ الأسماع قولا والإبصار عملا فعمدت إلى استدراجه لاعرف قصته وهل تراه لم يزل يحتفظ بقوة الذاكرة كما يحتفظ بحيويته تلك ؟؟ فقلت : ألم تغادر هذه المنطقة ؟ فلاح البشر على وجهه وهو يقول : اوه ... كثيراً .. كثيراً .. وآخر مرة يوم ذهبت لأدلى بصوتى لانتخاب الرئيس المؤمن رئيسا للجمهورية فقاطعه زميلى دهشاً ؟ وكيف عرفت مع أنك تعيش فى شبه عزلة فقال المعمر إنى أعيش بفضل أولادى مع الأحداث ويتحتم أن أقوم بواجبى الوطنى مادمت حيا - ولو تطلب انتخاب الرئيس المشى على قدمى ما تبقى من عمرى لفعلت فهزنى شعوره الصادق وقاطعته بارك الله فيك : قال : إن أمثالى لا يحملون من الثروة غير الإيمان بالله وحب الوطن والناس أجمعين وقد منحت الرئيس الحب صرفا وأدعو الله أن يرعاه ويحفظه من كل سوء فقاطعته : لقد دفع ضريبة كرامة العروبة وعزتها كفاحا فى صمت ومعاناة فى هدوء واحتمالا لكل ما يصعب على النفس البشرية احتماله فى غير ملل أو تبرم ليرضى الله وضميره على ان تتوقف عجلة شقاء الانسانية لكم قاسينا وتعذبنا وبفضل سياسة الرئيس الحكيمة السديدة تحررنا واستعاد العرب عزتهم وكرامتهم ومجدهم وهنا رفع المعمر رأسه ويديه إلى السماء يدعو الله له بطول العمر مع الصحة والتوفيق وانا وزميلى نردد آمين آمين وراقنى وعيه فقلت له امد الله فى عمرك لتنعم معنا بتحرير ما تبقى من الأراضى المحتلة وفلسطين ، فابتسم قائلا ، أوه يابنى حسبى الشوط الطويل الذى قطعته : عرفت فيه الشر وكرهته ، وتذوقت حلاوة الخير فاحببته ثم انتفض فى تحمس ظاهر وهو يقول : أرجو الله مخلصاً أن يوجه الناس جميعاً إلى السداد ويدفع عنهم وسوسة الشيطان التى تحبب اليهم الباطل وتغريهم على التعليق بكل مرذول .. وسكت لحظة ليتنفس ثم أعقب على الملحدين أن يعرفوا ما الله فاعل بأمته إذا جاهدوا باسمه وحسبهم مصداقا لذلك النصر الذى أحرزه المجاهدون يوم عبروا مرددين الله أكبر ....

وقاطعه زميلى وهو ينظر إليه نظرة إكبار : حبذا لو كان فى كل مدينة أو قرية رائدا رضيا على طرازك فبان التواضع مرتسما فى عينى المعمر وهو يقول : كيف أكون رائدا و أنا مازلت مريداً .... فقاطعته إذا كنت أنت المريد فمن نكون نحن ؟ فرفع بصره إلى النخيل ثم غضه لينظر إلى الرمال ثم قال ، لقد تفتح ذهنى ونبض قلبى منذ بدأت أتأمل النخيل الشامخ الذى تناوئه الرياح والأعاصير ويغمره المطر ويكسوه وهج الشمس — أحداث الحياة وزلازلها وعواصفها لم تستطع أن تزحزحه من مكانه وهـذه الرمال التى مرت على كثبانها ألوف آلات التدمير عبر السنين لم تتلاش وتحطمت فوقها مئات الطائرات المحترقة فلم تتحول معها إلى دخان ومشت عليها ملايين ملايين الأقدام منذ بدء الخليقة فلم تفنى تحت نار الشمس المحرقة وبرودة الصقيع القاتل وكأنها قوة أقوى من أى قوة! أقوى من الذرة لأنها فى مجموعها عليها كمن لقوى الذرة بقدر ما تحمله من ذرات ولا يخفى عليكما ما أخرجته الاختراعات من ، ذرات الرمال ..... أن تأملى الطويل فى الطبيعة التى عشت فى ربوعها ودرجت بين أحضانها على مختلف أنواعها وألوانها جعلتنى أستشعر دائماً بصفتى دائما الرائد ... وانا المريد أتلقى منها العلم والمعرفة وكل ما يعوز الإنسان من قوة تعينه على تحمل ارزاء الحياة ومصائبها فى غير تبرم أو يأس أو تشاؤم .. مؤمنا بأن الليل يعقبه الفجر الذى يبشر بنهار مشرق ولا تعنينى الحياة بمغرياتها لأننى أعيش خادماً لهذه الأشجار تعطينى من ثمار أضعاف أضعاف ما أعطيها من جهد دون أن تشعرنى عنة العطاء وتحمينى كهربة هذه الرمال من أمراض صعب حتى الآن على الطب قديمه وحديثه علاجها ....فمثلا الروماتيزم لم أصب به رغم تقدم سنى فى حين أن أمثال أحفاد أحفادى الذين يعيشون فى الحضر يصابون به ولا علاج له .. رغم أنهم يلبسون أغلى الجلود ليحافظون على أقدامهم وأغلى ثياب ليحافظوا على أجسامهم فى البرد .. أما أنا فأقدامى تفترش الرمال وقد انام عليها دون

فراش .. أوه يابنتى الحديث فى هذا الشأن يطول ... قد تندثر العوالم التى يهلها الإنسان بآفة من آفات شيطانه لأنه قلق جشع يريد كل شىء ولا يعمل جاداً فى سبيل تحقيق هذا الذى يريده يقضى حياته بين الحركة والركود ثم يفنى وكأنه لم يظهر على سطح هذا الوجود إلا إذا ترك وراءه عملا مجيداً خالداً لا يكفى لاسعاده بل يتحتم ان يشمل إسعاد الآخرين ليحقق رسالة الرسول عليه السلام .... وكان زميلى مسيحيا فعلق عليه الرسل جميعاً تدعو للخير والتعاون والحب فعاد المعمر يقول: الإيمان بالله والرسل لا يكفى ياولدى لتحقيق الخير للجميع بل يتحتم العمل .. العمل المثمر ليتصل العبد العامل بالله الملهم الخالق فيتزود المخلوق عن طريق هذه الصلة بزاد العلم الأصيل والمعرفة الأكيدة لا يلبث حتى يجد نفسه مرتبطاً بعجلة الكفاح الشريف فى سبيل حياة كريمة وليؤدى رسالته كاملة غير منقوصة ولتكن على أى صورة وفق استعداده وطاقته فمنظف العمارة لا يقل عمله قيمة عن المهندس الذى شيدها المهم .... العمل من أجل المجموع .

وسكت لحظة ليتنفس الصعداء بينما قال زميلى . . . . لم أكن أتصور أنك على قدر كبير من النضج الفكرى كأنك تعلمت فى أكبر الجامعات فضحك المعمر بغير صوت معقباً . . . . . الطبيعة التى علمتنى الأم الكبرى لأكبر الجامعات . : . . . علمنى التخيل أن عظمتى من عظمة الله فرفعت رأسى أتيه بإنسانيتى وعلمتنى الرمال قيمتى فأحسست بمذلتى وخضوعى لله وعرفت مكانى ومصيرى . . . ذرة ستضاف إلى هذه الذرات وستطوها النعال بعد حين فلم أتزيا بمسوح الكبرياء والغرور ؟ . . . آه يا ولدى ليت الإنسان يعرف قيمة نفسه بالنسبة لهذا الكون اللانهائى وقيمة هذا الكون بالنسبة لله . . . المهم يعرف أنه لا يمتاز عن ذرة من هذه الذرات التى لا تدركها الأبصار من بين مجموعة هذه الذرة مهما تعمق الإنسان فى تحليلها وجاهد لإدراك كنهها فلن يصل إلى معرفة دقائق تكوينها . . شأنه شأن الباحث الموفق لتعرف كنه بصيص من ضوء الأشعة الشمسية لاندرى كم مر من عمر

البشرية على وجه التحقيق وكل ما كشف عنه البحث فى علم الفلك مجرد نظريات وفق تكهنات إذ لا يمكن لأى كائن أن يتلمس الشمس ويترصدها ويسبر غورها ، ألا يصح أن يكون مجموع الذرات الرملية الموجودة على سطح البسيطة هو مجموع المخلوقات التى اندثرت منذ خلق الله العالم وقد يصح أيضاً أن أرواح هذه الذرات تطل علينا من عل ساخرة من الأقدام التى تطؤها دون مبالاة . . وسكت ليسبح الله مكبراً ثم استطرد معذرة لقد أثقلت عليكما ، هذه ثرثرة معمر يحلو له الكلام قبل أن يودع الدنيا ولزم السكون مستأنفاً تسبيحه بغير صوت ولم يسعنى إلا أن أقول له . . . أنت فيلسوف مؤمن فليتنا نستطيع أن نتعلم من الحياة بقدر ما تعلمت . . فابتسم ابتسامة المطمئن إلى نهايته قائلا : أنصحك يا ابنتى ألا تتعلمى من أحد . . . تعلمى من كتاب الله المسطور فى قرآنه والمرسوم على صفحات الطبيعة الخلابة الساحرة تعلمى من القرآن والطبيعة العلم بكل مشتقاته بعد أن تفتحى قلبك وتحكمى عقلك أنا أخاطبك بلسان الإنسان ولكننى فى الواقع أنقل إليك بعض السطور سطور كتاب الله . . . . . إن لله كتباً مقروءة أنزلت على الرسل لهداية الإنسان وتقويمه وإذا صعب عليك استيعاب آيات هذه الكتب السماوية تأملى صور الطبيعة المجسمة والمنوعة إن مشاهد لوحات الطبيعة تغرى على التأمل بقدر ما يتيح الاستيعاب وبذلك يتوفر لك من الإدراك والوعى ما يعينك على تفهم آيات الله . . . لقد عشت طويلا أطالع بتأمل سطور كتاب الله الذى ترسم حروفه مشاهد الطبيعة التى تعبر بوضوح عن قدرة الخالق الأعظم . . عشت طويلا مع الشجر والشمس والقمر والنجوم والبحار والأنهار والرياض والطيور والحيوانات والحشرات ولا أكتمك أنها كانت رحلة شاقة طفت خلالها عوالم هذه المخلوقات حتى استطعت بعد طول تأمل وتفكير وإحساس أن أفهم لغاها وأدرك ما وراء صمتها بقدر ما وعى عقلى وأحس قلبى فاستعينى بقلبك وعقلك دون غيرك وثقى بأن لديك من طاقة الفهم والإدراك ما يعينك على تفهم كل شىء واستيعابه فان تطور العصر أتاح لكم تفهم

ما كنا نعجز عن تفهمه إلا بعد طول عناء أما اليوم فالطريق أمامكم معبداً ولم يكد يسكت ليتنفس حتى قال زميلي : والآن كيف تقضي وقتك ؟ قال بصوت هادىء . إذا عشت مع نفسي شغلني الله عنها وإذا عشت مع الناس شغلتني شواغلهم وأحداثهم قلت : إذن أنت تعيش بفكرك معنا وتلم بما يدور حولنا أن أحداث الوطن تشد كل مواطن إلى وطنه وعروبته فشاغلي ما يشغل كل مواطن حر فقاطعته . . ولكنك ؟ فلم يدعني أكمل كلامي وقال عجوز ضعيف عاجز عن العمل . . صحيح هذا ولكنني قوي الإيمان والفكر ولقد عرف الرئيس كيف يحطم الحواجز التي كانت تحول بين تآلف أرواح الدول العربية وبالتالي تآلفت جميع الشعوب الداعية للحرية والسلام فقلت . . كأنه ساحر قال . . . يا عبيطة . . ثم تدارك وأعقب . . معذرة يا ابنتي ظننت أنني أخاطب حفيدة لي . . إنها مثلك تخرجت من الجامعة فضحكت ليكن . . تكلم فاستطرد . . قولي أنه مؤمن وكفى . . لقد انتصرنا في رمضان بفضل الإيمان وعرف الرئيس كيف يوحد بين الدول العربية بفضل الإيمان وكيف يخاطب الجماهير بلغة الإيمان وكيف يتفاهم مع الشعوب بروح الإيمان وسكت ليرقب معنا الطائرات التي حلقت فجأة فوق رءوسنا وقبل أن يتكلم قال زميلي أرأيت عبقرية العلم الحديث فابتسم المعمر في استخفاف قائلا : وهل العلم يكفي لحماية الإنسان يا ولدي ؟ كم من علماء ضلوا وأساءوا إلى البشرية بتأثير اختراع لم تزل تعاني البشرية منه ما تعاني من محن جسام ، لقد قطعت البشرية مرحلة طويلة في طريق العلم وهي لم تزل تتخبط في دياجير الإفك وتوشك أن تتحطم معالمها إن لم يتحول العلم من الدراسات المادية الطاحنة إلى الدراسات الروحية الخالقة ستغدوا البشرية بعد حين أشبه بهذه الصحراء . . . . ذرات مكدسة فوق ذرات وإذا لم تتنبه البشرية إلى ضرورة التخلص من سلطة المادة الطاغية والتهالك حولها فستنهار ويلاويلها إذا استمرت على هذا الحال يحارب بعضها بعضاً من أجل المادة وليتهم يحاولون استغلال المادة في تدعيم القوى الروحية العظيمة الكامنة

فى الإنسان والكون كله ولكنهم يحاولون ابتزاز الأموال من أجل دفع المدنية الباطلة إلى الأمام لقد كنا فيما مضى نعيش قانعين بالقليل من الغذاء والكساء لأن طاقتنا الروحية وليدة إيماننا القوى بالله أقوى من مطامعنا المادية التى تدفعنا إلى حروب طاحنة تتطلب منا غذاء أكثر وكساء أوفر لتعيننا على مقاومة نكبات الحروب أشد ما أحزن على تداعى القيم الروحية فى هذا المجتمع فقاطعته كان ذلك قبلا أما اليوم فقد اتجه الرئيس بالشعب اتجاها عملياً وأصبح العمل المثمر وحده هو قياس قيمة الفرد بجانب تخالف القوى الإسلامية بفضل بعض الملوك والرؤساء لإيقاف النشاط والتطاحن من أجل المادة والمطامع وتلقيح المجتمع بمصل الروح الواقى فقاطعنى . . قد يصح هذا لو تطهرت الشعوب تلقائياً من دنس المدنية التى سرت سمومها فى الشرايين باسم التقدم والرقى . . فأنا أفهم أن المرأة تشارك الرجل فى العمل خارج البيت لزيادة الدخل والإنتاج ولكننى لا أستسيغ مطلقاً أن تشرب الخمر أو تدخن السيجارة وتراقص رجلا غريباً فى الحفلات باسم المدنية إلى آخر هذه الموبقات وأخوف ما أخافه أن تسرى هذه المدنية فى الأمم الإسلامية الأفريقية التى لم تزل تعيش على الفطرة فقاطعه زميلى : اطمئن لقد تنبهت الدول العربية والأفريقية إلى الخطر الذى يحيق بها وبدأت تنأى بمحض إرادتها عن الزائف من المدنيات الفاسدة بعد أن قاومت المستعمر حتى صرعته وتستطيع أن تطمئن أيضاً إلى أن الروحانية بدأت تزحف رويداً رويداً فى الشعوب العربية وهى توشك أن تأخذ مكان الصدارة قال المعمر . . هذا لا يمنعكم من السعى جاهدين لتنمية المادة أيضاً كى توفروا أسباب الحياة الطبيعية للجميع وعقب الزميل ولن تغفل المادة حقها فهى التى تساعد على بناء مجتمع قادر على صد العدوان . . .

فقبض المعمر على يده بيد حانية وهو يقول : اعترف أن سياسة الرئيس تدعو القوة المادية بتعزيز القوة الروحية وتزويدها بالإيمان الصرف ليفتح أمام الشعب آفاق المعرفة والتجديد كى تصبح للشعب قوة هائلة خلاقة تبعث الوعى من مكمنه محفزة العقول للخلق والابتكار مع تزويد القلوب بدماء

المثل العليا وسكت ليرقب الصحيفة التى وقعت من يدى وقد ظهرت صورة الملك خالد والرؤساء بجانب صورة الرئيس فنظر إلى الصور وهو يقول . . . هذه تباشير إعادة مجد العرب الذى سلب منه وتعزيز قوته المعنوية والروحية وإعادة أمجاد الإسلام العتيدة وشئت أن أنهى الحديث فقلت : المهم أن تتآخى الشعوب على اختلاف سياستها وأديانها وجنسياتها رنتآزر وتتكالب وتترابط ضد المستعمر وتابعيه وعقب زميلى . المهم وحده العاطفة الإنسانية ووحدة الأهداف السليمة التى ترتفع بالعروبة إلى أسمى مراتب السمو وتوطد دعائم الأمن والحرية والسلام وسكت عندما ارتفع صوت المعمر بالدعاء للملوك ورؤساء وقادة العرب والاسلام المصلحين ولزمنا الصمت عندما لمحنا سيدة تدنومنا تسير فى اعتزاز واعتدال كأنها ملكة متوجة فلما اقتربت من المعمر وضعت أمامه طعام الثريد وهى تقول سوف اعد لك الشاى ريثماتأكلفنظر إليهانظرةحبوحنانوهويقول .. أعدى طعاماً لضيوفنا فانتصبنا شاكرين له كرمه مبتعدين عنه ليتناول طعامه فى حرية واستدار نحو الحفيدة التى ناهزت الخمسين كما قالت عندما سألها زميلى عن عمرها ولكنها تبدو فى سن الثلاثين وسألتها أتحبين جدك أكثر أم أبيك ؟ فابتسمت ابتسامة ما رأيت أجمل منها وقالت إنه جد أبى وكلنا نحبه أكثرمن جدنا وأبينا نلجأ إليه إذاضاقت الدنيا بنا فنجد عندهطمأنينة القلب وراحة النفس وكلنا نعيش تحت ظلال بركته ثم استأذنت لتعد له الشاى راضية فى صدق وحرارة أن نرافقها حيث تقيم على مقربة من هذا المكان لنتناول غذاءنا واضطرت أن تنسحب بعد إصرارنا على الرفض شاكرين لها اريحتها ولاحظ زميلى أن المعمر انتهى من تناول طعامه فهرع إليه ليقول له سنظل طوال العمر نذكر هذا الحديث الممتع فابتسم المعمر وهو يقول علكغيرشباب اليومالذينيسخرون من الشيوخ أو على الأصح لايفهمون لغة أبناء الأمس البعيد إذ يظنون أنهم أوفر وعياً وأغور علماً فقاطعته ، هؤلاء هم السذج الأغبياء أما الأغلبية الواعية من شباب الجيل

يدركون تماماً أن المجرب الخبير أكثر علماً وأنضج عقلا وأوفر خبرة وأصدق مقياساً للامور وهو بلا شك كنز يجب أن يستقى منه االشباب خلاصة المعرفة وعصارة الخبرة وعقب العمر . المهم أن يدرك الشباب أن نجاحه فى الحياة يتوقف على الصبر والعزم واليقين والثقة بالنفس وحب الخير للجميع وليس من الضرورى أن يكون وفير المال بل يكفى أن يكون ذا بصيرة نفاذة ويحتمل الحرمان والآلام فى سبيل تحقيق غايته وأحسست بأن المعمر فى حاجة إلى الراحة فهممت بمصافحته مودعة وقبل أن ننصرف لمحت عجوزاً يقترب منه فتلكأت لأعرف من يكون فلما دنا منه قبل يده متسائلا كيف حالك يا أبى فمر المعمر بيده على رأسه العارية كأنه يباركه قائلا : حمدا لله كيف حال أولادك ... كلنا بخير مادمت أنت بخير وهنا أدركت من إشراق وجه العجوز الحيوية البادية على محياه واعتدال قامته وقوة صوته ان ترابط هذه الأسرة هو مبعث الصحة وطول العمر إنه لا متاعب نفسية ولا انفعالات عصبية تثير أمراض البدن وانتهز زميلى فرصة مقدم العجوز فسأله عن مقر رجل وجيه يقطن فى هذه المنطقة لكى يقابله لأمر هام . . . وأبدى العجوز استعداده لمرافقته بعد أن قدم كل منا نفسه اليه وصحبه فى التو بعد أن أخبره أن ابنه وكيل اعمال هذا الوجيه وغادرنى الزميل بعد أن اتفقنا على أن انتظره ريثما يعود وقبل أن يبرحا المكان طلب المعمر من ابنه أن يقدمنى لابنة أخته التى تقيم مع جدها فى غرفة الحراسة لترعاه لكى ترافقنى لمشاهدة الحدث ريثما يعود الزميل

جـولة أخـرى

لشد ما أسعدنى أن تتاح لى فرصة لمشاهدة تلك الحديقة الشاسعة مستمتعة بتنقلى من زهور ناضرة إلى ورود عاطرة إلى أبصال ذات أرج مخدر ساحر وأخرى ذات لون جذاب باهر إلى ألوان من الياسمين المدهشة ولقد عرفت من خلال حديث مرافقتى أن مستأجر هذه الحديقة أستاذا جامعياً خصص وقت فراغه لاستغلال هوايته لفلاحة البساتين وله دراية وافيه وذوق سليم مع أنه كما سمعت من سياق حديث جرى بينه وبين زائريه أنه تخصص فى العلوم الرياضية ولم يقف اهتمامه بهذه الحديقة وحسب بل راح يلقى محاضرات فى زراعة البساتين على أبناء هذه المنطقة مستعيناً بزملائه الاخصائيين ليتسع نطاق التعمير فى هذه الصحراء بجانب استغلال إنتاجها وفقاً للتخطيط الذى يرسمه المشرفون وأنستنى هذه الجولة الممتعة الوقت كما نسيت مرافقتى قدر الطعام على الموقد واضطرت أن تستأذن بعض لحظات ولكننى شكرتها وأقنعتها بأنه فى مقدورى أن اعود من حيث جئت إلى المعمر فتركتنى على أمل أن تلحق بى لتطمئن على . ولم أكد أبلغ المعمر حتى لمحت شاباً يقود عربة فاخرة فلما رآنى اتجه نحو المعمر ليسأله عن قاسم ليجمع له بعض الزهور والورود وكان يخاطب المعمر دون ان يبرح نظره وجهى وادرك المعمر ذلك فقال له بصوت جاف أنت تعلم أن قاسم فى المدرسة الآن ولن يحضر إلا بعد الظهر وبلهجة استعلاء قال الشاب : أه لقد نسيت والتفت إلى بكليته مردفاً فى استنكار لقد أصبح التعليم كما قال المرحوم طه حسين كالهواء والماء للجميع لافرق بين الخدم والسادة فقاطعته فى احتقار... قل الدكتور عميد الأدب العربى طه حسين وان كان ذكر اسمه وحده يكفى للدلالة على عظمته لكن لا يصح لمثلك أن يذكر اسمه بهذه اللهجة... ومن مآثره الجليلة هذا التشريع الثورى الحياة للجميع والسيادة للاصلاح فرمقنى بنظرة فاحصة بينما قال المعمر صدقت يا ابنتى ثم خاطب الشاب هل نجحت فى الامتحان يابك؟

فارتاع الشاب ونظر إليه فى استخفاف قائلا : أنت تعلم أنى اتسلى، ولست فى حاجة إلى الشهادة فلم ترقنى ميوعته واستهتاره البادى فى زيه ولهجته فالقيت التحية على المعمر وحده متحولة عنه لأخذ طريقى إلى حديقة الأستاذ ريثما يحضر زميلى وفى جراه اعترضنى الشاب قائلا : العربة تحت أمرك فنظرت إليه شذرا قائلة لا تخدع وتذكر لم يبق على الامتحان غير أيام قلائل فقال فى صلف وكبرياء الشهادة لمن يعوزهم ثمن القوت والكساء فألقيت عليه نظرة احتقار وأنا أقول كان ذلك قبلا أما اليوم فقد انمحى عصر الثراء بالوراثة وتحولت عنه أنا أرد نظراته الشرهة بنظرات احتقارى مردفة : غدا سيفنى المال الذى جمعه والدك مادمت عاجز عن استثماره وهنا تحامل المعمر على عصاه واقترب منا وهو يقول معها الحق ثم ربت على كتفه فى رفق مردفا ... أه ياسيدى لو عرفت مدى تفهم هذه الفتاه للحياة إنها أوفر منك علماً مع أنها اصغر منك سناً فشاع الغضب على وجه الشاب وقال ؛ أنت تعرف أن ثروتى تزيد على مطالبى لوعشت عمرى كله ويزيد ثم غير مجرى الحديث قائلا على فكرة . . . كنت وعدتنى أن تعيرنى قصة أطالعها فأين هى ؟ فقال المعمر ... أخشى أن تهملها كما تهمل دروسك وهو أعز ما لدى فى الحياة إنها ابنى البكر الذى يحمل تاريخ حياتى فقاطعته. أرجو أن تعيرنى إياها وأنا أعدك أن أعيدها إليك بعد أسبوع على الأكثر ونظر إلى المعمر نظرة تنم عن القبول وأنا أردف ، أهى قصة قديمة أو حديثة وبقلم من ؟ فارتعشت شفتاه عندما هم بالكلام وبدت الدموع فى عينيه كومضات من النور الخاطف وشعرت بانتفاضة جوانحه وبدا لى كأنه أصيب بالحمى فى التو راح وجهه يعكس ما يختلج فى أعماقه فزعنى أمره واشفقت عليه ولكى أهدهد انفعاله قلت يبدو انك متأثر بهذه القصة فقال بصوت مرتعش النبرات ماذا أقول لك ياابنتى .. .. .. إنها قصه إنسان معمر ، قلت لاشك أنها رائعة تشتمل على أحداث هائلة فليتك تحدثنى عن بعض أحداثها ولا أظن ذلك يضيرك فغدا يهدئ ذكرى أفراحها

شجن آلامها فيحلو لك الحديث : قال : لا أستطيع والذى أستطيعة أن أقدمها إليك بقلم رسام زارنى هنا منذ خمسين عاماً وكنت نزحت إلى هذه المنطقة منذ شبابى لأبتعدعما يثير شجنى تاركاً خلفى أحب الناس إلى قلبى جئت من القاهرة إلى الهرم مشياً على الأقدام وهنا غامت عيناه بالدموع فتركتى وغاب بعض الوقت وعاد ليقدم إلى القصة تلفهاقطعة قماش نظيفة كأنه لفهابهافى التو وقدمها إلى وحاول الشاب أن يختطفها فلم أمكنه فقال ليوارى فشله عندى فى السيارة مجموعة قصص .. .. .. انتقى منها ما شئت هدية منى فلم التفت نحوه وهنا اقبل زميلى فهللت فرحة لاشعر الشاب باهتمامى به قائلة .. .. . لقد تأخرت ياعاصم .. .. واغتاظ الشاب وتنحى عن طريقى وهو يخاطب المعمر فى حنق واضح لم أكن أعرف أبداً أن الحديقة باتت استراحة للمغرمين وأسرع إلى سيارته وهو يدمدم بألفاظ بذيئة فى حين قال المعمر ... لا تهتمى إنه شاب طائش مستهتر يحسب الشباب على طرازه فأبديت عدم اكثراثى وودعته شاكرة على أن ألقاه كما وعدت بعد أسبوع لأعيد إليه قصته :

مـــع القصة

بلسان المعمر كتب صاحبه فى مستهل القصة :

سرت على طريق النيل دون أن أحدد وجهة مصيرى عندما بارحت القاهرة فى أمسية معتمة متعثراً لاضطراب عقلى مستمداً العون من الله تعالى على مشقة المسير وكلما أحسست بالتعب جلست على قارعة الطريق لأستريح بعض الوقت ولكي أستعيد ما افتقدته من قوة ومضيت حاملا معى بعض الهواجس والأوهام تاركاً للنهار المقبل ما يراودنى من آمال وأحلام وأقبل ليل اليوم الثانى وطوانى فى بردى التعب المضنى وكنت بلغت طريقاً تشير علامة المرور بعدم السماح لمرور السيارات : وتوقفت سيارة عند إشارة وكان العطش أوشك أن يزهق روحى فدنوت من راكبها متوسلا أن يسمح لى بالركوب خلف السيارة حتى أبلغ أول من يقابلنا لأروى عطشى الشديد ودون أن يسألنى من أكون أو يتردد فى قبول رجائى رحب بركوبى وأجلسنى بجواره مع أن مظهرى وما بدا على ملابسى من سمات تثير الشك والارتياب وعمد إلى ملاطفتى ومحادثتى بعد استئناف المسير ولم ألبث حتى أنست إليه وفتحت له صدرى بعد أن صارحنى بأنه يلمح آثار آلامى المبرحة التى أجترها فى صمت مرتسمة على وجهى وتمتزج بنبران صوتى المتقطع الأنفاس ، وقصصت عليه قصتى كلها دون أن أحذف منها أى حادثة وبدل أن ينفر منى أو يتخلص بلباقة كما توقعت تمسك بى ودعانى إلى العمل عنده على أى صورة أرضاها ... وإن كان يفضل أن أعاونه مع معاونيه فى عمله أثناء الكشف على الآثار ... ولما صارحته بأن ما عانيته طوال هذه السنين هد قواى وأضعف جسمى قال : إذن فى مقدورك أن تكون مشرفاً على إدارة بيتى ووكيلا لشئونى الخاصة فإنى أتوسم فيك ذكاء خارقاً وكان لابد أن أقبل هذا العرض الذى اعتبرته منحة إلهية أسداها إلى هذا الرجل الكريم مؤكداً له بأننى سوف أكون عند حسن ظنه بى إن شاء الله . . .

وكان هذا الرجل هو الإيطالى الذى كان يملك هذا القصر ومزرعته تغمده الله برحمته الواسعة .

قرأت هذه النبذة فى الطريق إلى بيتى ناسية وجود زميلى بجوارى فى الأتوبيس فنبهنى نسيت أن أسألك من هذا الشاب الذى كان واقفاً . . فقلت من أبناء الرأسمالية الحاكمة قال : يبدو كذلك فعلا قلت لقد قدمت إليه حفيدة المعمر الورود وهى تقول . . . لقد تعب البستانى فى اقتطافها ألا يستحق هبة فأجابها فى أنفة . . . هذا عمله ويتقاضى عليه أجره وغمزها بعينه مردفاً لكن أنت التى تستحق الهبة ومد يده فى جيبه ولكنها تحولت عنه فى أنفة وهى تقول .. وفر عليك ولم يشأ الزميل أن يسترسل فى هذا الحديث فقطعه قائلا : لقد ضيعت على اليوم دون جدوى فقلت فى غير اكتراث أنت الذى جئت لتتأكد من صدق ماورويته لك قال : فى الواقع اصطنعت هذا السبب لكننى جئت لمقابلة « الباشا » على أمل أن أحظى بتحقيق صحفى هام وقد غادر حلوان قبل وصولى إليه بدقائق ليسافر إلى الخارج : قلت كان المفروض أن تتصل به تليفونياً ، قال : لقد أردت أن أفاجئه لأنه يهرب من الصحفيين ، قلت : عله يخشى افتضاح سرما ؟ قال : لقد كان بوهيمياً ثم أصبح صوفياً : قلت وأى عجيب فى هذا كل تطرف فى أمر ينقلب إلى ضده دائماً فدع الرجل لله وأبحث لك عن مغنم آخر مالنا وشئون الناس الداخلية . دع الملك للمالك قال : يبدوا أنك تأثرت بالمعمر ونظرت إليه بمعنى أسكت لنسمع تعليقات الركاب على الأحداث السياسية وإعجابهم البالغ بعزيمة الرئيس المؤمن وإصراره على التمسك بتحرير الأرض المحتلة وحقوق فلسطين المشروعة ولم أكد أبلغ بيتى حتى هيأت نفسى لقراءة قصة المعمر ولم أكد أخلو إليها حتى وجدتنى أعيش مع أبطالها بوجدانى وخواطرى متجولة معهم فى كل مكان عاشوا فيه أو طافوا به حتى عرفت بقدر ما أتاحته لى القصة خفايا الصدور وبواطن الأمور .

بداية حياة من نهاية حياة

لم يكن يتوقع – نابر – الذى بلغ من العمر ستين عاماً أن تموت زوجته فجأة دون أن تمرض وهى فى ريعان حيويتها وقبل أن تبلغ الخمسين من عمرها ولم يمر على زواجها أكثر من عشرين عاماً كانا مثال الزوجين السعيدين تاركة خلفها سبعة من البنين والبنات أكبرها مبره فى سن الرابعة عشر وعكف الوالد رغم تقدم سنه إذ كان على خلق جعله مستقيما حريصا على رعاية حصته وتأدية فرائض الدين على الوجه الأكمل وقد ساعده ذلك على عدم التعرض لأى مرض فى شبابه وشيخوخته وكان يبدو رغم تقدم سنه كأنه فى سن الأربعين بحيويته ونضارته على أن ثروته الطائلة بجانب معاشه دفعت النساء الراغبات فى الزواج منهن العذارى والعانسات والأرامل التقرب منة بشتى الوسائل المغرية لجذب نظره إليهن وفى مقدمتهن نساء الحى الذى يقطن فيه . وكان من بين سكان العمارة التى يملكها ويقطن فيها فتاة تقدم بها السن ولكنها تحتفظ بشبابها وحيويتها لعنايتها الفائقة بصحتها وبالرغم من فقر أسرتها المدقع فإنها تظهر دائما بمظهر الفتاة التى تنتمى إلى أسرة غنيه وتعلن دائما بأن مصدر المال الذى تشترى به ملابسها الفاخرة وأدوات زينتها العالية من إيراد أوقاف طائلة آلت إلى أسرتها بعد رفع الحجر من على أصحابها ولكى تضع نفسها فى إطار هذا الثراء استساعت أن توطد العلاقة بينها وبين سيدة تركية تعيش بمفردها فى شقة بالعمارة تقضى معها طول النهار لتقوم على خدمتها ولاتزور أسرتها التى تقطن فى غرفتين فى أعلا العمارة إلا بعد أن ينام سكان العمارة وإذا رآها أى أحد تظاهرت بأنها تمديد المساعدة لهذه الأسرة التى تتكون من الأم والأب وأبناء من الذكور هاجروا إلى ليبيا للعمل هناك ولم يجد والدها أى غضاضة فى إقامة ابنته عند السيدة التركية لتقوم بتوفير أسباب الحياة والمعيشة له ولوالدتها .

انتهزت — نازك — وقد خلعت على نفسها هذا الاسم بعد أن كان اسمها خدوجة فرصة موت زوجة الرجل الذى يقطن مقابل شقة السيدة التركية حتى تقربت إلى كبرى أولاده — مسرة — وعمدت إلى ملازمتها لمواساتها والترفيه عنها ومساعدتها فى رعاية أخواتها الصغار بدعوى أنها كانت صديقة للمرحومه والدتها وكان من الطبيعى أن تتعلق — مسرة بها وكذا أخواتها ولاحظ الوالد مدى اهتمام — نازك — بأولاده فبدأ بدوره يهتم بها ويقدم لها الحلوى والهدايا كلما أحضر لأولاده شيئا جديدا ولم تمض بعض شهور حتى تسللت إلى قلبه واستقرت به إلى حد شعر أنها لازمة له ولأولاده ولم تلبث حتى استطاعت بدهائها أن تدفع ابنته إلى مطالبته بالزواج منها لوفرة حنانها وحبها للأولاد ووجد الوالد هذا المطلب يتفق مع رغبته التى راودته كثيرا وكان يخشى أن يقدم على تحقيقها فيغضب ابنته وأولاده . . .وأخيراً بعد إلحاح إبنته ولعله تعمد أن يترك الابنة تلح عليه لكيلا يشعرها بأنة تعمد أن يتزوج بامرأة بديلة لأمها من تلقاء نفسه تزوجها ولم يمضى على زواجه بعض شهور حتى مرض أحد أولاده بالحمى ثم سرت العدوى إلى الجميع عدا — مسرة — التى كانت ترافق عمتها لتقضى الصيف فى الإسكندرية معها وقضت الحمى على الأولاد جميعها وانتقلوا إلى رحمة الله فى أسبوع واحد ، وأصيب الوالد بصدمة هدته ولكنه قاوم لترضية زوجته التى حاولت أن تخفف من تأثير الصدمة عليه بما تظهره من حب وحنان مؤكدة له بأنها كانت تمنع إنجاب الأولاد عن عمد ولو شاء لانجبت له وأقسمت له بأنها أجهضت أكثر من مرة دون أن تشعره . . .ومضى الصيف وعادت — مسرة — فوجدت البيت خاليا من ملائكة الأرض الصغار كما كان الوالد يسميهم ولم تجد غير والدها وزوجته واصطدمت بكارثة زلزلتها وراحت تعانى أقسى آلام الحزن بقدر المصيبة الفادحة وبدأت كراهية زوجة الأب تتسرب إلى نفسها إذ خيل إليها أنها أهملت رعاية أخواتها أثناء غيابها ومظهرها الذى ينم عن عدم الحزن مدعية أنه يتحتم مراعاة الوالد

وعدم إظهار الحزن على المفقودين . . وراحت تقارن بين جارة فقدت صغيرا واحداً وقد مضى العام وهى لم تزل تبكيه واتضح لها لأول مرة الفارق بين عواطف الأم وعواطف زوجة الأب خصوصا من كانت على طرازها لاتهتم إلا بنفسها كما بدأت تلحظ مدى اهتمام والدها بزوجه وإيثارها عليها واستسلامه إليها استسلاما مطلقاً شجع الزوجة على استغلال هذا الحب لاكتساح عواطف الأبوة ولم تمض بعض أعوام حتى باتت حياة الإبنة جحيما لايطاق إذ لا تجد حولها غير مايثير الدموع والشجن ويملأ قلبها بالأسى والألم لايرف على خاطرها حلما من أحلام الصبا الزاهر المعطر بأرج الربيع الموشى بالأمل الباسم . . . إنها تخطو نحو الربيع غير شاعرة بنضرة زهوره وعطر وروده ولاتتحسس غير الشوك ولاترى فى سماء حياتها غير الضباب الذى حجب عنها كل مايدفع الأمل الباسم إلى نفسها ، نكد لاينقطع يدر الدموع من عينيها صباح مساء حتى كرهت حياتها وراحت تدعو الله بأن تلحق بأمها لتستريح مما تعانيه ويزيد من حزنها وآلامها أن الزوجة لاتواليها أى اهتمام بل تبدو دائما فرحة طروب تولى نفسها وزينتها اهتماماً بالغاً وتفكر فى مصدر هذا فيقف تفكيرها القاصر عند حب الوالد لها وإعجابه بكل ماتبديه ولم يعد لها حيلة غير الخضوع لمشيئة الله الذى حرمها من أمها وأخواتها كما حرمها من حب والدها وحنانه وإيثار زوجته عليها وتستسلم لحزنها وآلامها منطوية على نفسها عزوفة عن كل مايبعث الأمل الحلو المشرق فى نفسها وباتت سجينة البيت كأنها خادم يتحتم أن تقوم بعمل ماتأمرها الزوجة به عكس الزوجة التى تمرح فى البيت كعصفور لاينقطع عن الغناء تخرج كلما شاءت وتقابل فى البيت من تشاء دون أن تشرك مسرة فى الخروج أو اللقاء وتسائل نفسها ، ماالذى غير زوجة أبيها وحول حبها إليها قبل أن تتزوج والدها إلى كره وغيرة سافرة تنم عن حقد دفين كأنها — ضرتها وإذا حاول الوالد أحيانا أن يعطف عليها أو يحبوها بالحنان خلسة فإن

بمحاولته تلك كانت تزيدهـا حزنا وإيلاما لأنه إذا عطف عليها لحظة يتجاهلها كلما كانت زوجته بجواره أو على مقربة منه هو الذى كان لايغفل عنها لحظة قبل زواجه وإذا حدث وانتهز فرصة إنهماك زوجه فى عمل مابعيد عنه قربها إليه مبديا إعجابه بنضوج جسمها مظهرا ابتهاجه لأنها أصبحت وردة ناضرة يسر العين مرآها وهى تذكره بأمها فى صباها فإذا لمح زوجته تقترب منها تغافل عنا بالقراءة ، كان ذلك يحز فى نفسها لمجاهرته بحب زوجته أمامها وإخفاء حبها أمام زوجته وقد يكون له العذر لأن زوجته لاتطيق تصوره لزوجته الراحلة مجسمة فى ابنتها خصوصا بعد أن سمعته مرة دون أن يشعر وهو يقول لابنته .. إنها تذكره بأمها بصوتها ومشيتها وحركاتها فكأن الأم مازالت تعيش بين يديه حاضرة ندية فى أول عهدهما بالزواج .. لم يدر الزوج المسكين بأن تصريحه هذا يوم جاهر به ابنته بحسن نية نبه الغيرة والحقد والأنانية فى قلب زوجته ودفعها إلى التفكير فى ضرورة التخلص من الإبنة — التى تثير ذكرى أمها كلما رآها والدها ورغم أنه حرص على ألا يثير ذلك لكن الزوجة الماكرة كانت تطالع مشاعره الخفية كلما وقع نظره على ابنته أو ترامى إلى سمعه صوتها عن قرب أو بعد .

صراع بين عاطفتين

خرجت الزوجه لقضاء لوازم لها ونسيت كسابق عهدها أن تسمح لمسرة بزيارة عمتها إذ كانت تحرص دائماً ألا تترك البنت مع الوالد أثناء خروجها فاحيأنا تصحبها لتحمل لها ما تشتريه كأنها الخادم ثم تتركها عند إحدى معارفها ريثما تعود من جولتها ليكلا تعرف تصرفاتها . . . . وشعر الزوج بخلو البيت منها فتنفس الصعداء إذ كان برغم تعلقه بها وخضوعه إليها غير راض عن معاملتها لابنته ومنعاً للنزاع كان يتجاهل ابنته أمامها لكيلا يثير غيرتها التى تسبب له متاعب تزلزل أعصابه التى بدأ يشعر بضعفها .

وانتهزت الابنة أيضاً فرصة تغيب الزوجة فاقبلت على والدها تبثه حبها الأكيد وحنانها المكبوت وتفتح قلب الوالد عن حبه العميق فطوقها بذراعه يقبلها قبلات الأبوة الحانية وكأنه رآها بعد طول غياب وأسند رأسه على صدرها الحانى الصغير مستعيدا ذكرى الماضى الجميل يوم كان يسند رأسه على صدر أمها أثر إجهاد شديد وغاب بحواسه مع الماضى حتى نبهته ابنته قائلة حدثنى عن أمى ياأبى كيف عرفتها وهل كنت تحبها ذلك الحب الذى يصوره المحب المتفانى فى أقاصيص الحب ؟ ورفع الوالد رأسه فهال الإبنة الدموع التى غمرت وجهه فجففتها بيدها البضة الرقيقة . . . وطفرت دموعها وقد انتفضت مشاعرها شفقة عليه وبنبرات صوت متهدج قال : كأنى أرى أمك الآن رحمها الله لأول مرة . كان ذلك فى حديقة عامة . . تتريض مع خادمتها وكنت ناهزت الأربعين غير راغب فى الزواج حرصا على راحة إخوتى حيث كنت أعولهم بعد وفاة والدى متخذا من القراءة والرياضة سلوى لى وغلبه الأسى مع انهمار دموعه فاحتضنته ابنته فى حنان قائلة . . . إنك تزيد من آلامى فهون عليك رحمة بى . . ليتها عاشت

ليت الله أبقاها لى من أجل . . . فغمغم بشفتين مرتعشتين ومن أجلى أيضاً يا ابنتى ثم تنفس الصعداء مردفا بصوت تخنقه العبرات . كم أنا سيىء الحظ يا ابنتى اليس المال كل شىء فى الحياة . . . بل كثيراً ما يكون سبب الشقاء . . لولا ثرائى لما حامت النساء حولى بعد وفاة أمك كما يحوم الفراش حول النور . . . . . وأرادت إبنته أن ترفه عنه فقالت إذ شعرت باللوعه تكتم أنفاسه . . . لم أكن أعرف أنك شاعر ياأبى فقال واللوعة تغلف نبرته . . . كان ذلك يوم كانت ملهمتى معى فطوقته بذراعيها وهى تقبله قائلة . . إنك تعترف بأننى شبيهة بأمى ألا يكفى ذلك لإلهامك قال : إذا لم يكن بيننا ذلك الحاجز الذى يحول بينى وبينك . . قالت فى مرارة . . . ولم لا تحطم هذا الحاجز وأنت قادر . . . قال بصوت خفيض متكسر كأنه يخاطب نفسه . . . هناك قوة أقوى منى . . . إن قوة الطبيعة ياابنتى أقوى من الإنسان . . . غداً عندما يكتمل نضجك تعرفين ما تجهلينه اليوم وتدركين بوسى وعذابى ولا حيلة لى غير الخضوع والتسليم فتنهدت بحرقة قائلة مثلى تماما فقال وقاك الله شر السوء فتكلفت بسمة لتهون عليه وقالت هون عليك يا أبى بتصوير مشاعرك شعراً . . . سيكون صادقاً ورائعا لو فعلت . . . ولو من أجلى . . . قال والغصة تبتلع أواخر كلماته : لقد أخذت أمك معها الالهام والأمل المزدهر الحلو والإشراق الدائم والحب الصافى النقى الطهور وتنهد طويلا ليرفه عما يعانيه فقبلته ابنته قائلة :

ألا تسمعنى شعر إلهام أمى ،فسرح بذهنه ليستعيد شاعرية ماضيه ثم ابتسم كأنه رأى طيف أمها مجسما أمامه وانتفض وبصوت ترتجف نبراته قال: قلت يوم رأيتها أول مرة .

هيفاء ماست تتثنى كالغصن حركه النسيم
إن أقبلت لاحت بوجه ضاحك السن الوسيم

في رقة من حسنها تنسيك جنات النعيم
وبعقلة لو صوبت للصخر أصبح كالهشيم
وبصوتها نغم به سحر من الله الكريم
وبرغم ذاك تظنها بدر تواريه الغيوم

كان يطوقها بذراعيه وهو يردد الشعر ولا يدرى بأن زوجته عادت من الخارج وتسللت فى حذر لترى ماذا تفعل الابنة فى غيابها حيث تنبهت بعد مغادرة البيت إلى أنها تركتها ولذلك عادت مسرعة دون أن تنهى جولتها كالمعتاد وعندما سمعت حديثه مع ابنته كأن صاعقة نزلت عليها فأخمدت أنفاسها وراحت تنظر إليهما كما تنظر اللبوة إلى فريستها ولم تلبث حتى استجمعت حنقها وغيظها وانقضت عليه فى انفعال ثائر وغيرة جنونية تسب وتلعن الأيام التى جمعت شبابها بكهل مثله . . . وريع الزوج كأنه اقترف إثما شنيعاً واختفت الإبنة من أمامها فى ذعر تاركة إياها تصب عليها حام غضبها لانتهاز فرصة تغيبها واصطناع الحب لأبيها وهى تتمنى أن يموت حالا لترثه ولم تهدأ إلا بعد أن استرضاها الزوج بما عودها ان يسترضيها به وهو مبلغ كبير لشراء لوازم لها . . . واصطنعت التسامح على شريطة ألا يعود لمثل هذا التصرف الذى تعتبره شائناً ولايليق به لتهمة إياه بمغازلة ابنته وهذا شأن من أصيب بمس من الشذوذ ..على أن ترضيتها لم تثنها عن غيرتها من الإبنة متهمة زوجها بالخبل مفسرة كل نظرة تقع منه على ابنته أو ابتسامة تفسيراً لاينتمى إلى الفضيلة بصلة كأنه أصيب بالشذوذ وعيل صبر الزوج وثارت كرامته وفاض احتماله فاعتزم أن يطلقها وأدركت الزوجة بدهائها أنه بدأ يتجنبها ويلمح كلما حدث بينهما مشادة إنه لم يعد يحتمل دكتاتوريتها وفسرت تصرفاته معها بتأثير ابنته عليه وقد يطلقها تحت تأثير أخته التى لاترتاح إليها وهو حريص على مرضاة أخته دائما ووجدت نفسها تواجه مؤامرة يتحتم أن تتغلب عليها فى الخفاء والدهاء وراحت تحوطه برعاية فائقة مع أسفها الشديد عما بدر منها بسبب غيرتها عليه لفرط حبها

له بجانب حبها لابنته وحرصها على سعادتها مسممة تفكيره بالشك فى ابنته بأسلوب لايدعو للشك فيما نقول . . فتقول له أحياناً . . ابن الجيران يغازل ابنتك ومعه الحق لأنها حلوة وهي بريئة وأخشى أن تصدقة . . . ومرة أخرى تقول . . . لقد تعقب ابنتك فى الطريق شاب حتى باب العمارة ولو أنها لم تلتفت إليه لكن الجيران بدأوا يتفوهون بما هى بريئة منه معقبة . . البنت كبرت ودائما جمال البنت يعرضها للإشاعات ربنا يرزقها بابن الحلال . . وإمعاناً فى اقترافها تتكلف حب ابنته والخوف عليها وعلى سمعته ولم يحاول الأب أن يراقب ابنته ليتأكد من صحة أقوال زوجته إذ كثرة خروج ابنته برر صحة أقوال الزوجة ولا يدرى أن الزوجة هي التى تدفعها للخروج دائماً . . . ولما وجدت الزوجة أن هذه السياسة غير مجدية إذ لا يمكن للوالد أن يطرد ابنته لتعيش مع عمتها كما كانت تأمل . . . سلكت طريقاً آخر للتخلص من الإبنه لأن والدها رغم سلاسة خلقه وخضوعه لها يخشى مغبة كلام الناس إذا تخلى عن ابنته وأخيراً وجدت أنه لا مناص من التخلص منها إلا بزواجها واختمرت هذه الفكرة فى ذهنها ولم يعد يشغلها غير تنفيذها بأى وسيلة مهما كلفها الأمر وساعدها على تنفيذ ذلك قريب فقير كان يحضر لها الطيور والزبد والجبن من الريف ولم تشأ أن يظهر أمام زوجها بمظهر الفقير المعدم فاشترت له زياً يليق بالرجل الريفى الثرى وكانت تنقده ثمن ما يحضره سراً وتشعر زوجها بأن كل ما يحضره هدية منه دون مقابل مما اضطر الزوج إلى تكريمه واستضافته كلما حضر وبعد أن تأكدت من توثيق العلاقة بين الزوج والقريب أبدت رغبتها لزوجها أنها تستطيع أن تقنع قريبها بالزواج من مسرة . . رغم إعراضه عن زواج بنات المدن وتكاليف الأسر الكبيرة عليه ليتزوج فتاه من أى أسرة عريقة ودون تردد وافق الوالد واصطنعت دور الوسيط بين الزوج والرجل فى الوقت التى كانت تتفق سراً مع الرجل على تنفيذ الخطة التى رسمتها واشترت على حسابها الخاص شبكة تليق بمقام

الوالد من الأموال التى كانت تسحبها منه لشراء لوازمها الخاصة وإمعانا فى تحقيق رغبتها أسرت إلى زوجها إلا يخبر ابنته إلا يوم عقد القران خشية أن تكون على علاقة مع الشاب الذى يوصلها كلما خرجت إلى المنزل كما يقول الجيران فيفسد عليها هذا الزواج ويستجيب الوالد لرغبتها ظناً منه أن فى ذلك سعادة ابنته ولم تدر الزوجة أن الخادم ترامى إلى مسمعها الحديث الذى جرى بينها وبين قريبها وعرفت من سياق الحديث كل ما جرى بين الزوجة والقريب لتنفيذ هذا الزواج لكى تتخلص من الإبنة وما يعود عليه من مال وفير بسبب هذا الزواج وكانت تحب — مسرة — وتعطف عليها لسوء معاملة الزوجة لها فنقلت إليها الحديث راجية ألا تخبر أى أحد بذلك وعليها أن تحتاط . . . وكتمت مسرة الأمر ريثما تحين الفرصة للتصرف بما يقتضى صيانة نفسها من مؤامرة الزوجة الوضيعة .

على حافة الصراع

فاجأ الوالد ابنته صبيحة يوم تم أسارير وجهه عن اغتباط لاحد له وسرور يمتزج بلهجته وهو يطلب منها الخروج مع زوجته لانتقاء ثوب جاهز يليق بعقد قرانها مساء اليوم وتؤخذ مسرة — للمباغته إذ لم تكن تتصور أن المؤامرة تتم بهذه السرعة وتتجاهل الأمر متسائلة عمن يكون العريس فيخبرها والدها وهو من شدة الفرح يوشك أن يرفعها بيديه من على الأرض وتلحق به الزوجة مشاركة إياه الفرح ممتدحة العريس فى مبالغة واضحة مؤكدة أنه زوج المستقبل السعيد . . . وترفض مسرة هذا الزواج فى إصرار إذ لاتريد أن تتزوج . . وتنظر الزوجة لزوجها بمعنى . . لابد أن يكون هناك علاقة بينها وبين الشاب كما يقولون . . ويضطر الوالد أن يغير لهجته من اللين إلى العنف وتقترح الزوجة لتخفف من حدة الوالد ترضية لمسرة أن تريحها من الخروج وهى تقوم باختيار الثوب المناسب لها وتتصرف دون أن تترك لمسرة فرصة لابداء رأيها وتخلو مسرة إلى نفسها شاعرة بأنها مسوقة للمشنقة وهذا العريس هو جلادها ولم يسعها إلا أن تبكى فى حرقة ومر بخيالها طيف أمها التى كانت ترتمى بين أحضانها لتجد منها الحماية إذا شعرت بأى أذى ورفعت وجهها إلى الله ملتمسة منه حمايتها من نكاية زوج أبيها ونظرت من النافذة تدعو الله العون فلاح لها الأفق حزينا كئيبا كأنه يشاطرها الآلام وهفت عليها نسمات علوية تحسست فيها روح أمها تحنو عليها واستشعرت الطمأنينة ولم تلبث حتى انتقض الأفق عن ومضات التمعت ثم اختفت قبل أن يرتد إليها طرفها فريعت وعاودها الحزن والالتياع .

وعادت الزوجة من الخارج تحمل إليها رداء العرس متظاهرة بالفرح فلما واجهتها مسرة بالأعراض والممانعة اضطرت أن ترفع غشاء الرياء

قائلة لها فى عنف هل جننت أن العريس مطمع فتيات أكثر منك جمالا وأوفر ثراء احمدى ربك فلولاى لما تقدم إليك وفى غير مبالاة خرجت مسرة عن صمتها قائلة زوجيه بفتاة ممن يرغبن فيه ، اما أنا فلا اريده ، وعادت الزوجه لاصطناع الملاطفة إذ وجدت أن الشدة لاتجدى ، قائلة فى خبث . . . ياحبيبتى إنها فرصة العمر أدعو الله ألاتفلت من ايدينا انت فتاة طيبة عفة لاتعرف حب السوقه غداتحبينه وتعرفين أى صنيع جميل فعلته من أجلك وهذه مشيئة الله ورغبة والدك فحذار أن ترفضى والا اتهمك الناس بما يتنافى مع شرفك وشرف والدك فكونى عند حسن ظنه وظننا بك وهدأت الفتاة ملياً لتشعرها بأنها تأثرت بحديثها وقالت بصوت خفيض متكسر حزين أعرف أنه يجب ان أطيع والدى ، لكن هذا مستقبلى ومصيرى فيجب أن أشترك فيه على الأقل وأرادت أن تتمثل بها فى الرياء فطوقتها بذراعيها قائلة بنبرة حزينة وقد غمرت الدموع وجهها . . . . أرجوك ، أعفينى من هذا الزواج ، ،كونى صاحبة الفضل على فى رده دون أن يغضب أبى منى ولك من التأثير عليه مايكفل لك هذا الحق وتكلفت الزوجة التأثر بها فقالت بصوت رقيق ناعم سأحاول أن أقنع والدك فان نجحت المحاولة كان بها . . . لأن هذه رغبته وإن لم تنجح فلابد من طاعته وتركتها وهى تقول على مسمع منها لتشعرها بالعطف عليها الخير فيما يريده الله . . . ويشمل البيت سكون رهيب إذ تخلو الزوجة بزوجها دون أن تشعر الإبنة لتسر إليه بما افضت به مسرة من حديث محاولة أن تكيفه بالاسلوب الذى يثير تصميم الوالد على الزواج ، بينما خلت مسرة بنفسها تشاورها هواجس شتى مستعيدة بذاكرتها كل ماكتبه الكتاب وأذيع فى المذياع والشاشة من آراء تحتم ضرورة تعليم المرأة آسفة على خضوعها لمشيئة والدها الذى حتم عليها عدم إتمام دراستها بدعوى أنها ليست فى حاجة إلى المزيد من المال الذى تحصل عليه من مرتب الوظيفة ويجب ألا تتعدى حدود عملها كأنثى وربة بيت ورغم

أنها تغلبت على هذا الحرمان بالاطلاع على الكتب والمجلات التى تتمكن من شرائها بمصروفها الخاص الذى يمنحها إياه والدها خلسة مستعينة بصديقة كانت زميلة لها فى التعليم الابتدائى وهى الآن طالبة جامعية ولكن الصداقة بينهما أخذت تنمو مع الزمن فى صدق وصفاء أتاح لمسرة فرصة الاستعانة بها لتفهم مايصعب عليها تفهمه حتى غدت بفضل تلك الصديقة مع اطلاعها الوفير ذات تفكير خصب مع إدراك واعى ومعرفة تامة لمفاهيم المجتمع الاشتراكي الحديث وتطور العصر .

وحان وقت عقد القران وفشلت محاولاتها للتأثير على والدها وزوجته واضطر الوالد أن يعاملها دون رحمة متهما إياها بقلة الأدب والفجور وفجأة حمل البرق برقية إلى الوالد يخطره العريس بأنه مضطر لتأجيل عقد القران لوفاة والدته فجأة . . . وتألم الوالد والزوجة . . .. وحمدت مسرة ربها الذى وقف بجانبها فى آخر لحظة موقنة بأن الله لن يتخلى عنها . . وخلت بنفسها وقد انمحى من ذهنها أخيلة الآمال الحسان التى تطوف بذهن كل عذراء فى سن المراهقة وخبا نور الأمل الذى كانت تتطلع إليه فى كنف زوج حبيب طالما مرّ بأفق أحلامها يلوح لها بعصاه السحرية لترى معه ما وراء عوالم الحب التى لم تحظ برؤياها فى عالم الأسرة التى تعيش فيها . . ولطالما عاشت مع هذا الحلم الجميل وطافت معه آفاقاً لم تخطر ببالها من قبل وتنسمت معه عبير الحب الغامر يضمها القدر الباسم فى برد السعادة المنشودة يغمرها الحنان الدافئ فتنسى معه ما مر من أيام التكد والشقاء ولم تعد تذكر بجوار زوجها الحبيب غير حا ضرحا ، بما فيه من متعة وهناء ، كانت تحلم بذلك وتتصور وقوعه فى أى لحظة أما وقد تلاشى الحلم بما فيه من أمانى مرتقبة أمامها غير الخضوع لمشيئة الله الذى لا راد لقضائه على أن الله وحده قادر على أن ينجيها من الكمين الذى أعدته لها الزوجة لتقضى عليها وصعب عليها أن تتزوج برجل كانت تنأى عنه دون أن تشعر بأنه شريك الزوجة فى المؤامرة . . إن رؤياه كانت تثير الاشمئزاز فى نفسها وتنفر منه إذا حاول أن

يتقرب إليها وهو فى نظرها أقل من الحيوان قيمة . . . إنها تألف كلبها الذى اتخذته من دون أهل البيت أليفاً ، تبثه آلامها وتسمعه أناتها وتكاشفه خفايا وجدانها البكر الحزين وتطلعه على دموعها المسكوبة التى تنزل على وجهه أحياناً عندما يدنو منها ويرفع وجهه إلى وجهها كأنه يسألها بغير صوت ، ماذا بك ؟ وينظر إليها وقد التمعت عيناه ببريق لو بدا فى عينى إنسان لقيل أنه أصدق محب عرفه التاريخ فإذا مرضت وامتنعت عن الطعام لزم الركود عند مؤخر مضجعها تحت قدميها ممتنعاً بدوره عن الطعام لايفارق نظره وجهها ليل نهار كأنه يتابع صحتها إن تحسنت أو لم تزل فى حالة إعياء ، أليس هذا الوفاء وتلك الأمانة خلاصة مايتمناه الإنسان ويرجوه ممن يرتبط به أو يهواه ، لقد تعلمت من الكلب الصبر وتمنت لو يتعلم السارق منه الأمانة فلطالما أهملت زوجة أبيها إطعامه أثناء خروجها فلا يحاول أن يسرق الخبز الموجود على مقربة منه أو يبادلها الإيذاء إذا اعتدت عليه وضربته عندما يحضر قريبها الريفى وينبح منها أهل البيت فى وقت لا تريد أن تنبه أحد لمقدمه . . إنها تريد أن ترتبط بإنسان له صفات الكلب ويمر بخاطرها ذكرى المشادة التى قامت بينها وبين زوجة أبيها بسبب هذا الكلب فقد لاحظت الزوجة أن — مسرة — تولى الكلب اهتماماً فتعنى بطعامه واستحمامه فى الوقت الذى تهمل فيه ما تكلفها به من مهام البيت وقد كانت تعمد مسرة أحياناً عدم القيام بكل ما تكلفها به لأنها تنكر عليها الجهد الذى تبذله وتشعر الوالد دائماً بأنها بمعاونة الخادم وحدها تقوم بكل شئون البيت غير معتمدة على ابنته الكسول وبلغت كراهية الزوجة للكلب إلى حد دفعها إلى تكليف الخادم سراً برميه بعيداً عن المنزل . . . واستجاب الخادم وتركه فى مكان ما ولكنه عاد ولاذ بمسرة كأنه يستنجد بها واشتد غيظ الزوجة كأن بين الكلب ومسرة صلة يجب أن تقسم فأوعزت للخادم أن يذهب به إلى مكان نائى وهددته بالطرد إن عاد ونفذت الخادم رغبتها على مضض وشعرت مسرة بخلو البيت منه

أو على الأصح بالفراغ الذى كان يملأه بالنسبة إليها فسألت عنه فقالت الزوجة ربما خرج إلى الشارع واصطادته عربة الكلاب وحمدت الله على الخلاص منه ولم تدر بعد ساعات أن الكلب قد عاد وغافل الزوجة كأنه لص يتسلل خفية واختفى تحت سرير مسرة دون أن يبدى حركة أو يرفع صوتاً كأنه يريد أن يعيش بجوار مسرة وحسب وشعرت الزوجة بحركة غير مألوفة فى غرفة مسرة ... أثناء مرورها من أمامها وكان يتناول الطعام الذى قدمته إليه مسرة خلسة وظنت أن عشيقاً لمسرة تسلل خلسة فى الليل فدخلت بدعوى البحث عن رباط رأسها الحريرى إذ قد تكون الخادم خبأته فى هذه الغرفة ولم يكد نظرها يقع على الكلب حتى صرخت فكأن عقرباً لدغها وقامت مشادة بين مسرة وبينها إذ اتهمتها بأنها تعاندها وهددت بترك المنزل إذا بقى الكلب بحجة أنه نجس ويلعق فى الأطباق واستندت إلى أحاديث ترامت إليها ومنها أن الملائكة لا تحل بمكان يحل فيه الكلب ورغم إيمان الزوج وتأدية الصلاة فى أوقاتها فقد خالف زوجه لأول مرة لأنه كان هو أيضا يحب الكلب ويأنس إليه إذا تجنبته زوجته كما أنه عزيز عليه لأن صديقا عزيزاً استودعه إياه عندما ذهب لعيادته فى آخر أيام حياته فأهداه إياه وأوصاه به خيراً وكان هذا الرجل مولعاً بالكلاب يعيش لها لاعتقاده أنها أوفى من الإنسان وبلغ من حبه لها أن أوقف ثروته على العناية بها قانعاً تؤنس بها وحشته مضرباً عن الزواج وقد سأله أحد المدعوين فى حفل أقامه بقصره العظيم فى كوبرى القبة لماذا لم تتزوج ولا ينقصك أى شئ سوى أطفال يملأون القصر بهجة وأنساً . . . . فأجاب أن أنثى الكلب تلد تحت إشراف الطبيب وأظل بجوارها أرعاها ولا أحتمل أنينها فمابالى لو كانت زوجتى هى التى تلد . . . ومرض الرجل مرضاً خطيراً نفر منه الأصدقاء ولم يجد حوله غير الكلاب وخادمه العجوز الخاص ولما اشتد به المرض استدعى لفيفاً من الأطباء ليعرف آخر ماوصل إليه الطب وجمعوا رأيهم على ضرورة سفره إلى الخارج وقبل انصرافهم اختلى بهم قريب له وهو قريب له وهو وريثه ليعرف

آخر رأى . . . فقيل له الأعمار بيد الله فقد يعيش بالمرض أعواما طوالا وعلى أثر انصراف الأطباء استدعى القريب بعض رفاق له وتحدث إليهم خلسة بعيداً عن المريض والخدم وفى منتصف الليل بعد أن نام الخادم الخاص للمريض وانصرف الطاهى والبستانى حاول القريب ورفاقة اقتحام غرفة المريض ولكن قبل اقتحامها انقض كل كلب على ساق رجل وألقاه على الأرض كأن الكلاب كانت عليمة بما سيحدث فتوارت دون أن تنبح ريثما تقضى على الجناة . . . وتعالت أصوات الرجال مستغيثة وهرع الخادم ليخبر السيد بأن لصوصاً كانوا يحاولون إقتحام غرفته وعبثاً حاول الرجال التخلص من أنياب الكلاب إلا بعد مجئ بوليس النجدة وخاف المريض أن تتعرض الكلاب للأذى فانتفض كالملسوع وقام يجرى ليخلص الرجال من الكلام فى الوقت الذى حضر فيه بوليس النجدة وذهل القريب كيف تحرك المريض بعد أن مضى عشرة أعوام مشلولا واشتد ذهول من حوله عندما تكلم بعد أن فقد النطق طوال هذه السنين . . . .

نادى الكلاب كل باسمه فهرعوا إليه يعانقونه بأيديهم ويتلمسون يديه ورجليه كأنهم يقبلونه على طريقتهم يهزون ذيولهم ويرفعون أصواتهم بنغم الزغاريد وثبت من التحقيق أن الجناة أجرهم القريب لاغتياله .

ولما عاده الطبيب لينصحه بضرورة السفر إلى الخارج لعلاجه وقف مشدوهاً عندما استقبله واقفاً مرحباً . . . وحدثت المعجزة . . . بأمر الله وتناقل الأطباء هذا الحديث وقرر الطبيب النفسانى أن المريض كان يعيش تحت سيطرة اليأس والقنوط فلما اصطدم بالخوف على الكلاب تحركت الأعصاب الميتة وجرى فيها شريان الحياة إن كثيراً ما تكون الأمراض وليدة الوهم حبيسة المحال الوهمى ، وازدادت عاطفة الرجل نحو الكلاب إلى حد أوصى لها بنصف تركته بعد مماته لتظل فى مأمن بعيداً عن التشرد فى الطرقات ومنعاً من المجاعة القاتلة وعلم وريثه بهذه الوصية من حديث الخادم الساذج

الذى يثرثر دون أن يعمد إلى الإساءة لسيده فغافل القريب السيد والخادم ووضع السم فى طعام الكلاب خلسة وفى الصباح دخل الخادم ليقدم الطعام كعادته للكلاب فى الحجرة التى خصصت لهم ولشد ما هاله أن يراها جثثاً هامدة وصرخ الخادم وهو يعدو كالمجنون لينقل النبأ إلى سيده الذى استمع إليه ولم يتكلم فقد أخرسته الصدمة وأصيب نصفه الأيسر بالشلل وسرعان ما طلب محاميه .... فلما جاءه كلفه باجراء اللازم سريعاً لتسجيل تركته باسم جمعية الرفق بالحيوان غير مبلغ خصصه لرعاية الكلب الذى نجا من الموت حيث كان الكلب مختبئاً تحت سريره فى هذه الليلة دون أن يدرى وكأن الله أراد له الحياة فلما علم والد مسرة بعودة المرض إلى صديقه ذهب لعيادته وخاف المريض أن يموت فجأة فأوصاه أن يأخذ الكلب بعد وفاته وبعد أيام قلائل فوجىء والد مسرة بخادم الصديق يحمل إليه الكلب مع رسالة أوصى فيها بمبلغ شهرى من إيراده لرعاية الكلب وأبى والد مسرة أن يكون أقل عطفاً على الحيوان من صديقه فتنازل عن المبلغ لجمعية الرفق بالحيوان باسم صديقه الراحل ورغم معرفة الزوجة بما جرى فان الرحمة لم تتغلب على كراهيتها للكلب .

مســـرة بين أمواج الدوامة

كلفت الزوجة الخادم بإخراج ملابس خروجها من صيوانها لكى تستبدل ملابسها فى غرفة أخرى لكيلا يراها زوجها وهى تريد أن تخرج وتعود قبل أن يغادر فراشه وبينما كانت الخادم تبحث فى الصيوان عن الملابس التى أشارت إليها الزوجة وقعت ورقة على الأرض .

وغادرت الزوجة البيت دون أن تشعر بها مسرة أيضاً ودق جرس التليفون فاضطرت — مسرة — أن تجيب لخلو الردهة إلا منها وكان لا بد أن توقظ والدها ليخاطب محاميه فى هذا الوقت دخلت الخادم لتضع ملابس الزوجة على المشجاب ووقع نظرها على الورقة التى دفعها الهواء إلى القرب من سرير الزوج فتناولتها الخادم وقدمتها إليه قائلة : هذه الورقة وقعت منك يا سيدى .. فأخذها وناولها لمسرة قائلا : اقرئيها يا ابنتى فقد تكون هامة... فلما قرأتها امتقع وجهها واضطربت وقالت فى تلعثم لا . . . إنها ليست خاصة بك . . .لقد وقعت من كتاب كنت أطالعه حيث أدون كعادتى أهم النقاط التى تروقنى أثناء القراءة فضحك الوالد وعقب لشد ما أندم الآن على عدم دراستك يا ابنتى . . . لو أتممتها لأرحت نفسك وأرحتنى مما تعانيه اليوم فقاطعته لتهون عليه . . هذا نصيبى والخير فيما يريده الله . . فربت على خدها فى حنان قائلا : سوف تكونى أماً مثالية وزوجة صالحة بإذن الله . . . وأدنى وجهها بيديه ليقبلها فذعر قائلا . . . . . إن جبينك كالثلج وسحب يدها مردفاً وكذلك يديك . . . أتشعرين بتوعك . . . قالت وهى تغالب انفعالها الداخلى : . . أبداً . . . أبداً قال بحنان اذهبى إلى فراشك وسأدعو الطبيب ليراك ، فقاومت ما تشعر به قائلة : أنا بخير فاطمئن وتكلفت بسمة مردفة .. من شدة الحر تناولت بعض قطع الثلج ومسحت وجهى ويدى فاسترد الوالد هدوءه وقال : لقد أزعجتنى . . حمداً لله قالت بصوت تنم نبراته عن ألم

دفين . . أتحبنى يا أبى . . . . قال كل الحب يا حبيبتى وهل لى فى الحيـاة سواك . . قالت . . . إذن لمـاذا تزوجنى وتحرمنى من رؤياك كل يوم بل كل ساعة وأنت عزائى الوحيد فى الحياة : قال بلهجة الحنان الصرف من فرط حبى أريد أن أزوجك اليوم قبل الغد ليطمئن قلبى على مصيرك وهنا صمت إذ سمع وقع أقدام زوجته بينما خرجت مسرة من الباب الموصل لدورة المياه لكيلا تراهاواختفت ودخلت الزوجة بملابس البيت وكأنها لم تغادره وكانت مسرة أخبرت والدها أنها تستحم عندما سأل عنها وراحت الزوجة تهدهده وتناغيه كأنه طفل صغير لكى يصحو وكان عمد إلى التناوم قبل أن تدنو منه .

وخلت — مسرة — بنفسها لتطالع الورقة فى إمعان ثم خبأتها فى صدرها موقنة بأنها مقبلة على مأساة كبرى وكادت تفقد مقاومة سر إخفاء الورقة شاعرة بانهيار يوشك أن يفقدها صوابها وصح عزمها على الانتحار ثم اعتزمت أن تترك لوالدها رسالة قبل أن تنتحر لتفضى إليه بما وراء زواجها. وكانت تعلم من قبل كما أخبرتها الخادم أن الزوج الذى تقدم إليها قريب الزوجة من أجل ثروة والدها ولكن هذه الورقة كشفت سراً أفظع من هذا المأرب . . . . وكتبت الرسالة وفكرت فيمن تأتمنه على توصيلها لأبيها وأخيراً لم تجد من تطمئن إليه غير صديقتها رفيقة طفولتها واستدعتها عن طريق خادمتها .سراً وبعد أن أطلعتها على الرسالة وصارحتها بما انتوت عليه راجية منها أن تسلم لوالدها الرسالة بعد انتحارها لكى تخلص من حياتها وما تعانيه من زوجة أبيها وما سوف ينجم من زواجها الذى يصر والدها عليه ولزمت الصديقة الصمت ريثما تخرج كل ما فى جعبتها فلما سكتت لتجفف دموعها المنهارة قالت الصديقة بصوت العقل الناضج الرزين ، إن الانتحار لا يخلصك من حياتك على صورة كريمة شريفة كما تتوقعين . بل بالعكس سوف يربطك بالحياة على صورة بشعة مخزية تتنافى مع كرامتك وشرفك وسمعة والدك

وشرفه وسيكون وسيلة ناجحة لترويج الإشاعات التى تخلقها زوجة أبيك لتبرىء نفسها بأى وسيلة وقد تقضى هذه الفضيحة على والدك فيموت فى الحال وهذه أمنيتها لتحظى بثروته كما يتطاير شرر الفضيحة إلى جميع أفراد أسرتك فى كل بلد ولن يحاول أى إنسان حتى الذين يعطفون عليك الآن ويتلمسون لك المعاذير إذا وقفت من زوجة أبيك موقفاً عدائيا سوف يدافعون عنها ويبدو فى نظرهم أنها كانت على حق وبعد أن تحدثا طويلا فى هذا الشأن وأحجمت مسرة عن تنفيذ الانتحار نصحتها الصديقة بأن تلجأ إلى عمتها وتصارحها بالأمر ويقيناً ستقف العمة بجانبها وتتدبر الأمر بحكمة . . . . . وتعقب لقد أخطأ والدك فى الزواج بامرأة لم تزل تعيش فى غمرة أحاسيس الشباب المقهور وها هى النتيجة لتلك المأساة المروعة وتقاطعها مسرة لقد أدركت من هذه التجربة الماثلة أمام عينى والتى أعيش فى دنياها أن الرجل إذا تقدم به السن يكون كالطفل البرىء يقع تحت التأثير النسوى دون مقاومة وخصوصاً إذا كان الشيطان تقمص قلبها ولا تعرف الله ولكى تضع الصديقة حداً لهذا الحديث الذى لم يعد يجدى قاطعتها أنت الملومة والجانية على نفسك وعلى أبيك فلولاك لما تزوجها وهنا تنهدت مسرة — فى تحسر وندم معقبة — حقاً . لقد عرفت كيف تجذبنى ولحهلى بأساليب النفاق والحب المصطنع صدقتها وأحببتها وأثرت على والدى وعادت الصديقة تقول . . على كل حال . . الزواج قسمة ونصيب وعادت مسرة تقول : إذن على رأيك سأذهب إلى عمتى لتتصرف وعقبت الصديقة . وأعتقد أنها ستعالج الموقف فهى سيدة محنكة عاقلة . . هيا اذهبى فوراً وانتحلى أى عذر لوالدك يبرر ذهابك إليها وأبى والدها أن تخرج إلا بمرافقة زوجته وكانت الزوجة على موعد تليفونى فى هذه الساعة فاعتذرت بدعوى أنها منحرفة وأشعرت مسرة بأنها تتكلف ذلك لتترك لها حرية الخروج وعندما تصل مسرة إلى عمتها وتخلو بها تفضى إليها بما كتمته عنها طوال مدة زواج والدها خشية أن تلوم والدها فيزداد حنقاً وغضباً . . ولطغت العمة من حدة آلامها بحنانها الوفير موهمة إياه

بأنه يتحتم على أبيها أن يعامل زوجته بالرفق واللين لكيلا يزيد من غيرتها محاولة إذابة ما عاق بذهنها من أوهام مؤكدة لها أنه لا يمكن مطلقاً أن يحب والدها زوجة أكثر منها لكنه مضطر أن يتظاهر بذلك تحت تأثير قوة طبيعية ترغمه على الخضوع لزوجته وهذه القوة تشتد وتطغى عند بعض الرجال وتضعف وتخور عند البعض وقد تعتدل وتتزن عند البعض وما يحدث عند الرجال يحدث عند النساء فأحياناً تترك الأرمل أو الزوجة أولادها وهم فى أشد الحاجة إلى رعايتها وحنانها من أجل رجل تتعلق به وتتزوجه وقد يكون دونها سناً وحسباً وجاهاً . . وتبتسم العمة فى وقاره مردفة . . هذا بحث طويل عميق يا ابنتى غداً بعد أن تتزوجى وينضج عقلك وتكتمل تلك القوة عندك تدركين كل شيء وهنا تجد — مسرة أنه لا مناص من مصارحة العمة بما كتب فى الرسالة وتصعق العمة ولكنها تتماسك نفسها وتغالب انفعالها وتهدىء من روع مسرة — بعد أن توصيها بتجاهل هذه الرسالة وتترك لها الأمر وسوف تتصرف تصرفاً يحفظ لأخيها شرفه ولها كرامتها وسعادتها المقبلة . . وتمارضت العمة وكلفت الخادم أن تتصل بشقيقها ليحضر إليها حالا لأنها مريضة جداً وإذا سألها عن مسرة تخبره بأن عمتها سبق أن كلفتها فى التليفون بشراء بعض الأشياء لها أثناء مجيئها وعلى أثر مكالمة الخادم ريع الأخ لشدة تعلقه بأخته وعرض على زوجته مرافقته فرفضت متعللة بالانحراف إذ كانت فى الواقع تكره العمة كما تكره زيارة المرضى خوفاً من العدوى وذهب الأخ وحده فوجد أخته طريحة فى الفراش كأنها فى النزع الأخير وهاله مرآها على هذه الصورة واتجه نحو التليفون ليطلب الطبيب ولكن أخته أشارت إليه بألا يفعل وبصوت خفيض متقطع الأنفاس قالت : أدنو منى إذ عندى ما أقوله لك . . وبصوت أكثر خفوتاً بحيث لا يسمعه إلاه قالت : البارحة زارتنى صديقة لى وأخبرتنى أن زوجتك على علاقة مع زوج أختها وأنها اكتشفت ذلك عندما زارت الأخت وهى صديقتها فجأة وفوجئت برؤية زوجتك مع زوج الأخت ورغم أنها اصطنعت المجيء فى التو لتسأل عن

الأخت . . فان الخادم لحقت بالصديقة فى الشارع وأخبرتها أن ربة البيت غادرته منذ أسابيع على أثر شجار مع زوجها وزوجتك تعلم بذلك وهى تتردد على الزوج يومياً وتقضى معه بعض ساعات أثناء تغيب الخادم الذى يرسلها لقضاء بعض المهام عن عمد فى هذه الفترة . . ويحاول الزوج أن يدافع عن زوجته مؤكداً أن صديقتها ولا شك أنها تكيد لزوجته لأمر ما وإزاء إصراره على تكذيب ذلك تخرج الرسالة التى قدمتها إليها مسرة قائلة له : إن المكوجى عثر على هذه الرسالة وقد سلمها إلى عند مجيئ إليك منذ أيام على أمل أن أسلمها لزوجتك إذ كانت فى جيب المعطف الخاص بها . . وقد ناولنى إياها وأنا أطرق بابك وهنا تدخل مسرة كأنها جاءت فى التو وكان الوالد قرأها وأوشك أن يفقد صوابه لولا أنه تكلف الهدوء وهو يسألها أين كانت فتقول له إن عمتها كانت كلفتها بشراء قماش لرداء النوم ويصدق الوالد عندما يجد معها فعلا قطعة قماش جديدة أخذتها من إصيوان العمة حسب توجيهها وتصطنع العمة إبعاد — مسرة — عنهما ريثما ينتهى حديثها فتكلفها بعمل شاى لوالدها لأن عمل الخادم لا يعجبه وتستأنف العمة حديثها بعد خروج — مسرة — من الغرفة قائلة : لا تخبر ابنتك بهذه الكارثة وعليك أن تعالج الموقف بحكمة ولباقة وترفض الرجل الذى تقدم لابنتك مادامت تريد أن تزوجها ليخلو لها الجو من ناحية ولكى تستغل زوج ابنتك الأبله لاستغلال ثروتك من أجل عشيقها ؟ . . ويصعب على الأخ مقاومة انفعاله فيغيب فى مهب الصدمة ولا يتنبه إلا على صوت ابنته وهى تقدم إليه الشاى وفى هذا الوقت تطلبه زوجته فى التليفون لتطمئن على الأخت ولكى تتعجل زوجها وإن كانت فى الواقع تريد أن تعرف إذا كان بقاؤه سيطول لتتصرف كما يحلو لها فتخبرها مسرة — حسب تعليمات والدها — إن حالتها تحسنت بعد أن أعطاها الطبيب حقنة ردت إليها وعيها ويخامر الزوجة الشك وتراودها الظنون وتحسب أن مسرة ذهبت إلى عمتها لتؤثر على والدها كى يرفض الزوج فتسرع إليه ، ويفاجأ الزوج بها وعندئذ تسمع

أخته صوتها تنصح الأخ أن يلتزم التجاهل خشية الفضيحة وتقبل – نازك – على الأخت متكافئة التأثر والهلع لانحرافها وعندما تسألها كيف حالك الآن ؟ تقول الأخت كنت على وشك الموت والحمد لله لقد خففت حقنة الطبيب ما بي ويشملهم جميعاً سكون رهيب كل يفكر فيما يشغله وتضيق الزوجة بهذا الجو الخانق فتقول لزوجها لقد حان ميعاد تناول دواء المساء هل أذهب واحضره إليك إذا كان فى نيتك المبيت هنا فيقف الزوج كأن عقرباً لدغته قائلا . . . لا . . . لم تعد أختى فى حاجة إلى وتعقب الأخت دع مسرة بجوارى ... وينصرف الزوج والله وحده يعلم ما فى نفسه وترك ذراعه للزوجة التى تأبطته وبوده أن ينتزعه ويقذفها بعيداً فى عرض الشارع ولكنه غاب فى دنيا من هواجس يعلوها ضباب من خواطر السوء وضل تفكيره ولم يعد يدرى أيكاشفها بجريمتها أو يتريث حتى يضبطها وكان بطبيعته حكيماً رزيناً فقاوم إنفعاله على أمل أن يزور أخته مرة أخرى ليتشاورا فيما يجب أن يفعله فقد تهديه حكمتها إلى الصواب وفى اليوم التالى احتج لزوجته بأنه على موعد مع محاميه لإنهاء مشاكل خلو الرجل دون مقاضاة واحتراماً للقوانين الاشتراكية ويذهب لأخته وبعد أن يخلو إليها يستأنفا الحديث الذى انقطع عند مجىء زوجته وتنصحه الأخت أن يفتح صيوانها أثناء غيبتها كأنه يفتش عن أوراق افتقدها قد تكون وجدتها واحتفظت بها ربما يطلبها ثم يخبرها بأنه عثر على هذه الرسالة ويقف حيالها موقف الزوج الحريص على شرفه فى هذا الوقت تكون الخادم تسللت خفية لتسترق السمع كى تنقله إلى زوجته التى كلفتها بنقل كل ما يدور من أحاديث من مسرة والعمة والزوج وأخته كلما جاءها مقابل مكافأة مالية مغرية وأعطتها مبلغاً يشجع على هذا التصرف المشين واستطاعت الخادم أن تنقل إليها ماجرى . . وتبحث نازك على الرسالة فى الصيوان فلا تجدها فتدرك ما غاب عنها وتوقن أن مسرة وعمتها تآمرتا عليها بعد أن سرقت مسرة الرسالة واعتزمت أن ترد اللطمة بلطمة أشد منها وقعاً فلزمت فراشها متمارضة قبل أن يعود فلما دخل

عليها اصطنع الهدوء وهو يسألها عما بها بصوت مزعج كاد يرده عنها بعيداً بادرته قائلة بصوت أجادت تنغمه بالأسى واللوعة .. لم أشأ أن أترك بيتك لغير رجعة لكيلا تتهمنى بأننى أخذت كل شىء معى . . لكن خذ كل ما منحتنى إياه وتخلع الحلى من يدها وأصابعها وأذنها ومعصمها وترميها فى وجهه ثم تحضر ما تحتفظ به فى صيوانها وتضعه أيضاً بين يديه قائلة . . ألا أريد أى شىء حسبى أن أخرج بكرامتى وشرفى قبل أن تلوثها ابنتك فى الوحل ما ذنبى أنا . . هل هذا جزاء من انتشلت شرفك وسمعتك من الوحل وذهل الزوج وارتبك ولم يدر ماذا يقول وظل صامتاً واجما وهى تبكى فى نشيج وقاوم الزوج انفعاله واقترب منها متسائلا ماذا حدث ؟ قالت وهى تصطنع مقاومة صدمة زلزلت جنباتها . . لقد استغفلتنى ابنتك كانت تستكتبنى رسائل لصديقة لها لأن إصبعها كان مجروحاً وأخيراً علمت أن هذه الرسائل كانت ترسلها لعشيقها . . تصور بنت تبلغ بها الوقاحة إلى هذا الحد..
وزاغ بصر الزوج وبصوت يوشك أن يذوب فى حلقه قال : لم أفهم ماذا تعنى انتظرى لحظة وقام بتنفيذ الخطة التى اتفق عليها مع أخته وعرض عليها الرسالة متسائلا . . أخيراً اكتشفت خيانتك — ! ! فقالت بصوت مرتعش النبرات . . يالبراعة ابنتك فى الإيقاع بينى وبينك لقد وضعت هذه الرسالة فى دولابى إمعاناً فى النكاية فى الوقت الذى أكدت لى فيه أنك خرجت اليوم لتتفق مع محاميك على حرمانى من تركتك بعد وفاتك على أن تكون التركة كلها لها وحدها . . . واصطنعت الزوجة الضحك فى هستيريا وهى تقول . : ألم أقل لك من قبل أن ابنتك استغفلتنى وتحاول أن تفرق بيننا ليخلو لها الجو مع عشيقها ولن أدفع عن نفسى وسوف أثبت لك الدليل واتصلت بالتليفون بمخاطبة فتاة قائلة : احضرى حالا لأن مسرة تريدك لأمر هام إركبى تاكسى على حسابها ثم تكلفت الترفق قائلة استرح قليلا واهدأ ثم أمرت الخادم بعمل الشاى له وجلس الزوج وقد أخفى وجهه بين يديه وغاب عن نفسه بينما غافلته وأخذت التليفون فى غرفة أخرى وخاطبت الفتاة فى حذر بحيث

لا يسمعها أحد ولم تمض لحظات حتى حضرت الفتاة وتعمدت ألا تقابلها بدون زوجها وتبادرها بمجرد دخولها عليها :. لقد خرجت مسرة لشراء دواء لوالدها معذرة . ثم تخاطب الفتاه بلهجة جادة.. مسرة تقول .. إنك أنت التى توسطت بينها وبين الشاب الذى يحبها فتقول الفتاة أبداً هى التى تعرفه وتقابله دون علمى . . صحيح كلفتنى أكثر من مرة أن أسلمه الرسائل التى تكتبها إليه وهنا يقاطعها الوالد وما صلتك أنت بها لم أرك هنا أبداً . . . . فتسرع الزوجة قائلة كانت تحضر فى غيابك وأخبرتنى مسرة أنها كانت تلميذة معها فى المدرسة الابتدائية وعاد الوالد يقول .. وهل تعرفين الشاب فتضطرب الفتاة وتنظر للزوجة لتستنجدها فتقول الزوجة لقد سمعتها مرة تقول لك .. سيقف على ناصية الشارع وفى جيب الجاكيت منديل أحمر وبيده جريدة يلوح بها كأنه يطرد الذباب فتقول الفتاة .. صحيح هذا ما كان يحدث .. وتقول الزوجة . لقد قالت لك عند ما حضرت لأول مرة أننى زوجة أبيها لكن أنا عمتها وقد كذبت عليك .. ولقد طلق والدها زوجته فهل علمت ..فتقول الفتاة لم تخبرنى بعد ولكنها قالت لى مرة إنها ستعمل المستحيل لكى يطلق والدها زوجته فأين هى الآن لكى أهنئها وأشرب الشربات التى وعدتنى فيصفر وجه الوالد ويرتجف قائلا .. إنها عند عمتها وتقول الزوجة عمتها الكبيرة أما أنا فعمتها الصغيرة وتضحك ساخرة يظهر كانت تريدك لتسلمك رسالة جديدة وهنا يصرخ الوالد .. كفى .. كفى .. أخرجى وحذار أن تتصلى بها بعد اليوم إنك أكبر منها سناً وبلاغ للنيابة بأنك تحضها على الرزيلة يزج بك إلى السجن . . وتصعق البنت وتوشك أن تقول شيئاً وقد بدا عليها الخوف والهلع لكن الزوجة تسرع وتفسح لها الطريق قائلة وهى تفتح لها الباب .. لا ذنب لها الذنب ذنب ابنتك الفاجرة ثم تنفجر كالبركان وقد تطايرت كلماتها كاللهب وهى تقول : أسمعت ؟ هل صدقت أن ابنتك لها علاقة بشاب آخر ومن أجل ذلك تريد أن تفرق بيننا ليخلو لها الجو ولا تدرى المجرمة أننى أعمل فى سبيل الخير لها، ويطرق الرجل وقد تداعت

قواه وراح فى غيبوبة فكرية لا يدرى مداها .. أيهما أصدق .. الأخت ؟ أم الزوجة؟ ولكل منهما قرائن تثبت صحة الحزينة وتصطنع الزوجة البكاء بحرقة لاتلبث حتى تؤثر فيه فيتماسك نفسه ويستر بعض وعيه ويترفق بها مقبلا عليها قائلا : أنت امرأة ذكية فكيف غاب عنك أن الرسائل لشاب فقالت ، كانت الرسائل تدور حول الشرف وتحديد ميعاد لمكالمتها فى التليفون فإذا قلت لها لماذا لا تكلمك فى أى وقت تقول قد أكون مشغولة فى أعمال البيت ومن حسن حظها أننى لا أسمع محادثة المتكلم ولم يخطر ببالى قط أنها فاجرة إلى هذا الحد فقاطعها ولكن الرسالة تشير إلى أن الجو سيخلو بعد زواج العقرب والآخر على وشك الرحيل لغير رجعة ألم تسألها من هى العقرب ومن هو الأخر وإلى أين يرحل ؟قالت سألتها فأجابتنى صديقه لصديقتها توقع دائما بينهما أما الأخر فهو شقيق صديقها الذى يهاجر إلى الخارج لغير رجعة وقد حاول أن يغازلها ولكنها صدمته فى عنف فابتعد مضطراً . . . .

ولم يسع الزوج إلا أن يهز رأسه فى حيرة وأطرق ملياً مفكراً ما عساه يفعل بينما قالت وهى تبكى فى افتعال حار .. أرأيت مدى كراهيتها لى ومحاولتها التفرقة بيننا ولولا هذه الفتاة التى كشفت لى ما كانت تخفيه ابنتك لظللت عمياء حتى النهاية .. فعاد يقول : وكيف عرفت هذه الفتاة مع أنها لم تتصل بك شخصياً . . فقالت .. اتصلت بها يوماً وكانت بالخارج فتركت لى رقم تليفونها لكى تخاطبها وطبعاً لم أشك فعاد يقول وكيف عرفت أن هذه الفتاه وسيطتها قالت : المسألة لا تحتاج إلى فراسة فقد رأيتها مرة عند خروجها وقد وقعت منها الرسالة على الأرض فالتقطتها وهى مضطربة وخرجت مسرعة دون أن تحيينى خشية أن أرى الرسالة ولكى تقطع عليه حبل التحقيق قالت منتفضة فى ثورة قائلة لن أمكث معك بعد اليوم ، سأخرج حالا يكفى أننى احتملت جرائمها طوال هذه السنين ، لقد كانت تسرق نقودى من صيوانى وأنا أتهم الخادم وأخرج كل خادم بسبب ذلك وهى السارقة لتشترى لعشيقها الهدايا ، وذهبت إلى غرفتها لتجمع ملابسها

بينما ارتمى على المقعد متهالكا لايدرى ماذا يقول واستأنفت حديثها ولاشك أنها كانت تسرقك وانت لا تدرى ، ولعلك تتهمنى أيضاً إذا اتضح لك ذلك ووقع الزوج فى دوامة هواجس مختلفة عدا اتهام ابنته بالسرقة وأخرجته من سروحه قائلة وسب أن لى عشيقاً ، لماذا أكتب إليه ، وفى مقدورى أن أخاطبه تليفونياً فى أى وقت شاء وأنا حرة وأستطيع أن أقابله فى الخارج كلما شئت فلا داعى لمراسلته البته ، وشعر الزوج أن دفاعها هذا وجيها وانه لايوجد حقاً ما يبرر مراسلته وفى وسعها أن تتصرف كما تشاء .. وانتبه على صوت وقوعها على الأرض فخيل إليه أنها أصيبت بالإغماء فهرع إليها وحملها بمعاونة الخادم إلى فراشها وراح ينبهها بالرفق مع المنبهات حتى استفاقت وشعرت أن مشاعره تنبهت فطوقته بذراعيها قائلة : كل شيء أحتمله إلا شكك فى واضطر أن يلاطفها خشية أن يعاودها الإغماء واسترضاها راجياً منها أن تغفر لابنته هفوتها لصغر سنها وقصور تفكيرها وضآلة خبرتها بالحياة وسوف يعمل جاهداً على حل هذه المشكلة وانتهزت الفرصة وطلبت منه أن يزوجها فورا إذ لا سبيل إلى صيانة شرفه وشرفها إلا بزواجها واتفقا على ألا يثير هذا الأمر أمامها كأنه لم يحدث وأن يحسنا معاملتها لكى تقبل الزواج وهنا استعاد الزوج موقف ابنته وإصرارها على رفض الرجل الذى قدمته وحمد الله على أن الموقف مر دون حرج وخشى أن تقف البنت موقفا لا يشرفه إذا اضطر إلى إرغامها وهنا سرحت الزوجة مليا ثم قالت وقد تبادر إلى ذهنها فكرة جديدة . . . على كل حال الراغبون فى الانتساب اليك على مستوى يشرفك وسوف أختار لها ما يوافقها ويعجبها فاطمئن . . ولا تفاتحها فى الزواج الآن واتفقت معه على تنفيذ ما تشير إليه . . .

محاولــة جديدة

بعد أيام ترامى إلى مسامع —مسرة— أصوات الزغاريد وكانت عادت فى التوبناءعلى دعوة والدهابعد أن قضتهذه الفترة عند عمتها وعندما فتحت نافذة غرفتها لمحت أقواس الفرح ومصابيح الزينة معلقة أمام البيت وتنبهت على ذراعى والدها يطوقها من الخلف قائلا . . اعتقد مفاجأة اليوم تثبت لك مدى حبى لك ياحبيبتى وتلحقبهعمتها حاملة لها جلباب العرس قائلة.. هذا هديتى اليك لم أشأ أن ترتدى لباس العرس السابق فقد تنشاءمين منه وتنظر اليها — مسرة — بعينين دامعتين مرتمية على صدرها باكية قائلة : حتى أنت ياعمتى توافقين على أن أتزوج هكذا . . فتهدهدها فى حنو أكيد قائلة : إن والدك يحبك وهو لا يرجو فى دنياه غير سعادتك وقد وفق إلى عريس آخر يليق بالانتساب إليه وجدير بإسعادك ويحضر المدعوون وتتأهب — مسرة — لا رتداء ملابس العرس بمعاونة صديقتها ولم تظهر زوجة الأب للإشراف على إعداد المائدة وترتفع الزغاريد معلنة مقدم المأذون وترتجف —مسرة— ويساورها شعور مبهم مخيف غير مريح ويدخل الوالد ليصحبها لمقابلة المأذون لاجراء اللازم وتتوقف قبل أن تتحرك لتسأله من هو العريس ؟ ويقبلها والدها فى حنان قائلا ستريه حالا ياحبيبتى إنه رجل عظيم وجيه ألاتثقين فى أبيك ؟ قالت والدموع تغمر وجهها . كل الثقة ولكننا حتى الآن نختلف فى وجهة النظر فقاطعتها عمتها .. .. لا .. لا يامسرة لست أنت التى تقفى من أبيك هذا الموقف لو لم أقتنع بصلاحية العريس لما ارتضيته لك ويقبلها والدها قائلا . . اطمئنى ياحبيبتى ستكونى أسعد زوجة فى الدنيا ولا تجد مناصا من الخضوع لمشيئته مقاومة إحساسها المبهم الحزين . . ورافقت الوالد فى بطء وتعثر وسألها المأذون أتوافق على الزواج من حلمى عبد الرحمن مشيراً بيده إلى العريس الجالس أمامه

ووقع نظرها عليه وبصوت فيه رعشة الملدوغ صرخت لا . . لا أريد أن أتزوج وراحت تعدو مجتازة المدعوين . . وتوقف المأذون ونظر إلى الوالد مرتاباً فاصطنع الوالد الهدوء وتمالك أعصابه قائلا . . إنها مريضة تنتابها نوبة عصبية تفقد معها الوعى أحياناً ومن حسن الحظ أن العريس يعلم ذلك وقد قرر الطبيب أن الزواج علاجها الوحيد . . ولحقت بها صديقتها وهى تجرى فى الأزقة كأن وحشاً يطاردها حتى إذا أمنت مكاناً تقف فيه لتسترد أنفاسها سألتها الصديقة . . ماذا أصابك ؟ . . ماذا يقول الناس عنك إنهم يتهامسون وزوجة والدك تقول هذا ثانى عريس . . الأول عرفت لماذا رفضتيه وما السبب فى رفضك هذا ؟ . . فقالت — مسرة واللوعة تنغم صوتها منذ شهور كنت خرجت برفقتها ولعلها نسيت ذلك . . وفى الطريق كانت عربة واقفة كأن سائقها على موعد معها لأنها اقتربت منه معتذرة على تأخيرها بعض دقائق ثم قالت لى إنه ابن خالتها وأنها ذاهبة معه لتهنىء شقيقته بعقد قرانها الذى تم فى ليبيا وحضرت البارحة مع زوجها ليمضيا شهر العسل وقد استأجر الزوج شقة مفروشة لا تعرف كيف تذهب إليها وحدها وعرضت على حرية الاختيار . . الذهاب معا أو تمضية الوقت عندك ريثما تقوم بالواجب ثم تمر على لنعود سوياً إلى المنزل وقد فضلت طبعاً الذهاب إليك ولعلك تذكرين يوم جئتك ولم أجدك بالمنزل وانتظرتك ريثما تعودى من الكلية . لأنها كلفتنى ألا أبرح منزلك وألا أخبر والدى لأنه على خلاف مع زوج خالتها وترضية لها وخوفا منها نفذت رغبتها ولو كنت ارتديت لباساً يليق بزيارة عروس لأول مرة لرافقتها كما أشارت بذلك فى سياق حديثها وحدث بعد أسبوع تحدث اليها هذا الرجل وقد نقلت إلى الخادم ما جرى بينهما من حديث فهمت منه أنه عشيقها ولولا خوفى على أبى من تأثير الصدمة لصارحته وهنا لمحت والدها وعمتها يقتربان منها وقبل أن تتخلص منهما كان الوالد قبض على يدها وبصوت الغضب

قال : . . أى جنون أصابك تقذفين بى وبك إلى الجحيم كيف أرفع رأسى بعد ذلك أمام الناس .

وفى هدوء ورصانة قالت بلهجة متقطعة الأنفاس .. أبى أنت لا تعرف أى شىء يتعلق بهذا الزوج وأوثر أن تقتلنى لأستريح بدل أن أقول لك أى شىء يقضى على وعليك ... فما يعيبك يعيبنى وقاطعتها عمتها رحمة بأخيها ولوضع حد لهذه الهزلة كما تظن .. ياابنتى تعالى واستعيذى من الشيطان لتثبت للناس أنها نوبة اعترضتك وزالت .. وكان ابن عمتها لحق بهم فجذبها رغما عنها وهو يقول .. دعوها لقد عادت إلى رشدها وهرع اليهم بعض المدعوين وقالت إحداهن وكانت صديقة لزوجة أبيها هل هذا جزاء من أحسنت إليك باختيار هذا الزوج فتضعها فى هذا الموقف الحرج وفى سخرية لاذعة تقول — مسرة — وكانت سايرتهم حتى بلغوا الجمع وكان المأذون لم يزل واقفا لا يدرى مصير الموقف أنا أعرف أن زوجة أبى حريصة على سعادتى لخلو قلبها من الغيرة والحقد والأنانية إنها تعاملنى بأسلوب الكراهية ، بل تمنحنى من قطرات حنانها ما يعطر عواطفى بشذى الحب الأصيل ويتصرفاتها النبيلة الشريفة جعلت بيتنا جنة أرضية بعيدة عما يثير الأسى والهم والنكد ولها الفضل فى كراهيتى للغش والدهاء واحتقارى للباطل والرذيلة ، لذا لا أريد أن أتزوج هذا الرجل كارهة لكيلا أكون وصمة على جبينه مدى الحياة كما فعلت امرأة أخرى تزوجت برجل ثرى لتصرف من ماله على عشيقها وهنا نفد صبر والدها فالكزها فى كتفها قائلا .. ما لنا وسير الناس يا ابنتى وعلقت زوجته من يسمعها يظنها مجنونة تهذى ! فنظرت إليها — مسرة — نظرة نفذت إلى أعماقها لأنها تعرف مغزاها ودون أن تتحرك من مكانها قالت بلهجة ساخرة كم من حقائق لا يبوح بها غير المجانين ؟ كم من زوجات يكرهن الريح التى تحمل أنفاس أزواجهم ، لا أريد أن أكون مثلهن ، وضاق الوالد بها فقال بلهجة اليائس الموتور .. لست أدرى ماذا أصابك ؟ وأردفت

العمة أى حاسد أثرفيك وقاطعهم المأذون . . كأن العرس تحول إلى ندوة وهم بالانصراف . . وهو يقول .. حتى تنتهى الندوة ادعونى فاستمهله الوالد قائلا ... لحظة أخرى ياأستاذ .. ستفيق إلى صوابها فقاطعته مسرة مخاطبة المأذون لا تضيع وقتك يا أستاذ لن أتزوج وهذا قرارى وأنابكامل عقلى وإرادتى فقال المأذون وما السبب ؟ ترفق بوالدك الكهل وعقبت الزوجة إنها تضع عنق والدها تحت حبل المشنقة دون أن تستحى فاتجهت مسرة نحو المأذون قائلة فى هدوء واتزان أرفض الزواج منه لأنه أسير امرأة جعلت منه قنطرة تعبر عليها لتصل إلى مغنم له النصف ولها النصف وهز المأذون رأسه وهو يتمتم ، لم أفهم ما تعنيه يابنتى ؟ قالت ولن تفهم ياسيدى إنها حلقة مفقودة أنا وحدى التى اكتشفتها ! ! وتهامس المدعوون وارتفع صوت بعضهم قائلا أتويدين محاسبته على ماضيه ، لوكانت جميع البنات على طرازك لما تزوجن ؛ ؛ وانتفض العريس ثائراً قائلا . . هذا افتراء انها مجنونة حقاً وتقدمت الزوجة لتلطف من ثورته بلهجة هامسة . . إنها تشرك لتنفذ مأربها . . فنظرت إليه مسرة فى احتقار قائلة ليتك تثور ياسيدى فنى الثورة تنبيه للضمير الحى وإيقاظ للكرامة وهنا قاطعتها الزوجة .. كفى . . هذا فوق الاحتمال .. وعلق العريس ما على المجنون من حرج وتهامس المدعوون ولماذا تتزوجها إذن وقال بعضهم . . هناك حلقة مفقودة فعلا كما أشارت العروس والتفتت إليهم الزوجة قائلة . . إنها نوبة مفتعلة لتعيش حرة .. فاتجهت نحوها مسرة قائلة ... ليتنا كلنا أحرار .... وفق تشريع الحرية .. لو كان . . لما كان فينا خادع ومخدوع — لخير لى أن أعيش حرة أباهى بشرفى وفضيلتى فى كنف حريتى المقدسة بدل أن أتزوج برجل لا يحمل من الرجولة غير اسمها وهنا انتفض العريس واهتزت جوانحه ووقع رأسه على حافة المقعد فذعرت الزوجة وصرخت دكتور . . دكتور .. وهرول المأذون منصرفاً وهو يقول يبدو أن العرس سيتحول إلى مأتم وأسرع طبيب كان من المدعوين ونبهه حتى استفاق بينما وقف الوالد واجماً يوشك أن يفقد

توازنه بدوره واختلطت أصوات المدعوين بين السخط والدهشة واللوم والشفقة وجذبتها صديقتها بعيداً وهي تقول هامسة لقد أسأت إلى أبيك يامسرة من حيث لا تدرى بينما لزمت مسرة الصمت باكية بغير صوت . . والتف البعض حول الوالد يهدئون روعه ويخففون وقع الصدمة بأساليب مختلفة حتى استفاق من وجومه وتنبه إلى ضرورة الاعتذار للحاضرين بينما ذهبت العمة وبعض الأقارب إلى مسرة في غرفتها يتوسلون إليها أن تنقذ والدها من شلل بانت بوادره مؤكدين لها أنهم على استعداد للوقوف بجانبها وتخليصها من زوجها إذا ثبت بعد الزواج أنه غير كفء لها بينما حاول البعض إقناع الوالد بتأجيل الزواج ريثما يقنع ابنته باللين خشية أن تنتحر أسوة بالفتيات الطائشات وحاول البعض نصيحة الزوجة بمنع الزواج لكيلا تكون موضع شبهة تسيء إلى نفسها وصارح آخرون الزوج بأن هذا الزواج قد يسبب له كارثة لا يتوقعها وليس وراءه ما يحققه الزواج من سعادة روحية أو مادية مادامت الزوجة كارهة إلى هذا الحد الفظيع ، وتأثر كل منهم بما قيل وتركوا الأمر للوالد الذى أجل عقد القران ريثما يعالج ابنته من النوبة التي تعاودها من حين إلى حين

وانصرفوا جميعاً ... يشغل بال كل إنسان خواطر تختلف باختلاف تفكيره وأحاسيسه .

حب موشى بالأمل

لم تشغل الزوجة نفسها بعد أن هدأت العاصفة بغير التفكير الجاد فى التخلص من مسرة بعد أن فشلت فى المحاولتين ومع عزمها على أن تغير أساوبها ووسيلتها لتنجح فى تحقيق أمنيتها وحمدت الله على أنها استطاعت أن تزيل من نفس زوجها آثار الشك والريبة وبدهائها استطاعت أن تبعد العريس الريفى الأول بعد أن أقنعته بأن زوجها افتضح أمره عن طريق قريب له اتصل بالوالد دون علمها ونحت الثانى موهمة إياه بأن الوالد استطاع أن يعرف حقيقة العلاقة بينهما وقد ترتب على ذلك طلاقها وسوف تغادر البيت والمدينة بعد أن تحصل على حقوقها منه وفى هذا الوقت صارحت زوجها بأن الخطيب بعد الذى حدث اتصل تليفونياً آسفا لعدم الزواج من ابنته لاضطراره إلى السفر إلى الخارج وقد تطول إقامته وأيدت هذا الزعم بحديث ملفق أقنع الوالد مبدية أسفها الشديد لضياع هذه الفرصة فقد كان رجلا ممتازاً ... ولم تمض أيام حتى صارحت زوجها بأن رجلا ممتازاً تقدم لخطبة ابنته عن طريق زوج صديقة لها والمصلحة تقضى بعدم مصارحة — مسرة — الآن وبأسلوب دهائها المقنع أفهمته أن كراهية ابنته لها تحول بين قبول أى زوج يتقدم من ناحيتها لذلك يتحتم أن يصطنع الشجار معها على مسمع من ابنته وينتهى الشجار بالخصام وترك الزوجة للمنزل لتقضى بعض أيام عند أختها..ورسمت معه الخطة الواجب تنفيذها لنجاح هذا الزواج لأن العريس لن يعوض إذا رحل .. ونفذت الخطة المتفق عليها وعندما همت بمغادرة البيت على أثر المشاجرة التى حدثت بينها وبين زوجها لم يحاول الزوج أن يستبقها أو يسترضيها كما كان يفعل من قبل ولم تجد — مسرة — مايبرر خروج الزوجة لغير رجعة كما تقول وخصوصاً بعد أن كفرت عن خطاياها بإقامة الصلاة فى أوقاتها أمامها وأمام والدها حريصة على الاهتمام بمأكلها

وملبسها والوقوف بجانبها كلما أنبها والدها لأمر ما يتعلق بشئون البيت بل بالغت فى إظهار حنانها بتأدية ماكانت تقوم به من أعمال البيت بدعوى الحرص على صحتها وجمالها وتفتح قلب مسرة إليها وغفرت لها ما تقدم من ذنوبها وأيقنت أنها أحبتها فعلا بدليل أنها تابت إلى الله ورغم إلحاح مسرة بعدم خروجها صممت على الخروج وتركت المنزل موهمة ـ مسرة ـ بأنها لن تعد ولابد من الطلاق وفى اليوم التالى طلبت ـ مسرة ـ من والدها أن يرافقها ليسترضى زوجته فرفض فى إصرار كما رفض أن تذهب وحدها لتعيدها وأقنع ابنته بأنه ضاق بسيطرتها ولابد أن تمكث عند أسرتها لكى تعرف أنه يستطيع أن يستغنى عنها وهو واثق من أنه قادر على فراقها للأبد وحسبه ابنته ومر يومان وفجأه يطرق الباب زائر غريب وجيه المنظر وسيم الطلعة فارع القوام بيده مسبحة رغم أنه فى ريعان الشباب وفتحت مسرة الباب وبلهجة مهذبة يحدوها الوقار سأل عن اسم والدها إذا كان موجوداً يريد مقابلته واستأذنت والدها فأذن له وبعد مقابلته ينصرف على أمل أن يحضر بعد أسبوع ليعرف رأى الوالد وفى خلال هذه الفترة يتحرى الوالد عن نجل عزت باشا الرجل العصامى المعروف ويعلم أن ابنه الوحيد فى أوربا وهو يحضر من آن لآن إلى مصر فيطمئن الوالد إلى المعلومات التى ذكرها الرجل الذى تقدم إليه وهو ابن عزت باشا ويصارح ابنته بما جرى ويسألها رأيها فى الرجل الذى حضر لمقابلته مرتين ولم يشأ أن يخبرها برغبته فى الزواج منها إلا بعد التأكد من صلاحيته وهنا اعترضت ابنته قائلة ولكنهم يقولون إن الشاب الذى يقضى فترة فى أوربا يتأثر بعادات الغرب ولا يقيم وزنا لتقاليد الشرق والاسلام فينفى الوالد هذا الزعم مؤكدا أن تأثير البيئة الأصيلة تحمى الشاب من أضاليل الحياة الملوثة بجراثيم المدنية الفاسدة .. وإذا فرض وتأثر الشاب تحت سيطرة مغريات الحياة الباطلة قبل زواجه فسوف ينسى هذا الاستهتار بعد الزواج لاصالة الشرف والكرامة الكامنان فى نفسه منذ طفولته

وخير للفتاه أن تتزوج بشاب ارتاد الملاهى ثم يعتصم عزوفاً فى عفة وإباء مستردا يقينه . أما الشاب الخام — فإن لم تكن زوجته كفيلة بتهيئة جميع الأجواء له لكيلا يتطلع إلى حياة الحرية التى يحياها الآخرين..فسوف تجد مشقة قد تنتهى بالفشل وهنا تقاطعه ابنته كأنك تجيز للشباب أن يجرب متع الحياة قبل الزواج حتى الفاسدة .

قال : لا أعنى هذا ولكننى أريد أن يفهم الشاب ، حقيقة الحياة ما نقص وما اكتمل أن الحياة دائرة لا تتوقف عن الحركة فعليه أن يدور معها منذ يتفتح حسه ويتنبه عقله حتى نهاية عمره . . فالمراهق يمر بانفعالات يعصمه من نزوتها تربيته السليمة وتأثير والديه المباشر وهو بإرادته المنبثقة من تأثير البيئة عليه يستطيع أن يتجه نحو الخير مرتفعا عن تهاويل ومغريات الشر . . ووالد الخطيب الذى تقدم لك من الطراز الخير الكريم ولاشك أن إبنه استقى منه الخير والشهامة وما قضاء فترة من حياته فى أوربا إلا دراسة لتفهم ما يصعب عليه تفهمه .فى بيئتنا الشرقية التى تمنح بقدر ولإنجاز بعض أعمال والده فى الخارج وأنا أرى أنه رجل كفيل باسعادك وعلى كل حال فأنت حرة ولك الأمر إذ لا أريد أن أكرر ما حدث فى الماضى . .

وجاء الخطيب فى الميعاد الذى سبق أن حدده الوالد وقدم إليه ابنته ولم يكد يستقر به المقام حتى راح يتحدث إليهما فى لباقة وظرف إذ كان بطبيعته محدثا لبقا يجيد انتقاء الحديث الذى يوائم محدثه فتحدث عن المجاهدين المكافحين وأولياء الله الصالحين ليرضى عقلية الوالد التقى الورع ثم تحدث عن النساء مصوراً ما يعجبه فى المرأة من ميزات فى مقدمتها الشرف والحياء ساخطا على المرأة الطائشة المستهترة التى تساير المدنية دون أن تتمسك بالحشمة والحصانة التى يجب أن تلتزم بهما المرأة العربية وتحدث طويلا فى الشأن ليثبت فى سياق حديثه أنه معجب — بمسرة — لفرط أدبها وحشمتها إذ رآها مرة مع والدتها فى السينما منذ أسابيع فقاطعه الوالد . . أن والدتها متوفية والتى كانت معها زوجتى الثانية فقال الخطيب ظننتها والدتها لأننى

لاحظت أنها توثرها على نفسها أثناء جلوسهما فى السينما . . وسألها الوالد :
هل ذهبت مع نازك إلى السينما حقا . . فقالت أجل . . يوم عيد ميلادى أرادت أن تحتفل به وهذه أول مرة منذ تزوجت ثم اقتضبت الحديث كيلا تشعر الخطيب بأنها استرضتها بعد أن أساءت إليها . . . . واردف الخطيب عندما لزمت الصمت : لا أنكر انى خبرت أنواع النساء عن عمد لأتعرف على خفايا نفوسهن وطوايا قلوبهن دون أن أمس شرفهن بسوء.. كنت مجرد قارىء لصحائفهن لكى أختار شريكة حياتى عن اقتناع وسكت لحظة وهو يمر بأصبعه على مسبحته كأنه ولى من أولياء الله ثم استأنف حديثه لكل إنسان فى الحياة قادح ومادح وقد يقول عنى القادح أن لى فى عوالم النساء جولات لم تكلفنى غير براعة اللف والدوران شغوف بالمغامرات النسوية أصرف المال فى سخاء على ملذاتى أسابق أبناء الذوات فى قنص العذارى البريئات ويقول مادحى ، أننى شاب مغامر فى سبيل تعرف الحقيقة التى تتطلب البذل والتضحية لأعرف كنهها طاهر النفس عف الضمير أعطى ولا آخذ تهوانى كل امرأة تلتقى بى لاعتدادى برجولتى وكرامتى ولباقتى فى الحديث وكياستى فى المعاملة ثم ينظر إليها فى رقة مردفاً . . هأنذا كما يصورنى القادح والمادح فإذا حدث وربط الله بيننا ورأيت فى أحد الوجهين فلا أحسبك تندمى على اختيار الوجه الذى رأيته لأننى عرضته عليك قبل أن أضع يدى فى يد أبيك . . . وأطرقت — مسرة — فى حيرة بالغة إذ لم تدرك بالضبط ماذا تقول وأدرك ما يجول بخاطرها فاستطرد ، كان فى مقدورى أن أقول لك أننى زاهد فى كل ما يتعلق بمظاهر الحياة الباطلة لأن قلبى عالق بالله إلى حد لا يطرف جفنى إلا لتسبيحه ولا تتحرك شفتاى إلا لتكبيره ولكننى آثرت أن أتحدث إليك بصراحة على مسمع من السيد الوالد إذ قل أن توجد فتاة عصرية وخصوصا فى مقتبل العمر مثلك تفهم ما أعنيه قد أكون زاهداً وقد أكون لاهياً ، وقد أكون شريراً :
المهم توطئ النفس على احتمالى على أى صورة وهنا يقاطعه الوالد .إن

صراحتك ياولدى تنبىء عن معدنك الأصيل وخلقك القويم وأناوأبنتى تقدر بلا ريب سمو النفس فى زمن قل فيه اعتناق المثل ونحن نعتز بثروة الخلق أكثر من اعتزازنا بثروة المال،وعلق الخطيب ، هذا رأيك ياعماه ولكننى أحب أن أسمع رأى الآنسة ... فأطرقت ولم تتكلم فقال الوالد ثق بأن ابنتى صريحة ولو لم تفهم ما تعنيه وتقتنع بك لما جالستنا واستمعت اليك .. فقال الخطيب .. إذن اعتبر سكوتها فقاطعه الوالد .. طبعا يمنعها الحياء من إبداء رأيها .. وأنا أعلم بدخيلة نفسها فعلى بركة الله ياولدى وكان الوالد أدرك من لحاتها ونظراتها ارتياحها إلى الخطيب ، وانصرف الخطيب بعد أن تركتهما مسرة ليتحدثا على انفراد فيما يتعلق بالتزامات الزواج ... وعلى أثر انصرافه قبل الوالد ابنته مبديا اطمئنانه الصادق لهذا الزواج متفائلا بمستقبلها السعيد ... ولم تنم مسرة من شدة الفرح موقنة أن هذا الزوج ما كانت تحلم به .. ولم يكد الصبح يشرق مع إشراق أملها المنشود حتى ارتدت ملابسها راجية والدها أن يرافقها لتعيد زوجته وتكاتف الوالد الممانعة وبعد إلحاحها وافق .. واصطنعت الزوجة سرورها وارتياحها وأشعرتها أنها ستعود إلى البيت من أجلها لكى تهيىء لها معدات الزواج موكدة لها أنها رغم ابتهاجها لزواجها فهى جد حزينة لخلو البيت منها وكانت وردته الناضرة ولم تمض أيام حتى عقد قران مسرة فى حفل بهيج يلائم مركز والدها وابن الباشا ولم يحضر من أسرة العريس — فايد — أىأحد بدعوى أن عمته توفيت منذ أيام قلائل ومن تقاليد الأسرة ألا تقيم أفراحا فى خلال عام كامل ولم يشأ أن يؤجل الزواج بعد أن ارتبط مع والدها وفى صبيحة اليوم التالى اتصل الخطيب تليفونيا بوالد مسرة رجاء مقابلته لأمر هام ورحب به الوالد فلما جاءه لاحظ الوالد أنه كئيب الوجه على غير عادته يبدو عليه الحزن كأنه فجع فى عزيز وسأله الوالد .. ماذا حدث .... فقال بلهجة تنم على الأسف الشديد .. جئتك قبل أن تذهب إلى البنك لصرف الشيك الذى قدمته البارحة مهراً .. لقد أصيب الوالد بشلل مساء البارحة فى الوقت الذى

كنت أحتفل هنا بعقد قرانى إذ صدر الأمر بايداع ثروة أبى تحت الحراسة لاتهامه زوراً فى تهريب بضائع من الخارج وإيقاف صرف أمواله الموضوعة فى البنك ... وترفق الوالد به قائلا .. المهم ... عالج والدك حالا ثم تذكر ما قاله قبل عقد القران بأن الباشا خارج الجمهورية فى أوربا .. فغالب — فايد — اضطرابه قائلا . . لقد اتصل به مدير أعماله تلفونياً فجاء فى التو دون أن أدرى .. إذ كنت هنا ولم يعرف أحد مكانى لكى يتصل بى لأننى لم أشأ أن أخبر أى أحد لكيلا أكلفك مصاريف طائلة لترضية الجميع .ولم يشأ الوالد أن يشعره بأثر الصدمة فتظاهر بعدم الاكتراث وقدم له الشيك قائلا : هون على والدك وكن شجاعاً واقنعه بأسلوب الشاب المساير للنهضة المباركة بأن العدالة لن تخذله ومادام بريئاً فسوف يسترد ثروته وماله والدولة حريصة على حماية صاحب المصنع من ضغائن العمال وحقدهم وحسدهم مادام متمسكا بشريعة الله وقانون الدولة فاحذو حذوه وهيء نفسك لمواجهة الحياة دون الاعتماد على والدك واسلك طريق العمل الجاد معتمداً على قوة شبابك وذكائك ولن أفسخ ياولدى هذا الزواج لكيلا أتهم بأننى ارتضيك طمعاً فى ثروة والدك وأنا الآن سعيد لأننى زوجت ابنتى من شاب سوف يسلك مسلك أبيه المستقيم فيبنى مستقبله معتمداً على كفاحه ولكى تتأكد من صدق عواطفى وإيمانى بقدرتك على بناء مستقبلك بما يتفق مع نهضتنا المباركة فسوف أعد لكما مسكناً بأثاثه ورياشه على حسابى وهو مساهمة منى باسم ابنتى لتدعيم حياتكما وحسبك أن تركز تفكيرك فيما يجب أن تعمله وفق استعدادك ودراستك وتجاربك التى اكتسبتها من الخارج ولم تمض أسابيع حتى استقر الزوجان بمنزلهما الذى أعده لهما والد مسرة .. وبدأت مسرة تستشعر بالسعادة النفسية بجانب زوجها راضية عن دنياها التى حققت لها أحلامها بجوار زوج تقى ورع يؤدى الصلاة فى أوقاتها ... مسحورة الفؤاد بنشوة هذا الزواج الذى جاءها على غير ارتقاب وأقبلت على زوجها ترعاه وتمنحه من الحب والحنان أكثر مما يطمع ،

ومضى الشهر الأول من زواجها وهي هانئة راضية لايفارقها الزوج إلاساعات معدودات فى مساء كل يوم لعبادة الله ولما طلبت منه أن تزور والده اعتذر بدعوى أنه لا يستطيع مصارحته بزواجه الا بعد إتمام عام الحداد على أخته واقتنعت بذلك واستغلت وقتها فى تنظيم بيتها ليكفل الراحة والطمأنينة له ولم يكد ينصرم الشهر الأول حتى شعرت بتغيير أحوال زوجها فقد أهمل الصلاة مع أنها كانت تؤديها على مرأى منه لتذكره بها إن كانت الشواغل أنسته إياها ولم يعد يفكر فى مستقبله مستعيناً بتفكيرها كما كان يفعل خلال الشهر الأول وبدأ يمد يده إلى مالها الخاص الذى وفرته فى حصالة كانت لديها قبل زواجها بعد أن كان يشعرها بالتعفف وبعد أن كان يخرج فى الصباح ويعود فى الظهر ويقضى طوال الوقت بجانبها بدعوى أنه لا يطيق فراقها مدة طويله غير نظام حياته فينام طول النهار ويسهر الليل كله خارج البيت ثم يعود عند الفجر مخموراً .. فلما أخذت عليه هذا التغير أفهمها أنه يعمد إلى ذلك لينسى مأساة والده وما آل إليه من حرمان وبدأت هواجس سوداء تتسلل إلى ذهنها على أنها أخفت ما يراود ذهنها من خواطر السوء وظلت حريصة على القيام بواجبها نحوه راجيه الله فى صلاتها أن يرفع عن قلبه تلك الغشاوة التى تحجب عنه النور الإلهى خشية أن يضل الطريق المستقيم ولم يكتف بتحول نفسه بل اتجه إليها ينتقد حشمتها وتمسكها بالتقاليد العربية مبدياً رغبته فى أن تخلع آزار الحشمة الذى يتنافى مع شبابها وجمالها مؤثرا الزى الذى يكشف عن صدرها وذراعها لتظهر معه فى الحفلات بمظهر يليق به ولما عارضته بشدة أقنعها بأنه المسئول عنها أمام الله وأمام الناس وهو مالكها يتصرف فيها كما يشاء يظهر جمالها أو يخفيه وما عليها إلا الطاعة والتسليم وبدأ الخلاف يدب بينهما بسبب ذلك ولم تشأ أن تخبر والدها إذ أنه أصيب بوعكة بسبب اكتشاف أمر الزواج ثم عوفى منها لاتجاهه إلى الله أخيرا وذلك على أثر ذهابه إلى والدفايد — الباشا — دون علم فايد لكيلا يجرح كبرياءه ... ليعرض عليه الوقوف بجانبه وتخفيف الصدمة كنسيب له تقديرا لكفاحه

وعصاميته فلما ذهب لمقابلته.. وتقدم للحارس وكان رجلا عجوزاً ضعيف النظر ظنه نسيب الباشا الذى استدعاه تليفونيا منذ لحظات وكان نبه عليه أن يدخله مباشرة دون إذن ...فسمح له بالدخول فوراً وكان الخادم حديث العهد بخدمة الباشا لسفر خادمه القديم إلى الصعيد بمناسبة زواج ابنته هناك ودهش الباشا لدخول رجل غريب عليه دون استئذان وظنه من المخابرات أو المباحث جاء لإجراء عمل خاص بالحراسة فقال بصوت ينم عن الاضطراب والألم المر .. أهناك إجراءات أخرى .. لقد انتهى كل شىء .. فقال والد مسرة .. أعلم أنه انتهى كل شيء وقد جئت لأكون بجانبك وأضع نفسى تحت أمرك فى خدمتك فقد عافانى الله بغير دواء دنيوى .. بدواء الله. عوفيت فاتجه لله تتعافى وحسبك أن تأكل ما يقدمه الله لك حلالا وترتدى ما تخلعه على نفسك من زى نسجته أيدى وطنك باسم الله وشعر الباشا براحة نفسية لم يشعر بمثلها من قبل أمام أى رجل جاءه ليؤدى واجباً كلف به فابتسم ابتسامة الرضا والطمأنينة قائلا بلهجة تنم عن الا طمئنان إليه. . لأول مرة يتحدث إليه مسئول بهذه اللهجة الداعية للإيمان فقال الوالد . . لأننا بدأنا نستنشق عبير الإيمان فى عهد الرئيس المؤمن لا يخطو خطوة إلا بتوجيه من إيمان روحه ويقين قلبه وهذا الإيمان وحده كفيل بنصرنا إن شاء الله .. قال الباشا هل هل يمكن أن أتشرف بمعرفة اسمك ومهمتك وسوف تجدنى طوع أمرك قال الوالد . . اسمى جاسر عبد العزيز والد مسرة — نسيبك . فنظر إليه الباشا دهشاً مردداً.. نسيبي ..نسيبي..والدمسرة... من مسرة هذه؟ فابتسم الوالد قائلا فى هدوء ... إنها مفأجاه لك أيها الأخ العزيز .. إن ابنك قايد تزوج ابنتى ... أثناء إقامتك فى أوربا حيث فوجئ بوفاة شقيقتك رحمها الله بعد أن أعددنا مراسم عقد الزواج واحتراماً لتقاليد الأسرة أقمنا العرس دون أن نعلن ذلك وفى الوقت الذى تأهب فيه لإرسال رسالة إليك فى أوربا ليخبرك بزواجه فوجىء بمقدمك فجأة بمناسبة ماحدث لسيادتك وكانت صدمة له ولكننى وقفت بجانبه وأعدت إليه شيك المهر

قبل أن يصرف وأعددت له مسكناً بأثاثه ورياشه ليسعد بجوار ابنتى وعلى كل حال فهى ابنة وحيدة وكل ما لدى مآله لها فربع الباشا وقال .. إنها قصة غريبة .. يبدو أن شخصا انتحل شخصية ابنى إن ابنى الوحيد تركته فى أوربا ليتمم بعض المهام الذى يتحتم إنجازها وهو متزوج من ابنة يسرى بك نسيبى الذى دعوته قبل مقدمك اليوم لأكلفه بتأدية بعض المهام لابنته التى تقيم مع ابنى فى سويسرا .... وصعق الــوالد وارتعــدت مفاصلــه وهــو يردد فايد ليس ابنك وانتحــل شخصيتك قال الباشا .. وابنى اسمه فايد أيضا .. تشابه فى الأسماء فقط قال الرجل ولكن بطاقته ذكر فيها اسمه واسم والده عزت الشبراوى وغير متزوج . . فاستجمع الباشا قواه وقال فى حدة . . . وكيف تزوج ابنتك برجل لاتتأكد من صحة نسبه على الأقل قال الوالد بأنفاس مضطربة . . مجرد ذكر اسمك كان يكفى لقبوله .. . وعندما سألت بعض معارفى عنه . . قالوا لى أن للباشا ولد واحد مستقيم وورث عن والده الكفاح والشهامة . . وأظن هذا يكفى لضمان أن زوج ابنتى منه ... فقال الباشا . . إذن يتحتم أن تبلغ النيابة فوراً خشية أن يحتال بوسيلة أخرى فيستولى على تركة ابنتك وهى وريثتك كما تقول . . وأنا ووقف الوالد وهو لا يتمالك قواه يحرك ساقيه فى جهد وصافح الباشا معتذراً عن إقلاقه ولم يجد ما يقوله غير ..... الله معنا .... ثم طلب منه فى رجاء عدم تبليغ النيابة وعاد إلى بيته منهوك القوى مشتت الفكر لا يدرى ما هو صانع . . أيخبر ابنته وصعب عليه أن يصدمها فاعتزم أن يتريث ريثما يتدبر الأمر وكان لابد أن يصارح زوجته فهى التى قدمته بدعوى أنه ابن الباشا . . . واستطاعت بدهائها أن تبرئ نفسها فقالت لقد قدمه إلى زوج صديقتى بأنه ابن الباشا ووالده فى الخارج لمهام تتعلق بعمله ولا شك أنه تعرف على زوجها وعلها باعتباره ابن الباشا ومظهره

كما رأيت يؤكد ذلك فلا حرج عليهما إذن . . . . وبدأ الوالد وزوجته يفكران فى وسيلة تخلص ابنته منه دون أن يتعرضا للفضيحة . فى هذا الوقت .. بدأ — فايد — يقيم الحفلات فى منزله على حساب مسرة التى يستولى على النقود خلسة من حصالتها محاولا أن يرغم مسرة على مراقصة الرجال بملابس عارية . . . مرغما إياها الاستجابة لكل من يراقصها على أى صورة وهى ترفض فى إباء وإصرار مهددة بتبليغ والدها إن أصر على أن يقذفها بين أحضان الرجال كأنها متاعاً مشاعاً . . لاهياً عنها بعبثه ومجونه مع رفاق السوء ونساء الليالى الحمراء وهى صامتة تحترق فى بطء شاعرة بأن عفتها تنتحب فى بطء وحصانتها الأصيلة تثور فى غير ضجيج وتخلو بنفسها لتصلى كى تدعو الله أن يخلصها من ذلك الفاجر الذى يقترف الاثم جهاراً ويتوب عليه فإذا ناداها وهى تصلى لتقضى له حاجة أسرع اليها وركلها بقدمه لتخرج من صلاتها وكانت تتأس بأنه يتصرف هذا وهو مخمور ولكنه بات لا يستحى من الله ويسب الدين ويلعنه كلما تمسكت بتعاليمه وأبت أن تخضع لمشيئته الآثمه وباتت تصلى خفية لكيلا يخرجها من الصلاة عن عمد ما الذى يرغمها على اقتراف هذا الاثم .. إنها مسلمة عريقة فكيف تستطيب هذه الإباحية ويؤرقها الألم الممض وتصورها لولا تمسكها بدينها وعفتها لكانت ضحية من ضحايا زواج العصر وتفكر فى تركه مهما كلفها الأمر من تضحيات ولكن قول والدها لم يزل يرن فى مسمعها يوم الزفاف فى يابنتى بجانب زوجك فى السراء والضراء فليست مهمتك قضاء حاجته واشباع رغبته وحسب ولكن مهمتك تدبير شئونه وتوفير ماله والسهر على راحته وتزويد إيمانه وتقوية روحه ليصبر على مكاره الحياة ويحتمل مشاقها دون ملل وحدثها عن أمها وما بذلته فى سبيل تدبيرها فلولاها لصرف كل ما ملكت يداه فقد تزوجها وهو لا يملك غير مرتبه وميراث ضئيل لا يكفى لسداد مطالب أسرة تصرف فى عام واحد واتصلت بها صديقتها تليفونيا تسألها

عن أحوالها فلم تشأ أن تخبرها وأشعرتها أنها بخير وعلى أحسن حال .. فقالت الصديقة .. لقد ظننت أنك متعبة لأننى رأيت زوجة أبيك مع زوجك فى سيارة فخيل إلى أنه استدعاها لتعولك . . فدهشت مسرة لأن زوجة والدها لم تزرها مطلقاً . . وكان زوجها منعها منذ زواجها باستخدام من تساعدها فى مهام البيت رغم تعهدها بدفع أجرها من مالها الخاص وازاء إصراره ارتضت أن تقوم وحدها بشئون البيت وتشترى لوازمها فى الصباح أثناء وجوده فى البيت . . وحدث أن نسيت نقودها بعد أن قطعت شوطاً طويلا فى الطريق وعادت وكان استولى على المفتاح الخاص بها إذ لا بد أن تطرق الباب لتفتحه وكان المألوف دائما أن تمر على عمتها بتوجيه منه كل يوم لتطمئن على صحتها لمرضها وبذلك تقضى خارج البيت مالا يقل عن ثلاث ساعات وطرقت الباب كثيراً حتى خيل إليها أنه غادر البيت ولكن خادم الشقة المجاورة أخبرتها أن سيدة دخلت ولم تخرج .. وعادت تطرق الباب بعنف ولم تدر أن زوجها نظر من وراء ثقب (المفتاح) ثم سمع صوتها وهى تتحدث مع الخادم . . . . وأخيراً فتح الباب ودخلت تدور بعينها لترى السيدة التى دخلت وسرعان مارماها كما يرمى مقعداً داخل الحمام وأغلقه عليها من الخارج وتركها ريثما تخرج السيدة . . ثم ارتدى ملابسه ولحق بها بعد أن فتح باب الحمام فى هدوء كأن شيئا لم يحدث وارتمت تبكى فى مرارة على سوء حظها وتعاستها التى لم تكن تتوقعها . . واضطرت أن تلجأ إلى نازك تستجير بها فقد تجد عندها حلا وصارحتها بكل شىء فعطفت عليها ونصحتها إلا تخبر والدها لأن حالته الصحية لا تسمح له بقبول أى صدمة وأن تحتمل وتصبر فسوف يعود إلى رشده ويتخلى عن نزواته فهذه فترة يمر بها الشاب المترف الثرى ثم لا تلبث حتى تزول وعادت إلى بيتها ترجو الله أن يهديه ويعينها على إصلاحه موطنة النفس على أن تعالجه كمريض ترى نفسها مسئولة عنه أمام الله وراحت تستعين بصديقتها لشراء

كتب علم النفس دون أن تشعرها بما تعانيه وبعد أن استنارت بما قرأت تبدد حقدها وتحول إلى شفقة وعطف إذ أدركت أن البطالة وسعة الفراغ أفسحا له طريق الفساد لأن والده ترك له الحبل على الغارب مع المال الوفير الذى خول له التصرف دون عقل كأنه طفل عزيز وبدأت تعامله فى رفق آنا وفى قسوة أحيانا كما تعامل الأم ولداً عاقا منحرفا اعتمد على الثراء دون العلم واتخذ من رحلته فى الخارج سبلا لايستعين بها على استباحة كل محرم على أن الجدل بينهما اشتد ولم ينقطع ليلى ونهار كان الصراع بين الرذيلة والفضيلة تمثل فيهما ووقفا على حافة الواقع الرهيب كلاهما يتمسك بانطباعاته غير مبال بما يناله من آلام إذا جرفه التيار لغير ما يريد ومضت بعض شهور مليئة بغمام النكد الدائم وقد حاولت جهد المستطاع أن تطهر نفسه بالرفق وشغل فراغه بعد أن فشل والدها فى إسناد أى عمل له بعد أن اكتشف أمره وكتمه خوفا على ابنته وفضيحته محاولا أن يحوله إلى إنسان شريف عامل .. ففتح له متجراً للقماش تحت إشرافه وكابد الكثير من الجهد والصبر والاحتمال فى سبيل تعويده ملازمة المتجر فى ساعات محدودة كل يوم حتى اضطر أن يسافر إلى قريته لجمع إيراد الأرض الزراعية التى يملكها فلما عاد وجد المحل مغلقاً نتيجة الإفلاس إذ حجز على المحل بسبب إسراف فايد وتزوير الحسابات التى يعرضها على الوالد ثم استأجر له جراجا للتاكسى وما عليه إلا الإشراف مقابل مرتب شهرى يتقاضاه فوافق وبعد عدة شهور تظاهر بأنه يقدم المرتب لزوجته . .

فوجىء الوالد بتغيبه بعد أن استولى على تاكسى مدعياً للسايس أن صاحبه كلفه بتجديد رخصته . . واضطر الوالد أن يدفع للسائق ثمن التاكسى كما قدره..

وتمنى الوالد ألا يعود لكى يتمكن من طلاق ابنته . . . . ولم تمر بعض شهور حتى عاد وصارح الوالد بأنه كان يريد أن يتزه زوجته وقبل الذهاب إليها أصطدم بسيارة نقل وقد نقل إلى المستشفى ولم يشأ أن يعلن عن اسم الوالد بصفته مستأجر الجراج حرصاً على كرامته وقد تهشمت العربة إلى حد لا تصلح

للعمل . . وخيل للوالد أنه لا يصلح مطلقاً لأى عمل لم يتهيأ له فأخذت مسرة على عاتقها ترويضه على عمل لا يستشعر منه بمشقة أو مسئولية ولا يبيح له التصرف المطلق فى المـال فاستأذنت والدها أن تقيم معه فى الفيلا الكائنة فى قريته لتتخذ من حديقتها مشروعاً يشغل به فراغه . . ورافقها زوجها دون اعتراض وسرعان ما هيأت منحلا للعسل فى ركن من الحديقة لكى يتأثر دون أن يدري بنشاط النحل موقنة أن ما يشاهده من نظام النحل وما يشمله هذا النظام من تعاون وعدالة فى التوزيع فالعامل لا يتعدى حدود واجبه والملكة لا تقصر فى مهمتها جل شأنه الذى وضع نظام الكون قائماً فى دنيا النحل وهيأت له فى ناحية أخرى من الحديقة مزرعة للدواجن والطيور ليشاهد التآلف النقى الأكيد والحب الطاهر فى أنقى صوره والتعاون المشترك بين الأبوة والأمومة ولم يكد يستقر مقامها حتى راحت تحدثه بأسلوب رقيق وشيق مؤثر بأنه فى مقدورهما استغلال هذا المشروع استغلالا يعود عليه بربح مالى هائل وقد عمدت إلى المبالغة فى الربح الذى يحصل عليه لتغريه على مزاولة هـذا العمل من ناحية ولرغبته الملحة فى جلب المـال . . وراحت تزاول العمل بجهد ومثابرة دون أن تلزمه لكى يتأثر بالتدريج . . ولكنه لم يتأثر كأنه لم يشاهد تلك المشاهد الطبيعية الخلابة ولم يصغ لنداء روحها المكلوم ولم يتأثر بحرارة أنفاسها الصادقة ولم يحرك وجدانه رجاء قلبها الملتاع ولم يتسلل إلى نفسه حنانها الغامر فيعمل ولو مرضاة لهـا ذلك لأن حيوانيته أقوى من إنسانيته وشيطانه أشد تأثيراً عليه من إيمانها ولم تيأس مقاومة أملها الخائب فيه متحاملة على أمل أن يساعدها الصبر على ما تعانيه لتميت الشيطان القابع فى نفسه كى توقظ إنسانيته إن كان ثمة إنسانية نائمة فيه ولم تشأ أن تخبر والدها أو أحد المتصلين بها من ذوى قرباها متظاهرة أنه هو الذى يقوم بهذا الجهد الواضح راجية من الله أن يعينها على درء السوء فيه قبل أن يشتد ويحظى بفضلها بما يشيع نفسه ويطهر وجدانه وينقى ضميره .

وبينما هى جادة فى تقويمه فاجأها باضطراره للسفر إلى الإسكندرية لينهى بعض أمور متخلفة خاصة بعقار لأبيه وكان عودها أن يسافر من حين إلى حين لإنجاز هذا العمل الذى يؤجل لأسباب خارجة عن إرادته ولم يكد يبرح القرية حتى أبرقت إليها عمتها تخبرهابعزمها على تأدية فريضة الحج..فاضطرت أن تذهب لتوديعها موكلة مهام الحديقة إلى من تأنس إليهم وتأتمنهم من المقربين إليها . . وعن لها أن تمر على شقتها لتطمئن على ما تبقى فيها من أثاث إذ لم يشأ زوجها أن ينقل الأثاث كله إلى فيلا القرية بدعوى أنه من المحتمل أن يقضيا بعض الوقت فيها من حين إلى حين . . . ولم تكد تبلغ باب شقتها حتى قابلها عامل من متجر البقالة خارج منها وسمعت صوت زوجها يقول له اقفل الباب وراءك . . فأشارت إلى العامل ألا يقفله وأن ينصرف. .ودخلت فى هدوء فإذا به يجالس صديقة لها وزوجة صديق له وأمامهما زجاجة الخمر وقد طوقها بذراعيه على صورة مخزية و صعقت واصطدمت بالحائط فاقدة الوعى . . ولم تدر ماذا حدث . . غير أنها تنبهت أخيراً بعد أن نبهها فلما استفاقت أقبل عليها ترتسم على شفتيه بسمة اللامبالاة وفى استخفاف ونظرات عاتبة قال : لقد سبق أن وضحت لك سياستى فى الحياة وأفهمتك أن لكل منا حريته المطلقة أعاشر من أشاء سراً أو جهراً على أى صورة تروقنى ومنحتك هذا الحق تعاشرين من تشائين على أى صورة تروقك ولو فرض ودخلت عليك الآن ووجدتك بين ذراعى رجل فلن ألومك وقد انصرف كأننى لم أر ما رأيت . . لأننى أعرف قيمة الحياة . . . أفهمت . . . فقط حذار أن يعلم زوجها لأنه على طرازك يتمسك بالتقاليد البالية التى تسمونها تعاليم السماء . . ثم يضحك فى سخرية معقباً . . . . نحن نعيش على الأرض فلماذا نعتنق تعاليم السماء ، ما علاقتنا بها . . إنهم الآن يحاولون . احتلال السماء . . وهنا تنظر إليه شذراً وكأنها تنبهت فى التو قائلة بصوت متقطع الأنفاس لا جدوى من الكلام الآن . . لك دينك ولى دين ولن أعاشرك بعد اليوم . . قال لا مانع على شريطة قالت : لك ما شئت . . قال : إن زوجة أبيك مدينة لى .

بمبلغ كبير ويبدو أنها لا تستطيع سداده إلا بعد موت والدك فإذا شئت أن أطلقك تتعهدى بسداد هذا المبلغ بجانب المبلغ الذى أحدده مقابل طلاقك فنظرت إليه دهشة قائلة . . . . معقول أن تساومنى على طلاقى ولكن ما علاقة زوجة أبى بالمبلغ المطلوب منها : قال لا شأن لك به والآن سأتركك ريثما تفكرين وأنا تحت أمرك فاستوقفته قائلة . . تستطيع أن تمكث هنا . . أنا ذاهبة إلى بيت أبى ولك أن تتفاهم معه فيما تريد . . وتحركت لتخرج ولكنه استوقفها قائلا : حذار أن يعرف والدك أو زوجته أو زوج صديقتك سبب الطلاق قولى كل شيء يبرره . . قولى إننى سكير مستهتر ، أو أننى عاجز عن القيام بواجب الزواج . . ولكن حذار أن تذكرى ما حدث فلم ترد وخرجت . . وقبل أن تغادر البيت تذكرت عمتها فعادت مسرعة لتخاطبها فى التليفون وسمعته يتحدث فى التليفون قائلا . . حذار لقد حذرتها وأنا واثق من أنها لن تذكر ما حدث إنها تخافنى وتخشانى وقد هددتها بالطلاق وهى تحبنى حباً جنونياً وبلهجة حارة مفتعلة يردف . . سوف أطلقها من أجلك لأن الحياة بدونك جحيم لا يطاق . . أنت مع رجل دين لا يعرف قيمتك وهى امرأة بلهاء لا تعرف الحياة . . على كل حال . . سنعيش سوياً مدى الحياة وكما تعلمين تزوجتها ترضية لزوجة أبيها التى كانت وما زالت متعلقة بى وإن كنت ابتعدت عنها منذ عرفتك . . . كان لا بد لها أن تتخلص منها لتستولى على ثروة أبيها وقد استكتبتها كمبيالة بمبلغ كبير مقابل هذه الخدمة وسيكون هذا المبلغ مهراً لك المهم متى أراك . . ما زلت مشوق إليك كأننى لم أجتمع بك منذ لحظات . . . حالا بعد دقائق سأكون عندك . . وعندما تأهب للخروج اختفت لكيلا يراها فلما انصرف اتصلت بعمتها تليفونياً لتتأكد من وجودها فى المنزل ولم تكد تنتهى من المكالمة حتى طرق الباب فخيل إليها أن والدها اتصل بها تليفونياً فى القرية وعلم بمقدمها ففتحت له . . ولشد ما يذهلها رؤية زوج الصديقة الخائنة فتضطرب وتخرسها المباغتة . . ويقف الرجل فى تأدب ووقار قائلا . . كنت على سفر وقد حضرت مضطراً

لأننى نسيت بعض أوراق العمل بمكتبى فعلمت أن الأخ فايد سأل عنى فى التليفون فجئت لأراه قبل أن أستأنف السفر وتلتزم الصمت حائرة مضطربة فيردف هل ممكن تكليف الخادم بعمل فنجان شاى لآخذ اسبرين إذ أشعر بصداع شديد . . . أظن فايد لم يزل نائماً ويدخل ليجلس على أول مقعد فى الردهة بجانب الباب فتتركه لتعمل له الشاى وفى سرعة تقدمه إليه مغالبة انفعالها إذ انتابتها عدة خواطر بعضها يحفزها بمصارحته وبعضها يثنيها خشية تأثير الصدمة عليه لا خوفاً من زوجها إذ كانت تعرف أنه تقى صالح يخشى الله سراً وعلانية . ظلت حائرة بين الرغبة والاحجام والرجل يتناول الشاى منادياً بصوت مألوف لدى فايد فلما تكرر النداء ولم يهرع إليه فايد كعادته قال . . هل تسمحى بايقاظه يبدو أنه كان ساهراً حتى الصباح ووقف ليضع الكوب على المنضدة فمدت يدها لتأخذها منه وهو قابض على الكوب لكيلا يتعبها وفى هذه اللحظة يدخل زوجها لأن الصديقة أخبرته أنها نسيت منديلها فعاد فى الحال ليأخذه وعندما رآهما الزوج على هذه الصورة . . ابتسم فى استخفاف ومكر وهو يقول . . أكنت تصطنع صداقتى من أجلها . . ومن أجلك تركت القرية لتلقاك هنا . . ظناً منها أننى فى الإسكندرية وفى هدوء ينظر إليه الصديق دهشاً وهو يقول . . هل جننت يا فايد . . لقد حضرت لأسأل ماذا تريد منى لأنك اتصلت بى تليفونياً وقد آثرت المرور عليك قبل أن أذهب إلى زوجتى فقاطعه فايد بصوت جاف النبرات . . لست أنا من يستغل . . ثم اتجه صوب — مسرة — قائلا بلهجة التشفى . . إنك بارعة فى تمثيل دور التقوى والصلاح ولكنك ستدفعين ثمن خيانتك خيانة صديقتك بجانب خيانتى . . ثم يقول له . . اطمئن لن أخبر زوجتك حرصاً على حياتك الزوجية . . أما أنت فحسابى معك بعد حين . . ونظرت إليه مسرة نظرة تكفى لقتل نفسه إن كان صاحب ضمير حى وقالت فى هدوء وثقة وكبرياء تستطيع أن تظن بالناس جميعاً أى ظن إلا أن تسىء الظن بهذا الأخ الورع النبيل فقاطعها بلهجة المستهتر الساخر ؟ إلى هذا الحد أنت

جريئة وأنا لا أدرى . . تدافعين عنه أيضاً . . يا للمرأة وهنا يقف الصديق محاولا أن يتماسك أعصابه قائلا فايد استعذ بالشيطان ولا تدعه يسيطر عليك . . إن زوجتك عفة طاهرة وبصوت التأثر قاطعه يبدو أن مهمتى أن أقف لأستمع إلى دفاع كل منكما عن الآخر فى مقدورك أن تخرج الآن إذ يحتمل أن تحضر زوجتك الآن لزيارة صديقتها وبصوت العابث يقهقه مردفاً . . لى معك لقاء على انفراد وستدفع الثمن غالياً فجهز نفسك وفتح له الباب وظل الرجل واقفاً مبهوتاً لا يدرى ماذا يقول . . وهنا تقدمت منه — مسرة — فى احترام وأدب قائلة تفضل يا سيدى مع السلامة إن الجدل الآن لا يجدى ومدت يدها مصافحة مكررة مع السلامة ونظر الرجل إلى فايد نظرة عتب وتأنيب قائلا . . إلى لقاء يا فايد . . . وأرجو الله أن يغفر لك سوء ظنك وتعود إلى الله بفضل إيمان زوجتك وانسحب فى هدوء وفايد يشيعه بنظرات تنم عن سروره البالغ لهذا الموقف ليتخذ منه سلاحاً يطعن زوجته به وبعد خروج الصديق واجهته مسرة قائلة : أتظن أنه مثلك يخون صديقه ليتك مثله طاهراً عفا حى الضمير يخاف الله فلطمها على خدها فى قسوة يقول تبرئيه لتبرئى نفسك يا . . . . فصرخت فى وجهه لكيلا يتمم كلامه قائلة أيها الشيطان ، لقد عرفت كيف تستحوذ على قلبه بارتداء مسوح القديس ولا أدرى كيف جمعت هذه المرأة بينكما وكيف قربتنى إليها فقاطعها بصوت كان يهز كيانها من قبل لكنها فى هذه المرة لم تتأثر . . قال . . لن أتركك الآن حتى تكتبى إيصالا بمبلغ ١٠٠٠ جنيه أمانة عندك تحت الطلب . . وسكت لأن الهاتف نبهه إلى ما كاد ينساه فتذكر منديل المرأة فهرع إلى غرفة النوم يبحث عنه فلم يجده وكانت مسرة عثرت عليه واحتفظت به وهرع إليها يسألها عن المنديل . . فقالت . . لم أره . . فقبض على عنقها بيديه وهو يهدد بخنقها إن لم تسلمه إياه فقاومته وهى تقول بصوت مخنوق . . . . اطلبه من زوجها فقبض على عنقها وقد فقد وعيه وهى تقاوم حتى طرق الباب فى عنف وسمع صوتاً غير واضح النبرات يناديه فتركها وأغلق عليها باب غرفتها ليرى الطارق فاذا بها زوجة الصديق

تهرع إليه كالمجنونة قائلة : ماذا حدث ؟ لقد حضر زوجي كالمحموم وأخبرني أنه مر عليك ولزم الفراش دون أن يفضي بشيء وارتفعت حرارته إلى حد مخيف وقد خرجت لاستدعاء الطبيب بدعوى أن التليفون معطلا لكي أسألك ماذا جرى ؟ هل اتصلت به زوجتك فأشار إليها بمعنى لا . . وبصوت هامس قال إنها في غرفتها ولم تبرحها بعد فعادت تطلب المنديل فقال سأعرف كيف آخذه منها فاطمئني . . قالت لابد أنها اتصلت بزوجي تليفونياً وحضر على الفور بعد خروجك . . لأنه حضر ولم ينظر في وجهي مطلقاً وكأنه لا يريد أن يراني . . ماذا أعمل لو طلقني ! ! وليس لي في الحياة سواه فقاطعها .. لكن أنسيت أننا اتفقنا على الزواج بعد أن يتخلص كل منا من شريكه قالت متخابثة صحيح . . . ولكن ليس على هذه الصورة . . المهم الآن . . كيف أبرىء نفسي . . دعني أدخل عليها لتهدئة روعها وتلفيق سبب لمجيئي ولكي أصلح بينكما حتى أستعيد ثقة زوجي وذلك من مصلحتك . . . ولما فتح الباب لم يجد مسرة وتنبه إلى نافذة الغرفة المفتوحة المطلة على الحديقة فأدرك أنها هبطت منها وأسرع إلى البستاني يسأله وكان لم يلحظ هبوطها من النافذة ولكنه رآها خارجة من الباب فخرج مسرعاً فرآها تنتظر تاكسي فأسرع إليها فلما لمحته تحولت عنه وهي تجري كأن مساً من الجنون أصابها وهو يجري خلفها والناس تجري خلفه يتساءلون . . ماذا فعلت هذه المرأة وهو يردد . . مجنونة . . . مجنونة وأخيراً يقبض عليها مصطنعاً الأسى والألم وهي تقاوم لتتخلص من قبضته بينما تجمهر الناس حولها واختلطت أصوات همساتهم بعضهم يقول . . مسكينة ترى ما سبب جنونها وبعضهم يقول . . شابة حلوة خسارة وبعضهم يقول . . مسكين زوجها يبدو أنه يحبها وبعضهم يقول . . ما أتعس أولادها وبعضهم يقول . . يبدو أنها تزوجت دون رغبتها وهنا تمر عربة تتوقف أمام التجمهر ليسأل راكبها الزوج ماذا بها ؟ فيجيبه بصوت منغم بالأسى وبالوعة . . مجنونة : . . . . وتتندى عيني الرجل بدمعة كوميض برق خاطف ثم ينحي زوجها عنها في رفق قائلا . . خل عنك

أنا الدكتور مؤنس ثم يقدم له بطاقته . . سأصحبها إلى المستشفى فوراً وبحركة لا شعورية تستسلم له دون مقاومة كأنها تحمد الله الذى بعث لها من ينقذها من براثن هذا الشيطان وظن الناس أنها مجذوبة عندما رفعت وجهها إلى السماء تردد . . الله . . . الله . . . الله وتبادل الناس النظرات مرددين . . إنها مجذوبة وليست مجنونة .

داخل مستشفى الطبيب

حاول الزوج أن يقنع الطبيب بأنه قادر على أن يعالجها فى المنزل وليكن تحت إشرافه إذا شاء حرصاً على كرامته وكرامة والدها ولكن الطبيب أكد له أنه لا جدوى لعلاجها فى المنزل ومرقت السيارة وسط الزحام وهو واقف وكأن الله سمر قدميه لأمر لا يعلمه إلا الله وهيأ لها الطبيب مكاناً مريحاً فى مستشفى الأمراض العصبية التى يديرها لحسابه . . ولزمت مسرة الصمت بعض أيام رغم محاولة الطبيب لتنبيه منطقها حتى ظن أنها فقدت العقل على صورة لم يألفها من قبل على أنه لم ييأس وراح يطالع المراجع علّه يهتدى إلى علاج جديد . . فى هذا الوقت اتصل فايد بزوجة والدها مختلقا السبب الذى أدى إلى إنهيارها العصبى مبالغاً فى تصوير خيانة مسرة عندما فاجأها مع عشيقها فى المنزل إذ كانت تظن أنه على سفر كما أخبرها . .

ورغم تكذيبه لأنها على يقين من طهر مسرة وقدرته على الإفتراء فى سبيل الحصول على المال كما ثبت لها أن زوجته بمسره وراح يهددها بين الفينة والأخرى ليحصل منها على المال الذى يريده على أنها أقنعته بالوقوف بجانبه خشية منه منتهزة الفرصة لتوقع بين مسرة وبين والدها واصطنعت الحزن البالغ عندما دخلت على زوجها وراحت تردد بعض كلمات ليفهم منها الزوج أن مصيبة حلت بهم ويضطر الزوج أن يسألها عما جرى وتحاول أن تتهرب من الجواب لتشعره أنها خائفة عليه من الصلمة وأخيراً بعد إلحاحه الشديد تخبره بما أفضى به فايد ثم تتباكى فى تحسر وبلهجة الحزن المصطنع تستطرد . . من أجلك أنت تحمل زوجها الفضيحة وتمالك أعصابه وحاول أن يقبض على عشيقها فهرب من النافذة ومن أوصافه أدركت أنه الشاب الذى كان يمر دائماً تحت النافذة وقد تحدث عنهما الجيران وهنا سكتت عندما سمعت طرقاً على الباب وإذا به

زوجها رافقته ليقابل الوالد وفى جعبته من الحديث ما أوحت به إليه وقبل أن يتكلم بدأت الحديث معتذرة عن سوء تصرف مسرة متهمة جارة لها أو صديقة بتغريرها إذ لم تكن — مسرة — قبل الزواج على استعداد لمثل هذا التصرف الشائن . . .

ويتكلف الزوج الاسى والحزن من هول الفاجعة فى حين ينظر إليه الوالد بعينين كسيرتين مقاوماً جهد المستطاع انتقاضات كربه ثم يطرق خجلا متناسياً اقتراف الزوج لجريمة بشعة يستحق عليها السجن. ثم يستغفر الله ويتلو بعض آيات القرآن داعياً الله أن يغفر لابنته خطيئتها إن كان حقاً ما يقال مؤكداً للزوج أن الله سوف يثنيه خيراً على احتمال الفضيحة والتستر على إبنته بينما أصطنع الزوج الأسى البالغ وهو يقول . . كانت نزوة شيطان . . . غفر الله لهما . . ثم نظر إلى والدها فى استعلاء مردفاً . . أنا مضطر لمغادرة القاهرة فوراً كما نصحنى الطبيب ربما تهدأ أعصابى خشية أن أصاب بالشلل نتيجة لكبت الألم الذى أعانيه فى صمت ولزم الوالد الصمت مطرقاً شاعراً بدوار مريع حول الدنيا أمام ناظريه إلى دائرة متحركة لا تتوقف إلا أمام تمثال جاثم أمامه يتشح السواد ليخفى معالم جريمته وهو لا يتبين من هذا التمثال غير ظلال باهتة تتجسم فى وجه ابنته ثم تتلاشى وتتجسم فى وجه الزوج الجالس أمامه . . على أن إحساسه الكمين يقصيه عن إتهام إبنته بهذه الجريمة البشعة وبعد مجاهدة غالب نفسه قام إلى خزينته وأحضر له مبلغا من المال قائلا وهو يناوله إياه . . سافر حيث شئت لتفرج عن كربك وتستعيد هدوء نفسك والله يجازى كل امرىء بما صنعت يداه . . وأخذ الزوج النقود بعد أن رفضها نزولا على رغبة الوالد مؤكدا له وهو يصافحه لينصرف من أجلك أضحى بحياتى وكرامتى وعندما ودعته نازك عند الباب أكد لها أنه عند وعده بعد أن يرحل العجوز لغير رجعة . .

وفى اليوم التالى حاول الاتصال بالمستشفى ليستأذن الطبيب كى يزور

زوجته فاعتذر الطبيب بأن حالتها الآن لا تسمح بزيارة أى إنسان لم تزل فاقدة الوعى . . على أنها فى الواقع استعادت وعيها بفضل رعاية الدكتور مؤنس لها الذى بذل فوق ما يبذله أى طبيب إنسانى من أجل مرضاه وباتت تشعر أنها أصبحت إنسانة جديدة على نفسها وعلى الناس ولم يبق من أعقاب الصدمة غير ضباب يحول بينها وبين تفهم خفايا النفوس البشرية . وعجز المخلوق عن إدراك بواطن مخلوق آخر حتى أقرب الناس إليه فوالدها الذى رباها على الدين والتقوى لم يستطع أن يدرك كنه مأساتها ويوقن ببراءتها فيقاطعها دون أن يسمع رأيها فيما حل بها كأنه منها تبرأ أما نازك الشامتة فيها فهى قادرة على أن تغلف شماتتها بالعطف عليها ولا تخجل من توجيهها قائلة كان فى مقدورك أن تجتمعى به خارج الدار مادام ذلك يسعدك ولست على بعده قادرة فالحب قاهر ولم تشأ مسره أن تصارحها بالحقيقة وهل تجدى المصارحه ملتزمة الصمت وقد عاودتها مشاعر الكراهية لها وشعرت باندفاع الدم إلى رأسها وغشى بصرها إلى حد لم تعد تتبين ما يحوطها وهنا يدخل الطبيب فيهوله تغيرها ويدرك أن الحديث جرى بينهما إلى مالا تريد مسرة فيرجو نازك فى لباقة بالإنصراف فى الحال لإجراء تحليل جديد للمريضة لما أصابها الآن من تغير مفاجىء لا تحمد عقباه . . . وتمر أيام أخر يمنع الطبيب زيارة أى إنسان لها ومسرة تقاوم مغاليه ذكرى الماضى البغيض راضية عن نفسها لبراءتها مقبلة على الله بتفكيرها ومشاعرها حتى بدا للطبيب أنها بدأت تقبل على الحياة من جديد مشرقة متفائلة بعد أن أنست إليه مؤانسة الأخت إلى أخيها ففتحت له صدرها وكاشفته بحقيقة مأساتها وخيبة أملها فى زوجها وبدل أن يدعم سوء ظنها بزوجها دافع عنه ليهون عليها مؤكدا لها أن زوجها ما هو الا ضحية سوء التربية من ناحية والفراغ الشامل الذى يجتاح وقته بحيث مات فى نفسه الشعور بانسانيته وضرورة التزامه بعمل يعود عليه وعلى الوطن بفائدة ما فهو يمثل العدم الماثل فى هذا الوجود والكيان المعطل الذى شاءت حركته قوى الباطل الهدامه وبأسلوب الإنسان

المؤمن المثالى يطلب منها أن تكون وسيط الدفع الثورى البناء له. لتثبت أنها امرأة جديرة بالإنتساب إلى الدين القويم والإنسانية الرفيعة مؤكدا لها أنها على ذلك قديرة لو أرادت وبأسلوب حنون نفذ إلى أعماقها أردف أن مهمتك كزوجة وأم وأخت وحبيبة أن تنتزعى الفضيلة من براثن الشيطان . . ولا تنس أن فى أعماق كل نفس بشرية كمين الخير والشر وكلاهما يقع تحت تأثير اليد الحانية والروح الدافع فكونى أنت اليد التى تنتزع الشر من أعماقه بحنانك الوفير والروح التى تنمى الخير كأنها الأم الرءوم التى تتعهد وليدها بأقوم السبل ليكون إنساناً خيراً . . وبهذا الحديث الشيق تسلل إلى أعماقها مبددا الضباب الذى كان يغلف روحها المشرقة حتى بانت إليها الحياة وضاءة تنوء بأرج الأمل الحلو.

وهكذا كان ينتهز دائماً الفرصة التى تتيح له محادثتها ليكتسح أساها ويبدد شكواها غير آبه بما يدور حوله من همسات وغمزات من بعض الحكيمات والممرضات وفى خلال محادثاته معها عرف أنها تميل للاطلاع ولكى يؤنس وحشتها ويكتسح غمامة الكآبة التى تخيم على مشاعرها قدم إليها مجموعة من الكتب لكبار الكتاب الذى قلدهم الجهد وسام الخلود ولم تكد — مسرة — تطالع عناوين الكتب حتى قبلت البعض وردت البعض وعذرها فيما رفضت قبوله أنها لا تميل إلا لقراءة ما يمس القلب ويتسلل إلى الذهن ويؤثر فى الروح شاعرة أثناء القراءة أن بينها وبين الكاتب تجاوب وتفاهم لا تعرف سببه . . ولا مأتاه كأنها عاشت معه فتره من عمرة متفضة بانتفاضاته مفكرة بعقله متخيلة كل ما مر بناظريه كأنه مرآة عكست مشاعرها وأفكارها ويعترض الطبيب قائلا : أن ما يروقك قد لا يرورق غيرك ولا يمكن للكاتب أن يصور مشاعر وانفعالات الناس جميعا فتدافع عن وجهة نظرها بضرورة الصدق فى التصوير ودقة عذوبة التعبير بحيث يشعر القارئ انه طاف مع الكاتب حيث طاف دون حاجز بينهما وليس من الضرورى أن أقرأ له صورة مطابقة لحياتى ولكن يكفى أن يقنعنى بصدق مايقوله عن الآخرين وبذلك أشعر أنه منحنى زاداً جديداً .

وتلتمع مقلتها ببسمه وهى تردف . . أن مهمة الكاتب أصعب من مهمة الطبيب — . انت تشخص الداء بعد إرشاد المريض إلى مرضه . أما الكاتب فهو يغوص بفكره واحساسه وراء اللجة دون دليل ويتسلل وراء المغاور دون مرشد . . لذلك يتحتم أن يجد القارئ فى دنيا الكاتب بعض مايريده أن لم يكن كل ما يريده يكفى أن استمتع بمشاهدة الاضواء الساطعة وانا حبيسة الآلام المظلمة فيهون على ما أعانى واكتشف بعينى الكاتب المصورة بقلمها وراء البحار من أصداف ولآلئ واستمتع بروعة القمر وهو ضوؤه على الصحارى ليكشف الاجسام الناعمة النائمة فإذا ألقى شعاعه الفضى على المزارع الخضراء بدت كأن الأرض تفتحت عن جنة تبعث الأمل والرجاء وكم تبدو الاطياف فاتنه عندما يجسمها الكاتب وهى تمر على الشواطئ كأنها مصدر من الحنان هاربة أو مصورا أغاريد الطيور المرفرفة من الفضاء أو النائمة بين الأغصان فى المساء . . وقد تنعشنى نسمات الكاتب كأنها ومضات من النور تقبلنى ورياح قلمه كأنها همسات دافئة تعبث بشعرى والدموع التى تعبر عن المواجع الخفيفة والبسمات الخفية التى تصور آهات النفس الأبية . . أريد أن أشاهد انعكاسات الصدق فى أروع صورة والكذب فى أبشع مظاهره . . بقلم الكاتب . أريد أن أحس أن ما أطالعه كتب بدم القلب لا بمداد مصطنع . . وصمتت لتتنهد ثم أردفت ، ليتنى . . ليتنى أجيد الكتابة . . لو كنت . . لكتبت قصتى بدمى وقدمتها للناس فى اطار خال من الرواه المصطنع . . وسكتت متأوهة بينما عقب الطبيب . . ثقى بأن لكل مؤلف طريقة عرضه فمؤلف يعرف كيف يصوغ المعانى فى قالب يغرى القارئ على التعلق به وكاتب لا يعنيه غير جمع المواد للبناء وصياغتها بأسلوب جاف أو معقد كل ما يهمه صب الخامة التى جمعها فى إناء من المعدن الصفيق أو الزجاج الشفيف ، قالت : قد يكون ذلك وقد يكون ذنب المجتمع الذى لايقبل إلا على أدب التسلية لملء الفراغ . . كأنه يتسلى باللب وبعض الكتاب يتمشى مع رغبة هؤلاء مغالطا ضميره لكى يعيش فقاطعهاوقد

عمره احساس الاعجاب إلى أقصى حد . . أنت فنانة موهوبة ولو كرست وقت فراغك كله للاطلاع لكنت أديبة ممتازة . . أن الكاتبة المعروفة أديبة الشرق الاولى — مى — رحمها الله . . لم تنل أى شهادة ولكنها أعظم أديبة حتى الآن ولا أحسب أديبة ممن نالوا أعلى الشهادات حتى الدكتوراه يمكن أن تبلغ من عمق التفكير ودقة التعبير ما وصلت إليه مى قالت : فعلا . لقد قرأت بعض مؤلفاتها وهى فنانه بحق ولو أن كل كاتب تسرى فى شرايينه حرارة الفن الأصيل لاستطاع كما يستطيع فنان النحت أن يصنع من الحديد أو الطين تحفة فنية رائعة كما يستطيع أن يحول الصحراء القاحلة بفنه إلى جنة فيحاء تنبض بالحرارة والنغم . . أنا لا أومن بأدب الكاتب الذى يصف الأرض — مثلا مترسما خطا من ساروا فوقها عبر السنين مردداً كالببغاء صدى ماالتقطته أذناه من وراء الافق المدرك دون أن يأتى بجديد ؟ ولو أنه جاس خلال الأرض مصورا كل ماتمسه قدماه أوتلمسه عيناه أو تتأثر يداه معتمدا على فكره واحساسه دون أن يخشى حاكم مواريا جريمة مامرضاة له . . وهنا ابتسم ليلطف من حدة ثورتها النفسية التى بدت فى عينيها بريقا أخاذا . . . لو قرأت كل ما أخرجته المطابع منذ العاشر من رمضان والسادس من أكتوبر سنة ١٩٧٣ لقرأت كل ماتهفو إليه نفسك . فقاطعته . . تعنى أن نصر رمضان أشعل حماس الأديب فانتفض ليحرك الضمائر وينبه الوجدان ويثير فى النفس عزما لم يكن فى الحسبان وإن كنت أعزى ذلك إلى الايمان الذى وحد بين العرب وبدد الحقد والبغضاء وزرع بذور الحب والصفاء فى أرض كانت بالأمس قاحله جدباء ثم أصبحت بعد النصر وفيرة النبت والرواء وتأوهت مردفة لكم كنت أتمنى أن يكون للكتاب الأحرار فضل السبق فى تقويم الشعب ويقظة الضمائر وإزاحة ستار الظلام عن النور الذى بدا مع النصر كأنه وليد الساعه . . أن فيهم من المؤمنين مايفخر الإيمان بهم ولكن مع الأسف لم يستطع أخذ قادة الايمان أن يصد الملحدين ليحولهم بدافع قاهر من إيمانه إلى مؤمنين مخلصين أما

اليوم فايمان أبطالنا الفرسان أثبت قدرة الجندى العربى قاهر الطغيان ... وأراد أن يغير مجرى الحديث ليخفف من شدة هجومها على الادباء فقال بلهجة الاستفتاء .. لو أتيح لك أن تكونى حكما لانتاج الأدباء فمن تتوجين بتاج العبقرية والنبوغ ؟ فقالت بنبرة حزينة احتكم للضحية ثم استلهمها خفايا العبقرية فهز رأسه دهشا وقال : ومتى كانت الضحية مقياسا للعبقرية ؟ قالت : لولاها لما تفتح الذهن عن فكر محتجز : قال متحديا : كم من ضحايا تستحق الشنق ؟ قالت فى استنكار لاتسمها ضحية إذ الضحية هى المغلوبة على أمرها ولزمت الصمت برهة وهى تنظر إليه فى عمق ثم قالت : دكتور كم من الضحايا لك ؟ فابتسم ابتسامة تنم عما مر بخاطره من وراء هذا السؤال ثم قال : صدقينى الشئ الوحيد الذى أباهى به إننى لم أجن على أمرأة فى حياتى .. قالت بصوت ناعم النغمات ... وهل من الضرورى أن تكون الضحايا من النساء ؟ قد تكون حشرة قتلها نعلك وأنت لاتدرى ، قال : ليس لنا حيلة فيما لابد منه ولا أظن الله يأخذنى بذنب لم أتعمده — وهنا دخلت الحكيمة الخبيثة قائلة .. الدكتور فتحى أمر باخلاء غرفة السيدة — مسرة — مادام تم شفاؤها فنظر إليها الطبيب فى غير مبالاة وكأنه عليم بسوء نيتها قائلا .. إنها لم تزل فى حاجة إلى الرقابة الطبية قولى له يطلع على أرشيف الصباح وانصرفت الحكيمة على مضض فقالت مسرة هل من حقه ذلك وأعلم أن العيادة خاصة بك .. قال : أنه شريكى وينص العقد المبرم بيننا على أن يتصرف كل منا دون الرجوع إلى شريكه مادام ذلك فى مصلحة العمل إلا إذا أقتضى الموقف الرجوع إلى الشركة .. وبلهجة لطيفة أردف : قد تكونى سئمت الإقامة هنا ، لكن يتحتم ألا تغادرى العيادة ألا بعد إجراء تحليل شامل للتأكد من صحة العافية ولكى يغير مجرى الحديث قال : فيم كنا نتكلم ؟ قالت : لقد نسيت .. قال : إذن لن أسمح لك بالخروج إلا بعد عدم نسيان أى شئ — . وأطرقت مليا لتخفى دموعها المنهمرة ثم رفعت وجهها على أثر قوله ... ترى

ماباعث هذه الدموع ؟ قالت لا أدرى بالضبط. وبلهجة جادة أردفت : تصور أن الانسان يعيش وفق إرادة خفية وإن أسموه حراً . . أنا وأنت وكل كائن تربطنا بالحياة إرادة خفية أقوى من الحياة نفسها . . ثم ابتسمت متهكمة فى مرارة قائلة ونباهى بأننا أحراراً ويبدو أن الحرية التى نتعشقها ونبذل الروح فى سبيلها ليس لها وجود إلا فى خيالنا . تضفى عليها مشاعرنا أضواء تجملها فتبدو لنا رائعة خلابة . . الحرية اسم جميل حقا . . كالحب مثلا من أروع المسميات وأشجاها نغما وأرقهامعنى ومع ذلك نسعد بالحب حقا؟ كما نأمل !! انه مصحوب بالدموع والحرمان والضنى والاسى والغيرة ، ومع ذلك نستمتع بهذه المشاعر على اختلاف نبضاتها ونظمها من مستلزمات الحب المشتهاه ، والدمع هو الدمع ولكن دموع الحب تبعث فى النفس مشاعر غير ما تبعثه دموع الكراهية فالسر فى تصور الإنسان وفى المعنى الخفى الذى نشعر به ولا ندرك كنهه أليست اللحظات القصيرة أو الطويلة التى نحظى فيها بالحب هى التى تملأ فراغ حياتنا كلها بالذكريات . . قبل الحب نحلم به و نتمناه ومن الأحلام والامانى نستشعر بما تتيحه أخيلتنا من رؤى الحلو رغم أحساسنا بأننا ما زلنا نعيش فى هذا الوجود . !! . فاذا ولى الحب بعد عمر قصير أو طويل عشنا مع الذكريات مستمتعين بانتفاضات هذه الذكريات كلما مسها الخيال الذى يربط بين الماضى والحاضر ونحن أبدا ندور مع كوكب هذا الخيال الذى يصل أبدا بين ما فات وبين ما هو آت وسكتت لتتنفس الصعداء وبها رغبة لتسمع رأيه فيما قالت فلم يتكلم وظل ينظر إليها مشدوها فى تهيب وقداسة فعادت تقول ظنا منها أنما قالته فى حاجة إلى الإيضاح أنت حر ولكنك مقيد بالنظم والتقاليد والقانون وكل رباط يصلك بالمجتمع والدين فقاطعها بصوت هادىء إذ وجد ثغرة تبيح له الكلام . . لابد من ذلك والا اختل نظام الكون والحياة نفسها تمضى فى طريقها المرسوم لها منذ الازل فعلقت . . صحيح . . فصول السنة . . . توقيت الزمن دورة الأفلاك

ومسيرها على اختلاف مسمياتها ومراكزها كلها تسير تبعا لنظامها المرسوم عدا الإنسان يحاول أن يتمرد على النظام الأرضى والقانون السماوى وقد يسوقه التمرد إلى الضلال فيتطاول متناسيا أنه مخلوق ويسأل خالقه لم ؟ ولم ؟ فيقاطعها قد يكون التساؤل بداية تفتح القلب للاستغراق فى الملكوت الأعلى فيود لو يعرف كل شىء ليزداد حبه وعبادته لله فابتسمت وكأن هدير الحمام استقر فى حجرتها لحظة ثم قالت : مع الأسف لم يستطع واحد أو أى إنسان ارتفع بوعيه الدينى إلى مصاف الأولياء أو الحكماء وأن يجعل من تقواه أو حكمته سلطانا يسيطر على الأمة التى ينتمى إليها مكتسحا بقوة كقواه كل مفاسد المضللين قد يكون الصوفى حكيم دين والأديب حكيم الفكر والقائد حكيم سياسة والفيلسوف حكيم اجتماع وحتى الآن لم تسفر حكمة هؤلاء جميعا عن تشريع ارتفع بالإنسانية إلى ما فيه الخير للجميع فتتآلف الأرواح وتتجانس القلوب وتتفاهم العقول وتسمو النفوس ويتجرد ذلك كله من الأثرة والأنانية متى يدين شعبنا لهذه المثل متى ورغم تقديره بوجاهة منطقها قاطعها : أنسيت أن فى بلدنا من استطاع أن يتجه بالشعب كله للعمل من أجل الخير للجميع فشاع الاشراق على وجهها وقد ردها إلى ما غاب عنها فقالت : تعنى الرئيس المؤمن ، اعترف أنه وحد بين الشعوب لأن الله معه ولم يحاول أن يستعلى بوقوفه فوق القمة بل لمس الأرض بقدميه ولم ينشر بين الناس أزاهير الحكم معطرة بشذى الأمانى ليقال أنه من الحكماء ، ولكنه ولد وتنفس الهواء مشوبا بأنفاس المتاعب فعرف مصدر التعب وكيف يقضى عليه . . . ثم درج وعاش بين الصفوف جنديا وحارب بين الدروب الادغال والكهوف فى فلسطين ولم يشأ أن يجلس على مكتب يمر بقلمه فى هوادة أو غير هوادة ليشير إلى ما يريد وما لا يريد ولم يشغل ذهنه بمرور عجلات الشهر بأقصى سرعتها ليتناول مرتبه الذى يزداد كلما امعن فى النفاق ويقف حيث هو أن لم يحسن الرياء ، ولكنه واجه أعاصير الحياة معتصراً قواه ليعرف كيف يثير الحب فى النفوس مؤمنا بأن الحب وحده كاف لانتزاع كل سوء من كلمته ليلقى على الناس أصدق بيان للقيادة الحقيقية ، القيادة التى تعاف الكلام بقدر

ما تتمسك بالعمل فى سبيل تحقق اسمى الأمانى . . وبحركة لا شعورية جذبه يدها فى حرارة كأنه يبارك روحها قائلا . . حسب السادات أن تتسلل رسالته إلى المجتمع بواسطة امرأة مثلك . . ذلك يكفى لخلق مجتمع متكامل وهنا يسكت مترقبا الممرض الذى أقبل عليه ليعلن مقدم والد مسرة لزيارتها ووجد ، الطبيب الفرصة مواتية ليتحدث إلى الوالد بعض الوقت بعيداً عن ابنته وقبل أن يأذن له بزيارتها خرج ليستقبله فى مكتبه بعض الوقت كى يؤكد له ما سبق أن ذكره أثناء محادثته التليفونية عندما اتصل به مؤكدا له براءتها وإلزامه برعايتها وحمايتها . . وريعت مسرة لمقدم والدها وغابت فى دوامة الخوف منه ولا تدرى ما عساها تقول بعد أن قاطعها هذه المدة وقبل أن تستفيق من غيبوبة مشاعرها الحائرة دخل عليها الوالد تنم أسارير وجهه عن الرضا والارتياح وصارحها بدعوة الطبيب إليه ليشرح له حقيقة الموقف لإثبات براءتها ولم تشأ أن تثير تفاصيل ما حدث مؤكدة له أن تربيتها وما غرسه [فى نفسها من إيمان كان ذلك درعها الحامى من كل سوء وأخذ عليها والدها كتمان ما حدث لها منذ تزوجت فلو فعلت منذ البداية لعرف كيف يحميها فقالت كنت أتمنى أن أخلق منه رجلا شريفا وبدافع هذا التمنى وطنت العزم على أن أحول طاقته الشريرة إلى طاقة خير وعمل كى يشارك فى بناء مستقبل وطننا العزيز وغلبتها دموعها فهزت رأسها نادمة على عمر مضى بجواره دون جدوى وبلهجة الإيمان الصرف أردفت لطالما دعوت الله مخلصة فى صلاتى أن يحول تيار قوته من الشر إلى الخير موقنة بأن الله يختبر إيمانى بقدر صبرى واحتمالى ولطالما تمنيت أن يرتد إلى الله وأن ينأى عن الأثم بمحض إرادته سعيدة بقدرتى على مغالبة المعصية وتخطى مراحل الاختبار الإلهى بتفوق ثم ابتسمت وقد شاع نور الإيمان على وجهها مردفة ألا ترانى قد نجحت بتفوق فى ردع الشيطان يا أبى ؟ لو رأيتنى كيف قاومت وصارعت المعصيه حتى صرعتها لهنأت نفسك بأبنتك . . لقد وضعنى الله فى بوتقة محرقة ليجد مدى [إيمانى . . وخرجته

من هذه المحنه أقوى إيمانا موقنة بأن الله قبلنى فى مصاف عباده الاتقياء . . .
فله الحمد والشكر وسكتت لتتنهد ثم راحت تكرر الحمد لله بينما مال والدها على وجهها ليقبلها قائلا . . حقا يا ابنتى لقد نجحت بتفوق وفزت بنيشان الاستحقاق الذى يؤهلك إلى أعلى مراتب القديسات فى الدنيا وأولياء الله المقربين فى الآخرة بعد عمر طويل وبصوت الرجاء تقاطعه — متى تخلصنى منه إذ لافائدة فى اصلاحه كتب عليه أن يكون شقيا — فيقاطعها — قل الله يهدى من يشاء . . . وهنا ارتعشت شفتاها وغمغمت . . هل ستتركنى بعد ذلك ؟ فربت على خدها مترفقا بها قائلا لن أرغمك على البقاء بجانبه ، لك مطلق الحرية فى التصرف بما يكفل لك السعادة على أى وجه يرضيك ويصمت لحظة ليقاوم إنفعاله الداخلى الحزين ثم يتنهد كأنه ينفس عن همه الدفين مبتهلا إلى الله بصوت خفيت أن يحفظ ابنته ويقيها من كل سوء ويصمت ليصغى إلى الطبيب الذى دخل عليهما ليقول موجها الحديث إلى مسرة لقد حضر زوجك للاطمئنان عليك ورغم الحاحه واصراره على ضرورة رؤياك أقنعته بأن زيارة أى إنسان لها الآن تضرها وانصرف مرغما مهددا بنشر دعاية ضدى . . . ويبتسم معلقا . . ليته ينشرها فى الصحف لتكون اعلانا لى مجانا . . .
وينصرف راجيا من الوالد ألا يغادر العيادة الآن فقد يكون مترصدا فى الخارج إذ يحتمل أن تكون إحدى الممرضات أ خبرته أنك هنا . . وتنتهز مسرة الفرصة لتصور لوالدها مدى الجهد والعناية التى بذلها الطبيب فى سبيل شفائها موعزة إلى الوالد بتقدير العلاج تقديراً ماليا أكثر مما يطلب الطبيب وتعترف بأنها لم تر فى الحياة رجلا شهما نبيلا خيراً مؤمنا مثل هذا الطبيب وتنهد متحسرة قائله . . أنه ملاك . . فيربت الوالد على خدها معقبا . . .
من أجل أمثاله خلقت الجنة . . وتعلق . . . ومن أجل الشيطان خلقت النار وهنا يدخل الدكتور فتحى وبلهجة جافة يحيى الوالد وبعد أن يقيس نبضاتها يقول لها بصوت ينم عن تحدى الدكتور مؤنس أهنئك بالشفاء التام يمكنك الخروج فوراً مع والدك الآن . . . ويفرح الوالد ويحمد الله

ويوجه إليها الحديث . . هيا يا ابنتى استعدى للخروج معى الآن فتنظر إليه بمعنى : أنسيت ماقاله الدكتور مؤنس . ويتذكر الوالد فسيتوقف الطبيب الذى أدار وجهه ليخرج قائلا . . أظن من الواجب أن أقدم الشكر للدكتور مؤنس فإذا سمحت فيقاطعه سوف أبلغه ذلك وكشف الحساب عند المختص والدكتور يمر على المرضى الآن خارج العيادة ويغادر الغرفة قبل أن يدع له فرصة للكلام وعلى أثر خروجه تدخل الحكيمة الخبيثة تتبعها الممرضة ويقومان بعمل بعض التعديلات فى الغرفة إيزانا بخروج مسرة واستقبال مريض جديد وكان لابد أن تخرج مسرة بمرافقة والدها الذى دفع حساب العلاج حسب تعليمات الدكتور فتحى وعندما تخلو مسرة بوالدها على باب العيادة الخارجية تطلب منه أن يسمح لها بالذهاب إلى عمتها لكى تبتعد عن زوجته إذ تخشى أن تعاودها المرض راجية منه ألا يخبرها بمغادرة مسرة المستشفى كأنه خرج تاركا إياها هناك وحقق لها أمنيتها وتركها عند عمتها بعض أيام أخر ريثما يتقرر مصيرها راجياً الله فى توسل أن يساعده على توفير أسباب السعادة والطمأنينة ولم تكد تستقر مسرة فى بيت عمتها حتى شعرت بأنها ولدت من جديد وبدت الحياة جميلة فى ناظريها تغرى على التعلق بها مستعيدة ذكرى إقامتها فى عيادة الطبيب متخيلة المرضى أطياف هربت من جحيم الدنيا إلى جنة النعيم بفضل ما يسبغه عليهم الطبيب مؤنس من حنان وعطف ورعاية وراحت تفكر فى مصيرها بعد خروجها لقد ألفت حياتها هناك والآن تبدو والحياة بدون طبيبها والمساعدين له المخلصين خلو من الإشراق الذى كانت تنعم به كأنها تعيش مع ملائكة رحمة هبطت من السماء ولعلها لم تأسف لشئ بقدر أسفها الآن لعجزها عن الكتابة بأسلوب جدير بتصوير ما تكنه لهؤلاء من إعزاز وتقدير لافرق بين من قام على خدمتها أو لم يقم . . إنهم جميعاً فى ناظريها رسل الإنسانية . . . حتى الدكتو ر فتحى الجاف لم تأخذ عليه قسوته مبررة ذلك لكثرة الجهد الذى يعانيه، فى هذا الوقت يعلم الدكتور مؤنس من ممرضة كانت تألف مسرة وتوليها اهتماما

خاصا مغادرتها العيادة بناء على إصرار الدكتور فتحى . . . وصعب عليه أن تخرج مسرة على هذه الصورة ودون أن يطمئن على صحتها على الأقل . . وأخذ على زميله تصرفه هذا وحدثت بينهما مشادة كادت تفسخ عقد عملهما المشترك وتقضى على صداقتهما منذ عهد طويل . . واضطر أن يتصل بوالدها تليفونياً ومن سوء حظه خاطبته الزوجة فانتحل شخصية راغب فى إنجاز شقة فى ممتلكاته وتوسمت فى صوته رقة ولطفاً . . وحاولت أن تشعره بأنها صاحبة الأمر وحددت له ميعادا لكى يقابلها فى منزلها مشيرة فى سياق حديثها أن زوجها على سفر قد يطول بعض أيام وأراد أن يسايرها ليختبر نفسيتها فطلب منها أن يرى الشقة الخالية فأعطته عنوان الشقة التى كانت تقيم فيها مسرة مع زوجها مطمئنة إلى أن مسرة فى العيادة تحت العلاج وزوج مسرة سافر فى الصباح إلى الإسكندرية كما أفهمها فى التليفون وفى الميعاد المحدد أيقن أنها الآن فى الشقة الخالية تنتظره فاتصل بوالد مسرة تليفونيا ليتأكد إن كان على سفر حقاً أم لا فإذا لم يجده يستعين بالخادم على معرفة مقر مسرة . . . ولشد ماسره مخاطبة الوالد الذى صارحه بأنها عند عمتها بعض أيام ريثما يفكر فى تحريرها من زوجها . . وفوجئت مسرة بمقدم الطبيب عند عمتها وبدأ حديثه بالاعتذار عن تصرف الدكتور فتحى بدعوى أن ارهاقه فى العمل ليل نهار يدفعه إلى القسوة حتى على نفسه ثم يسألها عن صحتها وينهى حديثة بقوله أرجو أن تولى نفسك اهتماما كأنك تهتمين بأعز إنسان لديك مشرقة الروح مطمئنة القلب وهما كفيلان بحماية جسمك وعقلك من كل سوء وأنا على يقين بأنك إذا غالبت قلق نفسك وفزع روحك فلن يعاودك ما أصابك أبدا . . ولأول مرة تشعر أنه شدها إليه وكأنها وقعت تحت تأثير ساحر شاعرة بإحساس جديد لم تألفه من قبل يمس قلبها مساً رقيقاً لطيفاً بعث فى صدرها حيوية متدفقة وسكب فى قلبها حرارة تحس معها بنشوة عجيبة ولما هم مستأذنا

للانصراف انتفضت كأنها استفاقت من حلم جميل وقالت : أشكر لك نبل عواطفك غير أنني اعتقد أن الأمن الذى تدعو إليه يكاد يكون مستحيلا مادمت مرتبطة بمن أسموه زوجي وإن كنت اعترف فى غير مبالاة بأنني لم أعد أشعر فى قرارة نفسي بصحة الرباط الشرعي الذى جمع بيننا وقطعت حديثها لترد على التليفون فاذا بها صديقة لعمتها تطلب مخاطبتها . . وبعد أن تحدثت العمة أرسلت خادمها لشراء جريدة المساء وأخبرت مسرة بحديث الصديقة وكان لابدأن تنتظر الطبيب بناء على رجاء مسرة ريثما يطلعا على الجريدة. . ولشد ماهالها هذا الخبر . . واختطف الطبيب الصحيفة من يدها خشية أن تصاب بسوء عندما لاحظ ارتجاف أطرافها وارتعاش شفتيها عندما حاولت الكلام وصعب عليها . . وقرأ الخبر و . . فصعق وردد فى ذهول أتراها . . عرفتني وكانت تريد أن توقعني فى الفخ . . . وتنبهت مسرة وسألته . . ماذا تعنى يادكتور قال وأنفاسه تخنق كلماته . هذا المنزل كنت مدعو إليه منذ ساعة بدعوى أنها شقة خالية للايجار . . فريعت وقالت . . . إنها مسكني فمن التى دعتك ... فقص عليها وقد استعاد هدوءه وتماسك أعصابه . . ماجرى بينه وبين زوجه والدها . . فقالت . . وقاك الله كل سوء ومع انهيار دموعها أردفت بصوت ينم عن الفزع كأن ماتخشاه وقع . . تصور أنك وأنت لا تدرى أن النذل كان يستعمله للقمار والدعارة . . فى هذا الوقت ذهبت نازك حسب الميعاد ودخلت الشقة ترقب مجئ من وعدته ولما طرق الباب أسرعت إليه ظناً منها أنه هو فإذا بشاب من المترددين على المسكن من رفاق زوج مسرة وظنها الشاب جاءت بدعوة من صاحب المسكن لتجالسه ريثما يجتمع الرفاق وأقبل عليها يقبلها ويعانقها قائلا أحسن صاحبي الاختيار هذه المرة وقبل أن تنهره وتقصيه داهمها رجلان من شرطة الآداب وقاداهما إلى الشرطة . . . وغاب الطبيب لحظة وقد انسرح خياله

فيما لو ذهب ماذا تريد المرأة منه .. ونهته — مسرة قائلة — .. الله معى .. ولن يتخلى عنى . . . أشعر بذلك . . أعتقد الآن أنه من حقى أن أطلب الطلاق فوراً .. قال تريثى .. فقد يبرئه القانون لأنه لم يضبط متلبساً بالجريمة قالت فى حدة . . إذا صح هذا فان أعتمد على القانون الذى لا ينفذ تعاليم الأديان السماوية فالشريعة أحيانا لا تجيز ارتباط زوجين دون وفاق قال مادام الله معك فهو حاميك وفى سخط بالغ تردف : لشد ما احتقر هذا القانون العاجز عن حماية الأصهار فقاطعها ليلطف من حدتها القانون يحمى الأزواج من العواصف والزلازل فكلمة الحب التى تجمع بين الزوجين لا تمتاز عن كلمة النفور التى تفرق بينهما ودليل واضح فالزواج الشرعى المكفول بحماية القانون لا يتطرق إليه الفشل السريع ولا تعصف به العواصف المادية أو العاطفية بمجرد أى خلاف بين الزوجين فى حين أن الزواج العرفى يكفى أى تصرف للتفرقة دون خوف من القانون فيتخلى الرجل عن المرأة أو تتنكر المرأة للرجل بدون مبالاة وكم من مآسى كشفت عنها القضايا بسبب الزواج العرفى وأظنك توافقين على أن الزواج إذا لم يكن مكفولا بالحب الأكيد والثقة التامة والتفاهم الكامل فلا أمل فى تخليده .. ثم ابتسم مستطردا :

لقد تحدثنا فيما لا يعنينا .. المهم على الإنسان ألا يتشاءم وعليه مواجهة الحياة ، بخيرها وشرها ... ثم نظر اليها فى حنان وبنبرة مفعمه بأنفاس العطف أردف . وأنت بالذات يجب أن تديرى وجهك عما يثير آلامك ومتاعبك وإن كان لا بد أن تواجهى الشر إن كان ثمة شر يواجهك فواجهيه بشجاعة وتحدى لتنتصرى عليه ولكيلا يقف القانون أو كما سميته بالقدر الأرضى بجانب الشرير إذا لم تتصدى له وتكشفى خفايا شروره وهنا تقاطعها بصوت تخنقه العبرات .. وهل ذلك ممكنا ؟ وكيف والشر أقوى أقوى من الخير كما يبدولى مقاطعها بصوت جاد . النصر للخير أبدا مهما طال الصراع بينهما مادام الكفاح من أجل الخير وسمو الغاية فدمعت عيناها وهى تقول لا تتكلم بلغة اهل الدين بل تكلم بلغة الواقع .

أنا مثلا : لقد قاومت كثيراً بعد أن صبرت على بلاء أمر من البلاء فدفعنى الصبر إلى كارثة لولاك لكنت مازلت بين جدر مستشفى الأمراض العقلية. فابتسم فى وداعة ليلطف عنها قائلا : إذا فكرت قليلا أدركت أن الله لم يتخل عنك وهو الذى وجهنى إليك مع أن الطريق الذى مررت به يومئذ لم يكن طريقى ولقد تحولت إليه مرغما عندما وجدت طريقى مغلقة لأمرما .... وكأنه بهذه اللفتة العابرة مس شغاف قلبها فمر بخاطرها فى التو الأيام الهانئة التى لم تزل تنعم بتخيلها فى رضا وارتياح وقالت صدقت فعلا لقد عوضنى الله خيراً أننى لم أشعر عندما كنت فى عيادتك أننى مصابة بمرض نفسى بل كنت استشعر بأننى أطوف عوالم لم تمر بخيالى من قبل سعيدة بتنقية تفكيرى من غبش الأوهام وانطلاق روحى بعد أن ظلت حبيسة الآلام طوال ما مر من عمرى وسكتت لتصغى إلى الخادم التى أقبلت لتقول لها ..ان زوجك يسأل عنك فى التليفون فماذا أقول له .. قالت : قولى له أن سيدتى عمتها لاتعرف غير أنها عند الدكتور مؤنس فى عيادته ولم تتصل بها منذ أيام لأنها كانت غائبة فى البلد ولم تحضر غير صباح اليوم وبعد أن تستريح تسأل عنها .. وعلى أثر انصراف الخادم ابتسم الطبيب وقال ، هأنت كذبت فقالت .. أحيانا نضطر للكذب ولا أحسب ذلك كذبا لأنه لا يضر أحداً ويحمينى من الشر ولقد قيل الوقاية خير من العلاج. ثم دمعت عيناها وأطرقت لتخفى خلجات ماضيها الحزين فمد يده فى رفق على ذقنها ليدفعها قائلا ما الذى مر بخاطرك فغالبت دموعها وهى تقول . ذكر الكذب يعيد إلى ذهنى ذكرى مأساتى فقد كانت أكذوبة مأساة شنيعة عرف صاحبها أن يمثل دور الصدق فى أجمل صورة وفهم ما ترمى إليه فترفق بها قائلا هونى عليك فسوف تنتهى مخاوفك بإذن الله بتحقيق ما تصبو اليه نفسك — فجرى قدوتك الخلاقة يامسرة ولا أحسب إلا أنك بالغة أملك المنشود وقد يعود إليك

زوجك صالحا خيرا فقاطعته بحرقة وصوت دامع . . تصور ذكر كلمة زوجى تحز فى نفسى وتدفع الأسى مقرونا بالدمع فى عينى ، لكم كنت أتمنى أن تنطلق أسمى المعانى وأجملها إذا ذكرت قال فى إيمان وسيكون ذلك إذا شئت يامسرة . . فحاولى مرة أخرى ولا تيأسى من رحمة الله قالت لقد حاولت المستحيل حتى أيقنت أن من ينشأ فى الأوحال لا يمكن أن يرتفع عن الأرض فعقب الطبيب ألا يحتمل أنه استقى من ينبوع ملوث بالضلال فقربيه أنت ينبوع يستقى منه ما لم يتذوقه من قبل أذيبى فيه حنانك وحبك وإيمانك وسوف يستعذب مذاقه ويقبل عليه وينظر الطبيب فى ساعته فإذا بالوقت يحتم عليه الذهاب فورا إلى عيادته فيتصل تليفونيا للاطمئنان ولكنه يفاجأ بحالة تستدعى الذهاب على عجل فيستأذنها راجيا أن تطمئنه على صحتها من آن لآخر ويودعها راجيا لها الصحة والطمأنينه . . .وعلى أثر خروجه تستدعى مسرة تليفونيا صديقتها لتسرى عنها وبعد حضور الصديقة يدق التليفون فتجيب الصديقة فاذا بالمتكلم زوج مسرة ليسأل عنها فتجيبه الصديقة إنها هنا والحمد الله صحتها تحسنت مبروك وتفزع مسرة إذ لم تكن تفضى إلى الصديقة بما ألم بها من قبل كما لم تنبهها إلى نكران وجودها إذ لم تتوقع مخاطبته مرة أخرى .. وسرعان ما تفاجأ مسرة بمقدم زوجها يرافق زوجة أبيها إذ خرجا بعد التحقيق بكفالة وتصعق مسرة ويخونها النطق فلم تتكلم فى حين تقبل عليها نازك تقبلها فى شوق مصطنع ثم تتنحى تاركة لزوجها فرصة لاظهار شعوره وحاول أن يعانقها فى شوق ولكنها ردته فى نفور محولة عنه وجهها ولكنه طوقها بذراعيه رغما عنها قائلا : حمدالله على سلامتك لقد اطمأن قلبى لقد عاد إليك إشراقك وجمالك ويأخذ مجلسه بجانبها مردفا سأصلى لله حمداً وشكراً وبصوت التهكم اللاذع قاطعته .. ليس هناك ما يدعو لتكرار التمثيل أنت لا تعرف الله فلا تذكر اسمه على لسانك وهنا استأذنت الصديقة مهنئة إياها بالشفاء على أمل أن تعود بعد أن

تتصل بها تليفونيا واصطنع الزوج التغاضى عن نفورها واحتقارها قائلا بلهجة كأنها صادرة من الصميم ، لقد غفرت لك كل شئ : واعتزمت أن نفتتح حياتنا بيضاء فنظرت إليه شذرا قائلة : لقد انتهى ما كان بيننا وهنا تقاطعها نازك — عفى الله عما قد سلف وكل إنسان معرض للخطأ أن زوجك يعبدك وقد نذر لله أن يقيم حفلا بمناسبة شفائك فامتقع وجه مسرة وبلهجة الغضب . . قالت كفى ما لقيت من الحفلات وبلهجة الدهاء تقول — نازك — أنسيت أن ميلادك بعد ثلاثه أيام ولقد أعددت بمعاونة زوجك كل ما تحبين لنحتفل به وفى سخرية لاذعه تقول — مسره — ومتى احتفلتما بميلادى لقد كنت احتفل به قبل زواجى مع عمى لأنك عارضت والدى عندما أراد أن يحقق رغبتى للاحتفال به مع بعض صديقاتى بدعوى أن ابنة عمك توفيت ولا يليق ترديد الأغانى . . أوه لا داعى لذكرى الماضى وأول ميلاد بعد زواجى قضى من اسموه زوجى طوال النهار كعادته نائما وقضى الليل مع رفاقه ساهرا فيما لا يرضى الله . . وعز على أن أنبهه إلى عيد ميلادى فاحتفلت به وحدى على قبر أمى باكية . . ثم تحرك يدها كأنهاتبعد عن ناظرها شبحا مخيفا مغمغمة بشفتين مرتعشتين مبللتين بالدموع . . أرجوك لا تثيرى ما مضى وهنا دخلت العمة فراعها وجه مسرة الشاحب وأثر الانفعال البادى على جبينها ولم تكن قبل مجيئهما مغتمة فدنت منها قائلة لقد سمح لك الدكتور بالخروج على شريطة أن تستريحى ولا تتكلمى الا لماما ثم التفتت إليهما مردفة . . انها مازالت تحت العلاج ثم تساعدها على الاضطجاع بعد أن تهيئ لها الوسادة مخاطبة الزوج يمكننا أن نجلس فى غرفة أخرى لكى تستريح إذ أخشى أن تعاودها الحالة الآن لأن البرودة بدأت تتسرب إلى أطرافها . . قالت ذلك بصوت هامس ينم على الخوف عليها : . وتتحرك نازك قائلة : لقد اطمأننا عليها والحمد لله . . يجب أن أعود إلى المنزل لكى اطمئن والدها لأنه قلق ولم أشأ أن أكلفه مشقة المجئ لان حالته الصحية فى هذه الأيام متأخرة فتبدى أخته الفزع فى تكلف قائلة . . سأحضر لأطمئن عليه بعد أن تحضر ابنة

أختى لترعي مسرة .. فتقول نازك .. لا تتعبي نفسك .. سوف أصحبه، إليك غداً ان شاء الله ويصحب زوج مسرة نازك فيتحدثا على انفراد وقد نصحته بعدم استقبال أى أحد فى منزله إذ لا شك ان المنزل مراقبا فيبدي موافقته ثم يجلسا على مقهى بعيدا عن أنظار معارفهما وفى سياق حديثه يحاول أن يقنعها بضرورة التخلص من زوجها ليتصرفا فى ثروته قبل معافاة ابنته . . وترفض — نازك — لأنها لم تتعود قتل إنسان كما أنها واثقة من قرب منيته لأن صحته فى تأخر مستمر ويبدى أسفه لخيبة أملها إذا أطال الله عمر الوالد أكثر مما كانت تتصور وخاب ظنها بعد أن اتفقت معه على أن يتزوج مسرة ثم يتخلص منها بعد وفاة والدها ويتزوجها بعد الحصول على الثروة وتجد نازك أن الكلام فى هذا الشأن الآن لا يجدى كما تلحظ أن الوقت أزف فتنصرف على ميعاد ويدهش الوالد عندما تخبره أنها ذهبت لابنته فى العيادة فعلمت بخروجها وبالصدفة حضر زوجها ليسأل عنها وعلم انها تقيم فى بيت عمتها . . وكان لابد أن أرافقه خشية ان يحدث بينهما ما لاتحمد عقباه وقد استطعت أن أعيد الحب إليهما ولقد أراد أن يصحبها الى منزله ولكن عمتها رفضت حتى تسترد صحتها كاملة على أنها أصبحت موفورة الصحة والعافية ثم تبدى رغبتها فى ضرورة الاحتفال بميلادها بمناسبة شفائها واقترحت أن يشترى هدية ثمينه يقدمها إليها فلما يوافق تقول . . وأظن من حقى أيضا هدية ميلادى فإنه بعد ميلادها بأيام قلائل فيدهش وكان يمتاز بذاكرة قوية رغم تقدم سنه ويقول . . لقد كان ميلادك فى يناير وأخذت هدية ونحن الآن فى مارس فتداعبه منبهة أحاسيسه ولما توقن أنها تنبهت وخيل إليها أنه بدأ يجاوبها قالت فى خبث . . أعنى هدية بمناسبة شفاء ابنتك ثم متى تفى بوعدك فيقول بلهجة النفى لاأذكر أننى وعدتك بشيء ولم أف به . لقد أعطيتك كل شيء . . . فتقول إلا . . فيقاطعها بلهجه بطيئة كمن ينتزع من أعماقه حشاشة قلبه إلا الشباب ؟ فتنظر إليه فى إغراء قائلة . . بالعكس . . إنى أراك أكثر حيوية وسحرا من

الشباب فيقاطعها فى امتعاض ساخر قد يكون المال هو الذى أضفى علىّ قوة الحيوية وسحر الشباب فتحتد قائلة : تخطئ إذا ظننت ذلك . . . . . فربت على خدها قائلا : هل كنت تقبلين الزواج منى لو كنت فقيراً لا أملك غير قوت يومى وأنا فى هذه السن فتصطنع الجد قائلة أجل وأى امرأة ترفض رجلا وقوراً لطيفاً وديعاً صالحاً رقيق الحاشية وهل تطمع الزوجه فى اكثر من ذلك، فيبتسم ابتسامة باهتة حزينة قائلا.. . .اكثر من ذلك بكثير ، فتوارى ما مر بخاطرها بضحكة منغمة قائلة . . أنا شخصيا لا أطمع فى غير ذلك فابتسم فى تهكن واضح قائلا . . لأنك امرأة صالحة ، ومع ذلك دعينى أسألك لماذا تحتمين على أن أتنازل لك عن نصف ثروتى ؟ قالت : لكى أضمن مستقبلى واعيش ماتبقى من عمرى كريمة شريفة مدى الحياة . .قال : هبينى مت الآن : فسوف ترثى ما يكفل لك حياة طيبة قالت : لكن لاتنس أن ابنتك قاطعها اطمئنى سأعمل مايرضى الله ويرضيك فخرجت من تحفظها وقالت بلهجة جادة ، فقد وعدتنى ويجب أن تكون عند وعدك وسأطلب محاميك حالا لينفذ ما وعدتنى به ، فقال فى مرارة واستخفاف هل انبأك عزرائيل بمقدمه : قالت الأعمار بيد الله قد أموت قبلك فيعود إليك ما منحتنى إياه . . فضحك ساخرا وهو يقول : بعضه لا كله وكان مقاومة انفعاله الداخلى نفدت فأسعل واحمر وجهه وانتفضت خلجاته واشار بيده لتناوله الدواء قائلا بانفاس متقطعه . . ا . . ا .. دوا ..ء وظنته يوشك أن يلفظ أنفاسه الأخيرة فساعدته ليعتدل فى جلسته كى يبدو فى صحة كاملة ثم خاطبت المحامى تليفونياً ليحضر حالا وفى هذا الوقت قدمت الخادم إليه كوب الليموناده الذى طلبه منذ برهة ولم يكد يتناوله حتى استرد وعيه واستفاق منتعشاً فى الوقت الذى شغلت فيه بتصفيف شعرها وتزويد زينتها وعندما سمعت طرق الباب اسرعت لملاقاة المحامى مظهرة الخوف البالغ لما أصاب زوجها إذ فقد وعيه ولشد ما روعها رؤيته عندما دخلت عليه بمرافقة المحامى الذى

ر حب به الزوج كأنه جاء من تلقاء نفسه فسأله بصوت هادئ متزن خال من الرعشة هل انجزت الإيجارات وفق التحقيق الوزارى ؟ ويدهش المحامى وينظر إلى الزوجة التى وقفت مذهولة واضطر المحامى أن يتحدث معه فيما يعنيه على مسمع من الزوجة التى وقفت تغالب الغيظ لتخفيه ولما انتهى المحامى من حديثه وتأهب للانصراف استوقفته لتقول لزوجها : قل له ينفذ ما اتفقنا عليه ودون مبالاة يجيبها لن أفعل شيئاً إلا بمحضر ابنتى فنظر إليها المحامى أسفاً وانصرف

محاولـــة جديدة

بعد اطمئنان الدكتور مؤنس على صحة مسرة انقطع عن زيارتها وحمد الله على ذلك على أنها لم تلبث بعد زيارة زوجها وزوجة والدها إليها بدأت تشعر بهبوط فى قلبها لاستغراقها فى الفكر خشية أن يسترضى زوجها والدها وبمعاونة زوجته يردها إليه وفى أمسية ممطرة تقلصت عضلاتها وارتعشت أطرافها وأيقظت العمة فى منتصف النوم مستغيثة بها من شدة الألم الذى تشعر به واضطرت العمة أن تتصل بالدكتور مؤنس الذى حضر فوراً وحملها إلى عيادته مرجحا ماأصابها من إهمالها العناية بنفسها مع عدم أخذ الدواء كما أخبرته عمتها ونبه على جميع العاملين فى العيادة بعدم السماح لأى كائن بزيارتها كأنها غير موجودة فى العيادة ورغم أن عمتها أنكرت ذهابها إلى العيادة حسب رغبة الطبيب ومسرة مدعية أنها خرجت أثناء زيارة العمة لقريبة مريضة لها فقد استطاع الزوج بعد أن قدم رشوة لبواب العيادة أن يعلم بعودتها وحاول الاتصال بالدكتور مؤنس بضرورة لقائها بمناسبة عيد ميلادها حيث سبق أن اتفق معها على إقامة حفل بمناسبة شفائها واتهمه بأنه عمد إلى إعادتها لعيادته لأمر فى نفسه وهو لايسمح له باستغفاله .وكان لابد أن يصارحه الدكتور بأنه يتعمد إيذاءها بدليل أنها بعد أن شفيت عاودها المرض على أثر زيارته لها فى منزل عمتها وهو مضطر لتبليغ النيابة لحمايتها إن لم يرتجع عنها ريثما تتعافى تماما ويصبح فى مقدورها مواجهته . ولم يأبه الطبيب بما دار بينهما من حديث ولم يعلق بذهنه غير ميلادها اليوم وتخيل لو أنها كانت بعافية لاحتفلت به . . وقبل أن يفكر فيما يجب عمله لتهنئتها ترامى إلى مسمعه نبأ عبور قواتنا وتعالت أصوات الهتافات من المرضى والعاملين فى العيادة بحياة الرئيس وأبطالنا .. وكانت مفاجأة لم تكن فى الحسبان وأقام الدكتور مؤنس حفلا ترفيهيا لمرضاه فى العيادة بمناسبة انتصار العرب ووجدها فرصة تتيح له تهنئة مسرة بميلادها الذى

صادف ميلادا جديدا لمصر والعرب وقد ساهمت فى الحفل كل ممرضة بما تجيده من الهوايات الفنية فى براعة فائقة كأنهن محترفات وبدت ردهة العيادة كمسرح للغناء والرقص والفكاهة وقد سعد الجميع بمتعة روحية هائلة ردت الأمل إلى نفوس اليائسين وفى الوقت هذا دعيت الممرضة — انسجام — لمكالمة تليفونية من شقيقها وعرفت من صوته أنه زوج مسرة إذ كان عرف يخدعها ويقربها إليه أثناء تردده على العيادة لزيارة زوجته واراد أن تهيئ له فرصة لزيارتها فى العيادة أثناء تغيب الدكتور وفهم من سياق حديثها أنهم يحتفلون الآن بانتصارنا وأن الدكتور قدم تورتة كبيرة للمرضى جميعا مع باقة من الزهور لمسرة بمناسبة عيد ميلادها وكاد يصعق ولكنه تماسك نفسه وتقبل إنهاء مكالمته على مضض ولم يصعب عليه التحايل للاشتراك فى الحفل فغير مظهره بوضع شارب وذقن استعارهما من ممثلى مسرح استعان به ليقدم مقطوعة وطنية من وحى المعركة ورافقه كفنان يضرب على الرق وفى مهارة بعد أن أنهى رفيقه دوره استطاع أن يأخذ مكانه بين المدعوين وكانوا من أهل المرضى ثم راح ينتقل من مكان إلى مكان حتى استقر بجانب مسرة التى بدت كأنها عروس الحفل وبصوت خفيت نبهها إليه وحذرها من افتضاح أمره وإلا أطلق رصاص مسدسه الذى يحمله على الطبيب فورا لأنه غير باق على حياته اذا افتقدها وأخرستها المباغتة فقال بصوت خفيض لا يسمعه إلا إياها. صدقينى يامسرة لقد كان فراقك فى هذه الفترة بداية انطلاق روحى من محبسها والعيش معك بخواطرى ووجدانى .. وقد أدركت الآن أن الحياة بدونك مستحيلة فانسى الماضى وامنحينى آخر فرصة لتجربتى وهنا أعلن أحد العاملين بعد عزف سلام الجمهورية بانتهاء الحفل وعلى المرضى الذهاب إلى غرفهم والمدعوين مغادرة العيادة .. واضطر أن ينسحب بعد أن أفهمها أنه سيعمل اللازم لتعود إلى بيته ولم توليه اهتماما وذهبت بسرعة إلى غرفتها وأغلقتها بالمفتاح من الداخل بينما عرف الطريق إلى — انسجام — فلحق بها وناداها بصوت خفيض فنظرت إليه دهشة وقبل

أن تتكلم قال .. من أجلك جئت وتنكرت لأحظى بلقائك .. وبصوت مضطرب قالت بعد أن رفع المنظار وتبينته ثم وضعه .. قلت لك أكثر من مرة اذهب من طريقى .. أنا مخطوبة لشاب أحبه ويحبنى فقال ساخرا .. مخطوبة محال .. وإذا كنت صادقة فلن يتم هذا الزواج..لقد ملكت حياتى.. فلا تدفعينى لاقتراف جريمة فى سبيلك .. وهنا خافت ان يسمعه أحد المارة فتنحت عنه بعيدا وهى تغمغم لا أظنك مجنونا قال بصوت التحذير .. حذار يا انسجام ان خيبة الحب تدفع للجنون .. وبصوت أكثر اضطرابا قالت : ابتعد ارجوك... عد إلى زوجتك وسكتت مذعورة لتنظر صوب الصوت الذى يناديها من الخلف ولما اتجهت بكليتها نحو الصوت رأت زميلة لها تشير معنى .. تعالى ..وهرعت مسرعة إليها وقبل أن تسأل الزميلة عما تريد..تخبرها أن الدكتور بدأ يمر على المرضى وقد خشيت أن يراك فتقاطعها انسجام..إنه يسأل عن شروط دخول العيادة للعلاج وبنبرة الخبث تقول الزميلة إنها حجة ليخاطبك ياساذجة وتغمغم وهى تتأوه..آه من الرجال..ذئاب بشرية يتربصون الفريسة وفرائسهم عذارى أبرياء مع الأسف .. وتضحك انسجام مداعبة إياها فى لطف قائلة : عيبك سوء الظن يا ثريا ... وتتركها لتستأنف عملها وبينما هى مشغولة فى عملها يدعوها العامل لمكالمة تليفونية ولشد مايفزعها أن يكون هو المتكلم وبلهجة جافة صارمة تقول له هذه آخر مرة اسمع فيها صوتك والا اضطررت لمصارحة زوجتك فيضحك ساخرا ذاكرا لها اسم رجل قائلا فى تهكم لقد عرفت كل شىء عن خطيبك هذا لقد تركك ليتزوج ابنة خالته بعد أن سلبك أعز شىء لديك ورغم ذلك فأنا أحبك وسأنسى ماضيك وأعوضك خيرا وأظن يكفى أن تعرفى ذلك لتتأكدى من صدق حبى وإذا كنت جربت نزالة رجل فجربى شهامة رجل نذل اعتدى عليك تحت شعار الخطوبة المزيفة ورجل شريف يرد لك شرفك بانتسابك إليه.. فكرى فى ذلك جيدا وثقى بأن الرجل إذا أحب امرأة فإنه يتغاضى عن ماضيها

مهما كان شنيعا وأظنك تفهمين ما أعنيه ولن ترفضي لقائي وسكت مترقبا جوابها ولكنها وضعت السماعة دون تعليق وهي مذهولة فكل المعلومات التي أدلى بها صحيحة وشعرت بأنها وقعت في هوة عميقة لاتدرى كيف تتخلص منها وكلفت عامل التليفون أن ينكر وجودها إذا اتصل بها أي أحد في أي وقت بدعوى أن ذلك يعطلها عن عملها ولكنه ظل يطلبها في التليفون وكل مرة يغير لهجته والعامل يخبرها وخيل إليها أن حبيبها الغادر كان يعرفه من قبل فلما علم بوجود زوجته في هذه العيادة أفضى إليه بسرها إذ ثبت أنه ممن يباهون بالمغامرات الغرامية واشتدت هواجسها وبدا اضطرابها واضحاً في عملها وبينما هي مسلوبة الفكر تحت وطأة مشاعرها المضطربة فوجئت بتعيينها في مستشفى آخر وبعد أيام تسلمت عملها الجديد وبعد أن استقر بها المقام استدعاها معاون المستشفى بمكتبه ولشد ما أذهلها رؤية زوج مسرة جالسا بجواره دون كلفة وبادرها المعاون قائلا : يسرني أن تكوني قريبة الأخ فايد إنه صديق عزيز وأنا في خدمتك إكراماً له وقبل أن تتكلم عقب فايد .. سررت جداً عندما علمت من والدتك البارحة أنك استلمت عملك ولقد كان تعيينك بأمر من الوزير وقد أوصيت صديقي ملدحت بك خيراً وسوف تكوني هنا مسرورة جداً وغالبت اضطراب المفاجأة وقالت بصوت هامس الحمد لله وتحركت لتغادرهما فاستوقفها قائلا .. سينتهي عملك اليوم في السادسة مساء والواجب يقضي أن تهنيء زوجتي بعودتها إلى البيت وهي التي كلفتني بدعوتك لحضور حفل شفائها وناولها ورقة كتب عليها العنوان مرفقاً ..هذا عنوان مسكننا الذي انتقلنا إليه أول أمس حسب مشيئة زوجتي ولم يترك لها مجالا للكلام وصافح المعاون ثم صافحها ضاغطاً على يدها وهو ينظر إليها نظرة تحذير وخرج مسرعاً تاركاً إياها في مكانها لا تجرأ على النطق ولا تقوى على الحركة مذهولة لا تدرى ماذا تفعل هل تصارح المعاون بالحقيقة ؟ وقالت له..هي تسمح لي ثم توقفت خشية أن يصارحه فايد بخطيئتها .. فاحجمت بينما سألها

المعاون .. ماذا تريدين قالت بعد أن أسعفتها بديهتها . . هل تسمح لى بأجازة يومين لأننى متعبة.؟ فنصحها بعدم أخذ أجازة ريثما تمضى مدة العمل وسوف يوصى الرئيسة بتوفير الراحة إليها ريثما تسترد نشاطها دون أجازة وسكت عند دخول إحدى الممرضات بينما انسحبت هى فى هدوء.. وحاولت أن تشغل نفسها بالعمل ولكن هواجس السوء لم تترك لها مجالا للاطمئنان إلى عملها وسيطرت عليها المخاوف من فايد ولم تجد مخرجاً للتخلص منه إلامصارحة مبرة — واعتزمت أن تفضى إليها بكل شيء فهى سيدة نبيلة ذات قلب كبير وسوف تقف بجانبها وتحميها من فايد لكن بدا لها أن هذا التصرف قد يسيء إلى علاقتهما الزوجية وقد يغتاظ فايد ويزداد عناداً وتشبثاً ومضت أيام وهى تعانى آلاما فكرية جسيمة وفى يوم بعد انتهائها من عملها اليومى وعند مغادرتها المستشفى وجدته ينتظرها على الباب فى سيارة ملاكى فخمة وقبل أن تتنحى عنه فتح باب السيارة قائلا بصوت مرتفع ليسمعه البواب لقد تأخرت. ووالدتك قلقة عليك وارتجفت متلفتة حوالها لتجد مهرباً فإذا البواب ينظر إليها فخافت أن تأخذ طريقها فيظن البواب بها الظنون فركبت دون كلام ولم تكد تبتعد عن المستشفى حتى طلبت منه راجية أن يتركها فظل فى طريقه وهو يقول . . منيرة مصرة على رؤياك ولم تطلب أى ممرضة أخرى ثم غير مجرى الحديث بسؤالها عن عملها الجديد مظهراً استعداده لنقلها إلى أى مستشفى تريد إذا كان لا بد لها أن تعمل وإن كان يتحتم أن تترك العمل عند الزواج ولكى تهرب من انفعالها المخيف قالت بصوت خافت كأنها تتحدث إلى نفسها وأى راحة فى البيت بالعكس المكوث فى البيت يضعف الحيوية بسبب الخمول على أن عملها هذا يتفق مع طبيعة المرأة بجانب العمل الإنسانى الرفيع ووقفت السيارة أمام فيلا أنيقة بالهرم وفتح بابها قبل أن يتيح لها فرصة للنزول وهو يقول أفضل أن أفتح الباب بنفسى لكيلا أزعج من بالداخل إذ أحياناً تكون مسرة نائمة والخادم فى الخارج وسحبها من يدها لكيلا تفلت منه وقادها إلى الداخل ثم أغلق الباب

وسألت عن مسرة فأشار إليها لتجلس على الأريكة ريثما يخبرها فلا شك أنها نائمة لتستعد لحفل الليل وتركها وغاب لحظة ثم عاد وبعد أن خلع ملابس الخروج وارتدى ملابس البيت وقبل أن تسأله عنها يخبرها أنها فى الحمام وانتظرت على مضض ومر الوقت وقد اصطنع التشاغل بالقراءة فى مجلة وهو يختلس النظر إليها خفية ليرى انطباعات ما يدور بخلدها مرتسماً على محاتها ولكى يخرجها من صمتها لفت نظرها إلى صور نساء المجتمع البارزات والنجوم اللامعات ليعرف رأيها وهى تجيب فى إيجاز دون أن يبرح نظرها الباب الذى يتحتم أن تخرج مسرة منه من الداخل . . ولما عيل صبرها طلبت منه أن يسمح لها بالخروج على أن تعود مساء لتهنئة مسرة وبأسلوب جاد أكد لها أنها لا شك على وشك الانتهاء ثم ضحك بدون صوت مردفاً أظنك تعرفين كم تستغرق المرأة فى الحمام وفى الزينة وبلهجة حانية استطرد . . أنت متعبة فاستريحى فى فراشها ريثما تنتهى وسوف تسعد بذلك ومر بذهنها خاطر دفعها للسؤال . . لست أدرى لم غازلتنى واليوم تقربنى من زوجتك ... أمر محير فقاطعها . . لقد أحببتك فقاطعته . أرجوك دعك من هذا فتابع حديثه استمعى إلى حتى النهاية — مازلت أقرر وأعترف بأننى أحببتك — صدقينى . . ولقد قرر الأطباء لمسرة أنها غير صالحة للإنجاب مطلقاً ولذلك عرضت على فى إلحاح ورجاء ضرورة فراقنا وقد تنازلت لى عن حقوقها الشرعية . . والأزواج عادة عند الطلاق يفترقون على خصام . . ولكننا سنفترق على وفاق ومن أجل ذلك أقمنا هذا الحفل . . سميه حفل وداع ولقد أرادت أن تزوجنى بصديقة لها على أن تعلن خطبتها لى اليوم وإزاء إصرارها بضرورة زواجى . . صارحتها بإعجابى بك فأيدت إعجابى بأكثر منه ورحبت بزواجى منك . . وهنا أجفلت واضطربت وقالت لقد تأخرت وسوف يتصل أخى بالمستشفى ويعلم أننى غادرته منذ زمن طويل على غير عادتى وها هى بلغت الثامنة فمتى إذن تستعدون للحفل فقال : فى وقت متأخر ريثما يجتمع شمل المحبين لى ولمسرة إذ بعضهم لا ينتهى من عمله قبل العاشرة

قالت إذن اسمح لى أن أستأذن والدتى فابتسم فى خبث مطمئناً إياها قائلا :
لقد مررت على والدتك بمنزلكم رقم ١٢ شارع السيدة زينب فى الدور الأول واسترسل فى وصف غرف المنزل ومحتوياتها وأخبرتها أنك ستقضى الليلة مع زوجتى لحضور حفل العشاء وقد عرفت من سياق حديث والدتك أن شقيقك يبحث عن عمل وقد صحبته معى أثناء انصرافى وألحقته فى التو بمصنع نسيج بأجر يكفل له حياة طيبة إلى حد ما ريثما أهيىء له عملا آخر بمرتب أكثر فذهلت وقالت بلهجة الدهشة . . شكراً ولكن كيف عرفت بيتنا فقال فى اعتداد . . مهمتى اكتشاف كل شىء . . ومر بخاطرها حديثه فى الهاتف فأجفلت وأطرقت لحظة ثم قاومت ما ألم بها ونظرت إليه بعينين كسيرتين قائلة بلهجة الاذلال . . يبدو أنك موظف فى المباحث أو المخابرات : . قال : أكثر لوشئت إيضاحا . . فارتبكت وعاودها خجلها ونظرت صوب غرفة بدا منها ما يشير إلى أنها غرفة نوم عل الهانم خرجت من الحمام فتركها لحظة ثم عاد قائلا . أو . . لم أقل لك أكثر عمر المرأة فى الحمام والزينة فقاطعته مسرة هانم ليست من هذا الطراز . . إنها طبيعية جدا فى كل شىء . . فعلا ولكنها تلتزم الفراش مدة بعد الحمام لكيلا تصاب بالبرد ثم غير مجرى الحديث قائلا : افتتاح مصنع خاص له بعد أن يتعلم حرفة النسيج فشكرته منوهة إلى انها تساعد أسرتها على الوجه الأكمل فقاطعها أريد أن أوفر عليك ذلك فقد خلقت لكى تكونى ربة بيت وزوجة حبيبة وقد وجدت فيك المرأة التى كنت أحلم بها وأتمناها بعد مرض زوجتى فهزت رأسها فى استنكار وقالت بصوت مرتجف النبرات إن زوجتك جوهرة وتخطىء إذا ظننت أن فى الوجود أمرأة تماثلها على الأقل إنها ممتازة فلا تفكر فى هذه المغامرة التى تجلب لك الشقاء والتعاسة وبصوت جاد أردفت أنا شخصيا أرفض كل الرفض أن تقدم على هذا التصرف الشائن ثم انتصبت واقفة وهى تقول يجب أن أتعجلها بنفسى أو أنصرف وأعود وقت الحفل بعد مكالمتها تليفونيا . . كم النمرة هنا . . فتماسك نفسه وهو يتركها قائلا . . سأتعجلها أنا ثم عاد وأخذ مجلسه بجوارها قائلا . . . على وشك

الحضور ثم أخرج محفظته وهو يقول : نحن فى آخر الشهر والموظف دائماوقدم لها « المحفظة » مالى كله تحت أمرك فإنك منذ اليوم خطيبتى وقد خطبتك فعلا من والدتك وشقيقك فوافقا وباركا زواجنا وقرأت معهما الفاتحة وذهلت انسجام وألجمت المفاجأة لسانها فنظرت إليه فى ذعر قائلة فى حدة . . لست قاصر ياسيدى وزواجى يتعلق بمستقبلى وحدى وقامت منتفضة غاضبة وقبل أن تتحرك من مكانها سمعت طرق الباب ثم دخلت خادم تحمل معلبات للأطعمة والحلوى وانقض عليها فايد غاضبا ولكنها دافعت عن نفسها قائلة : الست هى التى أخرتنى لقد خرجت معى لتنتقى ما تريده بنفسها فصرخ فى وجهها الست كانت فى الحمام فقاطعته : لقد فتحت الرشاش لتشعرك أنها فى الحمام ولكيلا تمنعها من الخروج فقال بصوت الغاضب ، وأين هى : فقالت ذهبت لأن والدها أصيب بوعكة وترجوك الاتصال تليفونيا بالمدعوين لتأجيل الحفل إلى الأسبوع القادم لأنها متعبة ولا تنس أن تعتذر للآنسة انسجام . . وأمر الخادم أن تلحق بسيدتها لكى تدعوها فورا ولكن الخادم تلكأت بدعوى إعداد شىء هام فى الثلاجة خشية إتلافه قبل مجئ سيدتها واعتذر لانسجام وانفرجت أساريره قائلا . . حمدالله لقد وفرت على تكاليف الحفل كما أتاحت لى فرصة ذهبية طالما تمنيتها ثم اقترب منها محاولا أن يطوقها ليقبلها لكنها دفعته عنها فى اباء لكنه لم يرتدع وطرحها على الأريكة وقد سيطر عليه جنسه ووجدت انسجام نفسها أمام وحش كاسر وكان لابد أن تقلد دهاء الثعلب فتكلفت الاستسلام وفى أعماقها رغبة كاسحة اشتعلت كالحريق فى رأسها للتخلص منه ورسمت بسمة الرضا وهى تقول فنجان قهوة وقرص اسبرين لأسترد قواى فقد اتعبتنى فشاع بشر الفوز فى وجهه واطمأن معتقدا أنها رضخت راضية مستجيبة له وأبدت رغبتها فى عملها بنفسها ويا حبذا لوتناول معها فنجان فرحب بذلك وعندما شعر بانشغالها فى المطبخ اتصل بصاحب البيت فى التليفون قائلا . . لاتحضر الليلة لقد أحضرتها وانتهزت انسجام خلو الخادم فى المطبخ وسألتها هل حقا ماقلته لسيدك . . فانتهزت الخادم فرصة مكالمة فايد فى التليفون وأخذتها وأخبرتها أن الحكاية ملفقة حيث أعطاها مبلغا كبيرا من المال ولكنها

لا تعرف زوجته وهذا المنزل خاص بسيدها صديقه وقد استأذنه لقضاء اليوم هنا وأسرت اليها بمعلومات عنه وأنه كان سببا فى طلاق زوجة صديقه بسبب استهتاره وتأثيره على سيدها ولولا أنها قريبة سيدها وقد احضرها من الريف وأمرها الا تظهر أمام الناس أنها قريبته وهنا أعطتها أنسجام مبلغا من المال وكلفتها بمهمة تقوم بها فوراً على أن تخرج حالا . . ولما أنهى مكالمته لحق بها فى المطبخ فوجدها تهيء طعاما واقبل ليقبلها فتمنعت قائله تريث ريثما نأكل لأننى جائعة جداً وبينما هوواقف بجانبها يلطف من حدة صبره بنشوة انتصاره سمع طرقا شديدا على الباب ولما فتحه واجه رجال شرطة الآداب واستجمع شجاعته وقابلهم فى هدوء وقبل أن يتكلم سأله عن اسمه فذكره كما جاء فى البلاغ التليفونى . . وهنا ظهرت انسجام عن عمد وعندما سألها الضابط من تكون أجاب فايد أنها خطيبتى حضرت لزيارتى عندما علمت بانحرافى ونظر لانسجام مردفا . . يبدو أن الخادم لفقت لنا هذه المكيدة بعد أن سرقت السوار وهربت منذ لحظات وكان فى نيتى الخروج الآن لعمل محضر لها ولما سأله الضابط عن اسم الخادم ذكر اسما غير اسمها وادعى أنه وجدها تتسول فى الطريق وأراد أن يحميها ويصونها ولكن ثبت أنها لصة وهو لا يدرى وقام الضابط بعمل محضر لاثبات الحالة وأمر بتحويل انسجام الى النيابة للتأكد من صحة ماقيل . . وأمام النائب اعترفت انسجام بما حدث دون أن تخفى شيئا وطلبت منه حمايتها من هذا الرجل راجية ألا يحجزها لأنها تعول اسرة فقيرة وكان النائب إنسانا مؤمنا فترفق بها وأدرك من لهجتها وصراحتها صدق اعترافها فأطلق سراحها بعد أن تأكد من أنها المبلغة . . دون أن يواجه فايد بما أدلت لكيلا يحاول ايذاءها عن طريق غير مباشر واكتفى باسناد تهمة الاستيلاء على مسكن دون تصريح من صاحب المسكن لان صديقه عندما علم بالحادث أنكر صلته به مؤكدا أنه لم يصرح له بدخول مسكنه فى غيبته. ولذا قدم للمحاكمة ورغم وجوده فى السجن استطاع أن يكلف أحد الزائرين بمخاطبتها فى التليفون قائلا بأنه عرف كيف احتالت للاتصال بالشرطة وسوف تدفع الثمن غاليا . . .

وبعد أ ن بدأت الطمأنينة تلازمها لاعتقادها أنه لن يعرف بما حدث فقد زلزلت المكالمة كيانها وصدعت وجدانها وساورتها مخاوف جمه أيقنت أنها ستقضي على مستقبلها وبينما هي سارحة فى هذه المشكلة أطلعتها زميلتها على إعلان منشور فى الاهرام يطلب ممرضات فى تنزانيا . . ولمعت فكرة فى ذهنها وكأنها تنزلت من السماء فقدمت طلبا بعد أن اقنعتها زميلتها بأن تقدم معها . . ووجدت الفرصة سانحة لانقاذها من هذه الورطة . . . وراحت تنتظر التخلص من فايد بفروغ الصبر بالسفر الى تنزانيا . .

مفاجأة

فوجىء الدكتور مؤنس بتعيينه مديرا لاحدى المستشفيات ولما كانت ادارة المستشفى تتطلب منه وقتاً أكثر من وقته الذى خصصه لعيادته الخاصة كطبيب فى المستشفى فقد اضطر أن ينيب عنه زميل للقيام بعمله : . ومن حسن حظ مسرة أنها عولجت تماما وروعها خبر تنازله عن العيادة لزميله الدكتور فتحى اذ كانت العيادة بمثابة نافذة تطل منها على مروج الأحلام وأروع الاخيلة والآمال وعادت إلى بيت عمتها وكانت تتمنى أن تقضى ما تبقى من عمرها فى الحياة كلاجئة ووجدت عند عمتها مأوى أمينا طمأن قلبها إلى حد واكتسح مخاوفها وأوهامها الى حد أيضا اذ كان خوفها من زوجها لا يبرح خيالها بجانب قلقها على والدها الذى انقطع عن زيارتها أخيرا دون مبرر وخيل إليها أن زوجته عندما علمت باقباله عليها حالت دون لقائهما بدهائها ولم تدر أن العلة اشتدت بأبيها فألزمته الفراش وعن عمد كتمت زوجته أمر مرضه عن أخته وعن جميع معارفه موقنة ان ابنته هربت إلى مكان ما وخيل إليها أن الطبيب اقتنى لها سكنا خاصا تقيم فيه سعيدة بذلك لكى يخلو لها الجو منتهزة هذه الفرصة لتستكتبه التنازل لها عن ثروته بأى وسيلة واستدعت زوج مسرة الذى كان على وشك تبليغ النيابة باختفاء زوجته مع الطبيب وكان غادر السجن بعد التحقيق بكفالة ولكنها أفهمته أن المصلحة لها تقضى بكتمان الامر ليتمكنا من انجاز ما اتفقا عليه وبعد أن هيأت تازك الجو المناسب لتنفيذ الخطة المتفق عليها استدعت المحامى لاجراء اللازم ومصارحته بما تريد ولم يشأ المحامى أن يخون شرف مهنته ويوافقها على التزوير وتقليد توقيع زوجها ولم يكن بد من تظاهرها بالخضوع له ريثما تقابل زوج مسرة وتتفق معه على طريقة تجيز لها الاستيلاء على الثروة وفى هذا الوقت كانت مسرة بمعاونة عمتها ترسل كل يوم رسولا كأنه موفد من قبل صديق له ليقابل

والدها ليعلم من أمره ما تجهل ويخبرها الرسول بعد عودته بأن زوجته أخبرته أنه خارج البيت وباءت كل الرسل بالفشل لحرص الزوجة الشديد على كتمان أمر مرضه متظاهرة بالمرح والسرور ولم يساور أى رسول شبه شك فيما تزعم فقد تعود كل من يتعامل معه ماديا كالتجار والمستأجرين التعامل معها فى حضرته فلا عجب إذا ظهرت بدونه لتغيبه . . الا أن قلبا الابنة والاخت لم يطمئنا لاقوال الزوجة لانه لا يبرح البيت الا لماما ولأمر هام ولم يلبث الشك أن يتحول إلى يقين حينما علمت من صديقة للاسرة ذهبت لتقدم العزاء لوالد مسرة فى استشهاد قريب له وتخبره باستشهاد الفقيد حيث لم يذهب مع أفراد الاسرة ودخلت كعادتها دون استئذان ولأول مرة تقابلها زوجته محاولة مغالبة اضطرابها وتجلس معها فى الردهة وتخبرها أن زوجها سافر منذ أيام إلى قريته لأمر هام لم يشأ ان يفضى به إليها . . ويزداد شك مسرة وخصوصا بعد أن قالت الزائرة فى ختام حديثها أن الزوجة استأذنت منها لكى تخرج لأنها على موعد مع صديقة للذهاب إلى طبيب الاسنان مما اضطر الزائرة إلى الخروج معها بعد أن تناولت القهوة التى لم تستغرق غير دقائق معدودة وأيقنت أن وراء ذلك سراً واضطرها الفزع إلى أن تلجأ لصديقة تثق فيها كما تطمئن إليها زوجة أبيها لأنها لبقة ذكية عرفت كيف تحظى بثقة — نازك — بتوجيه من مسرة إذ كانت عادة — نازك — أن تسىء استقبال من يقبلن على مسرة ويعرضن عنها ولكى تتمكن مسرة من الاحتفاظ بصديقتها تلك أو عزت إليها أن تتقرب إلى زوجة أبيها وتوليها اعجابا واضحا مع اظهار انتقاد تصرفات — مسرة — وبذلك حازت ثقة نازك والترحيب بها وامعانا فى التقرب إليها ظلت الصديقة تتردد عليها طوال تغيب — مسرة — بتوجيه منها ولم يكن من العسير عليها أن تؤكد لنازك حبها لها لتجيز لنفسها حتى تمضية اليوم كله عندها لتطفىء جذوة الشوق من ناحية وتملأ فراغ وقتها بمساعدتها فى أعمالها الخاصة . . ولاحظت الصديقة أن نازك حرصت على أن تبعدها عن غرفة الزوج أو تشعرها بمرضه وأنها غير طبيعية تلاحق الصديقة بنظراتها فى انتباه واضح كلما اقتربت من

غرفة النوم وتطوعت الصديقة بطهى الطعام فى هذا اليوم وفرحت — نازك — لتبعدها عن غرفة الزوج وانتهزت الصديقة الفرصة وراحت تستدرج الخادم بلباقة وكانت الخادم بطبيعتها ثرثارة فانتهزت الفرصة وراحت تثرثر بصوت خفيض وحذر خشية أن تسمعها سيدتها وفهمت الصديقة من سياق الثرثرة أن والد مسرة مريض منذ مدة وأنه حبيس الغرفة لا يبرحها إذ بات لا يتكلم ولا يتحرك كأنه ميت تماما وامضت الصديقة اليوم وهى تتكلف الضحك والمرح لكيلا تشعر الزوجه بأنها عرفت مأساة الزوج وعلى أثر مغادرتها البيت ذهبت فورا إلى — مسرة — وأخبرتها بمرض والدها وكادت الصدمة تقضى عليها لولا أنها تمالكت أعصابها وحكمت عقلها وسرعان ما أستعانت بأخلص الناس إلى والدها لوضع حد لسوء تصرف — نازك — وحماية الوالد منها وأخبرا بمعاونة عمتها اتصلت بالنيابة وعلى حين غرة فوجئت نازك بممثل النيابة للتأكد من حالة الزوج المريض لاثبات الحجر عليه لحفظ ثروته من التلاعب ثم اتصلت بالدكتور مؤنس تستشيره فى أمر علاج والدها فطلب نقله فورا إلى المستشفى ليكون العلاج تحت إشرافه بواسطة الأطباء الاخصائيين . . ولم يكد ينتقل إلى المستشفى حتى أسرعت نازك إلى المحامى لتعرض عليه إيداع أثاث البيت رهينة عنده مع بعض مصاغها كمقدم أتعاب ليقوم باجراء بيع ما يملك الزوج إليها مقدمة اليه صورة العقد الابتدائى لكى يقوم بتسجيله ولاحظ المحامى أن توقيع الزوج وإن كان يماثل الأصل تماما ولكنه — مزور — وصارحها بذلك فحاولت أن تنفى التزوير وأكد لها المحامى أن ضميره لا يسمح له بعملية التزوير والدفاع عنه وسوف يأخذ القصاص العادل وخصوصاً بعد تصحيح ١٥ مايو وبات عهد التطهير ينقى الدولة من شوائب المزورين ومن لا ضمائر لهم وحاول أن يفهمها ليطهر نفسها من التعلق بكل مايرتبط بالباطل لكيلا تكون أقل تفهما وتمسكا بمقاييس الاخلاق القويمة التى بدأ الشعب على جميع المستويات يتعلق بها منذ عبرنا وكأن النفوس عبرت مع من عبروا محطمين أسوار الضلال

والافك والبهتان مؤكدا أنه بعد ذلك لن يحاول أى مواطن داخل دائرة الحكومة أو خارجها تشجيع المحتالين وحمايتهم لقد كانوا من قبل يمثلون مجموع عصابة تكونت لاشهار عقود البيع والشراء مقابل مبالغ من المال ولقد تم بواسطة هذة العصابة الاستيلاء على أراضى شاسعة وعقارات هائلة فى العهد البائد ولكن المحامى كان حسن الظن ببعض المواطنين العاملين فى مصالح الحكومة إلى أقصى حد . غير أن نازك كانت تعلم أنه لم يزل فيهم من يعملون بلا ضمير ولا يخافون الله . . كأنهم ورثوا الإفك والضلال ولامناص من التخلص منه لاتصالها عن طريق زوج مسرة بموظف أخذ على عاتقه تنفيذ كل ماتطمع إليه فى هذا الوقت استطاع زوج مسرة انيباغت — انسجام — فى بيتها أثناء راحتها بمرافقة صديق له يجيد التنويم المغناطيسى ولم تكد تستقبلهما على مضض وفى هدوء مغالبة اضطرابها خوفا من والدتها حتى نومها المنوم المغناطيس واستكتبها ماأملاه عليه — زوج مسرة — كأنه صادر منها وبعد أن احتفظ بالورقة معه نبهها المنوم واعتذر لها فايد عن هذه الزيارة المفاجئة بدعوى أنه كان مارا أمام البيت فألزمه الواجب أن يطمئن على والدتها ولم يكن يدر أنها بالمنزل وهذا من حسن حظه واستأذن بدعوى انه على عجل لارتباطه بموعد مابعد أن نوه الى أنه السبب فى بقائها بالمستشفى من أجل والدتها وبينما كانت مسرة تعانى آلاما نفسية جسيمة بسبب مرض والدها الذى لم يزل تحت العلاج فى المستشفى تحت اشراف الدكتور مؤنس رغم تقدم صحته الى حد يبشر بالنجاح المرتقب وماقامت به نازك من محاولات للاستيلاء على ثروته بعد أن باعت الأثاث الثمين واستبدلته بأثاث رخيص لاقيمة له لتشغيل المسكن لكيلا يستولى عليه أحد المهاجرين بأمر المحافظة . . فاجأها فايد وكادت تطرده لولا تدخل عمتها وإرغامها على أن تستقبله فقد يصح أن ينفعها فى هذا الوقت العصيب وأدرك فايد ما يجول بذهنها فأقبل عليها راجيا أن تفتح له صدرها معترفا لها بأنه كان أعمى واليوم نظر وكان ضائعا واليوم وجد وكان متأثرا برفاق السوء واليوم عاد الى رشده بعد أن ابتعد عنهم

متوسلا بصوت أكسبه حرارة الصدق فلتجرب معه الحياة بعد توبته كي يكفر عن أخطائه ليبدد عن نفسها ما ألم بها من شقاء جلبه لها وهو لاه عنها بأوهامه مستعطفا بصوت أكسبه لهجة الصدق تقاطعه زفرات الندم مصورا إليها حياته المقبلة بعد أن تطهرت نفسه من رجس الماضي ويسكت ليترك لها فرصة للكلام ولكنها تلتزم الصمت وهو يشعل السيجار فلما يطول صمتها يستطرد طبعا تعلمين كما أعلم أنك أصبحت لا تملكين شيئا بعد أن باع والدك كل ما يملك لزوجته وأقسم لك أن حرمانك من الثروة التي تعتمدين عليها وحاجتك إلى من يرعاك هو ما يحتم على الوقوف بجانبك ولا أظن حتى موضع شك الآن بعد أن بات مبرءا من شبهة الطمع وهنا تقاطعه مسرة وهي تنظر اليه آسفة قائلة : لم أعد أنفعك وأنصحك أن تبحث عن زوجة غنية فاتركني وشأني أواجه الحياة على الوجه الذي يرضيني وتشيح بوجهها بعيدا كأن هذا آخر قرار لها فيبتسم في استخفاف موكدا لها مرة أخرى قائلا : لم يعد ثمة مايدعو للريبة في صدقي حتى فحاولي أن تتحرى حقيقة اعترافي بأنني أصبحت زاهدا في الثراء قانعا بك وحدك قادرا على أن أعمل أي عمل شريف يوفر لك ولي أسباب الحياة الطيبة . . ولاحظ أن هذا الأسلوب لم ينفذ إلى قلبها فغيره محاولا أن يعتصر طاقة تأثره ليفهمها أنه عمد فيما مضى إلى تصرفاته الخاطئة ليخبرها عن أسفه فقال : مسرة — اصغي إلي — كان يجب ان أفعل كل مافعلته لأدرك قدر احتمالك وقوة اخلاصك ومتانة حصانتك. ولكن مع الأسف خاب ظني أو على الأصح فشلت التجربة . . وكنت أنا الضحية لهذا الاختبار ولا أحسبك في حاجة لكي تعرفي أيضا بأنك أصبحت امرأة غير قادرة على أن تملأ جيب رجل بمالها أو تشبع نزواته العطشى بحيويتها الدافئة وكل ما تملكين الآن إيمانك وهذه البضاعة غير رائجة كما تعلمين في سوق هذا العصر ولا يقبل على شرائها إلا انسان زاهد وقل الزهاد الآن إلا من طهره الله بنار التوبة مثلي إذن حتى لك الآن لا يمكن أن تأتيه الشبهات من أي جانب ويسكت مترقبا ما عساها تقول فلما يطول سكوتها تحت تأثير حيرتها

مستشعرة بانتفاضات مختلفة متناقضة تسيطر على إحساسها . . أن كلامه جميل ولطالما عزف لها على أوتار هذا النغم كلاما أقل منه عذوبة وكان ينفذ إلى قلبها فى عهد خطبتهما . . ولكنها اليوم غير الأمس . . : لقد انصهرت مشاعرها فى بوتقه التجربة القاسية الطويلة التى مرت بها فى بيته ولم يعد النغم الجميل الذى كان يترنم به يحرك مشاعرها وهى لا تأسف على شىء قدر أسفها على أنها سوف تصبح أما وإن كانت لم تزل تخفى عنه ذلك أملا فى التخلص من الجنين وقد صارحت الدكتور مؤنس فأبى راجيا منها أن تعوضه بحنانها وأمومتها السامية ما افتقده من رعاية أبيه أن صعب عليها إصلاحه وهو يأمل أن ينشأ الطفل بين والديه فقد يصح وهو الأرجح أن يكون مدعاة لاصلاح أبيه وتقويمه ومر بذهنها هذا الحديث فالتمعت عيناها ببريق أشاع البشر ثم اختفى كما يختفى البرق الخاطف ولاح على وجهها تجهم الحيرة والخوف من المستقبل المجهول لولدها على أنها حرصت على أن تخفى ظواهر الحمل بملابسها الفضفاضة محتملة القلق والتململ الذى يلازم الحامل فى شهورها الأخيرة وتلهى بالتدخين ففكر فيما عساه أن يقوله أو يفعله ليفتح قلبها الذى أغلقته الأحداث وهى سارحة بخواطرها ومشاعرها فى ولدها المرتقب حزينة لانتسابه إلى والد ليس جدير بالأبوة وتتجسم مسئوليتها كأم لطفل والده كأنه مفقود متمنية لو أنه كان مجنداً واستشهد لكان لها ولولدها أن تفخر به وتباهى ولو كان فقيراً أو معلولا لهان الخطب إلا أنه فاسق شرير فكيف يكون لهذا الوالد ولد لقد فقدت إيمانها لحظه حاولت الاجهاض لولا ما بذله الدكتور مؤنس بضرورة المحافظة عليه ومر بخيالها طفلها المرتقب بكيانه البشرى متوسمة فيه ملائكية روح الدكتور مؤنس وتحس بلذة لا تعادلها لذة حينما تسمع نداء طفل ينادى أمه ويبلغ النداء مسمعها . . ماما ... ماما ... وسرعان ما تتلاشى تلك الأخيلة الجميلة عندما تسمع فايد يقول : أظن يكفى ما قلته لك لنضع حداً لموقفنا فقد تحدثت إليك بروح المؤمن وقلبى الذى بات لا يسبح إلا باسم الله ولا يتعلق بك إلا لأنك رمز للمقدرة الإلهية فى أجمل صورة وبينما هو مغرق فى الإفاضة همست فى

أذنها الشغالة بما حملها إلى مغادرته وقد عمدت عمتها ألا تشعره بمقدم المحامى لمقابلة مسرة لكيلا تتيح له فرصة تعرف ما لا يجب أن يعرفه وعلى أثر انصرافها صفق على الشغالة فلما أقبلت طلب كوباً من ماء وناولها مبلغاً من المال وهو يسألها . . من الذى حضر وقبل أن تجيب أقبلت مسرة وكانت سمعت سؤاله فأجابته نسيب عمتى جاء من السفر ليعزيها فى الشهيد وهنا تحضر صديقتهافتدخل عليهما ظناً منهاأنهمااستأنفاًحياتهما الزوجية فهنأت الزوج وهى تصافحه وقبلت مسرة مهنئة مردفة . . من حسن حظ ولى العهد أن يستقبل معكما عهدالتصافى والحب؛ودهش فايد للمفاجأة ونظرإلىمسرة متفرساً ولأول مرة يشهد علامات الحمل واضحة ويغمغم لأول مرة أكون ضريراً ومد يده ليجذب يدها رغماً عنها مقبلا فى خشوع وقد شاع البشر على وجهه وبيديه قبض على يدها فى حنان وفرح وهو يقول : مسرة لقد منحنى الله سعادة أكثر مما كنت أرجو ولا أحسب إلا أن ذلك دليل رضاه عنى ياهناى بولدى . وظل واقفاً وبوده لويركع تحت قدميها رغم أنها حولت وجهها بعيداً عنه لكيلا يرى وميض مشاعرها المغلفة بالأسى والمرارة وخلصت يدها من بين يديه دون أن تتكلم بينما ظل نظره عالقاً بها مأخوذاً بمشاعرها هذا الحدث الذى لم يمر بخاطره قط وغمرته أحاسيس مختلفة بينما كانت هى تفكر فى قرب ولادتها كما قررالدكتور وضرورة إثبات أبوة الطفل ولمتدر أنه فى هذهاللحظةالتىمعها عند هذا الخاطر موقناً أنها ستخضع حتماً له لأنها ستحتاج إليه وعندما همت بالانصراف لتناول دوائها رافقتها الصديقة مكررة التهنئة وانصرفت على أن تعودفىفرصة أخرى ، ثم عادت إليهبعد إلحاح عمتها إذكانت تريدأنتخلو بنفسها فى غرفتها تاركة عمتها تقضى معه بعض الوقت حتى ينصرف ومشت إليهعلى استحياء متحاملة على نفسها لكيلا تشعره بأنها مجهدة ووقف يستقبلها كأنه يراها لأول مرةوعلى شفتيه ابتسامةفيها وميض من الفرح المشوب بالقلق وقاوم انفعاله قائلا : بعمرى كله هذا اليوم..اليوم فقط آمنت بالله، لا يمنح السعادة إلا للمؤمنين التائبين ..لقد ظللت طوال عمرى الراحل أبحث فى الحياة بكل

وسيلة عن تلك السعادة التي تغمر النفس فلم أشعر بها إلا الآن :: بقى أن أطمئن أنك عائدة إلى بمحض إرادتك ولقد صفينا الحساب على ما أعتقد وسكت يشعل السيجارة فنظرت إليه نظرة شك يراودها اليقين وقالت بنبرة اليقين فيها حرارة الرجاء : أتمنى أن تكون صادقاً في إيمانك وتوبتك مرضاة لله لا من أجلي، على أنني ما زلت أؤكد لك أنني لم أعد أصلح لك فقد زهدت الحياة على الصورة التي يجب أن تكون عليها الزوجة وأنت كزوج في حاجة إلى امرأة تخدمك وترعاك وتدرأ عنك الحرام بما تمنحه لك من حيوية مشبعة وأنا أصبحت مريضة مرضاً استعصى على الأطباء علاجه وهو في ظاهره مرض ولكنه في الواقع فنيت نفسي في خالق هذه النفس.. أنا أنفاس تتردد في هيكل آدمي في صورة امرأة . . قدر على هذه الأنفاس أن تسبح الله كثيراً وتذكره مهما كان العناد وقيراً وتستغفره لها ولك بكرة وأصيلا .وإنتابته نوبة حسية لم يستشعر بها من قبل ومد يده ليسحب يدها مترفقاً خشية أن تمس الحنين بسوء وهو يقول امنحيني آخر فرصة لأخدمك وأسهر عليك ولست بهذا العمل أقوم بواجبي نحوك فقط بل ومن أجل ولدنا يامسرة فجذبت يدها في هدوء مقاومة انفعالها الكامن هامسة . . أرجو الله أن يوفقك لما فيه الخير : . وخيل إليه من لهجتها الوديعة أنها بدأت تسترد هدوء نفسها مع التحكم في أعصابها فتفاءل خيراً ورأى الحكمة تقضى ألا يثقل عليها فخرج على أمل أن يعود لتراها أهدأ بالا وأوفر ثقة به وانصرف بعد أن أكد لها أنه طوع أمرها في أية لحظة .

فرحة لم تتم

استأنف محامى — مسرة — محاولاته القانونية ولم يلبث حتى وضع يده على الخيط المفقود فى القضية واستطاع أن يحدد معالم الجريمة وساعده على ذلك حملة التطهير الواسعة التى شنتها الحكومة بتوجيه من السيد رئيس الجمهورية أنور السادات والتى أطاحت بكبار الاستغلاليين فى المصالح الحكومية وكشفت عن عصابات اللصوص وتابعيهم وكان من بينهم عصابة مزورى عقدبيع عقار والد مسرة وصدر الحكم النهائى ببطلان عقد البيع المبرم بين والد مسرة وزوجته وعادت الثروة إلى الوالد فى الوقت الذى عوفى فيه واسترد صحته بفضل مجهود الدكتور مؤنس وأدرك الوالد بعد شفائه سوء نية زوجته وحقارتها وكراهيتها لابنته ونزولا على رغبة ابنته رحمة به وخشية أن يعاوده المرض إذا اكتشف بيع أثاث بيته وكان هو الذى اشتراه دون أن يكلف زوجته مليما واحداً مع رجاء أخته بالبقاء عندها ريثما تنتهى مدة النقاهة لكيلا يتعرض لمضايقات زوجته حيث لن يهدأ بالها إلا إذا انتقمت من ابنته وأقنعته بضرورة التنازل عن ثروته لابنته منعاً للمشاكل التى تتعرض لها بعد عمره الطويل باذن الله وليستجيب لنصيحتها مع إيداع مبلغ فى البنك لزوجته يضمن لها الحياة الشريفة لكيلا تنحرف ليبرئ ذمته أمام الله وبذلك اطمأنت مسرة على مستقبلها ومستقبل وليدها الذى لم يخرج للنور ولم تكد تنعم بالطمأنينة والراحة النفسية حتى داهم الموت والدها فجأة وقضى نحبه وهى أشد ما تكون حاجة إليه إذ كانت على وشك الولادة وعلى أثر انتهاء مراسم الحداد بدأت — نازك — تطالب بميراثها الشرعى ولشد ما هالها نبأ تسجيل الثروة لمسرة وإيداع مبلغ باسمها فى البنك وفى ثورة جنونية اندفعت تطعن فى صحة البيع مستندة إلى أسباب أوهى من خيط العنكبوت وباءت بعد عـــدة محاولات بالخسران وبقدر خسارتها اشتد

غيظهـــا وحقدها إلى حد أنساها كل شيء إلا الانتقام من مسرة مهما كلفها الأمر وفى هذا الوقت علم فايد طبعاً بتفاصيل كل ما حدث بين مسرة ونازك وكان ابتعد عن مسرة نزولا على رغبتها ريثما تضع وليدها وأنتهز هذه الفرصة ليتقرب إلى انسجام بدعوى أنه طلق مسرة لغير رجعة وهددها بالإقرار الذى كتبته تحت تأثير المنوم المغناطيسى والذى ينص على أنها هى وحدها المسئولة عن إجهاضها بعد غدر حبيبها الذى عاهدها بالزواج ثم تنحى عنها وأقنعها بأنه مستعد أن يحرق هذا الإقرار إذا عقدت قرانها عليه وفى هذه الحالة تضمن سمعتها وعملها ومستقبلها وتحت تأثيره قبلت الزواج منه وبعد عقد القران مزق الإقرار كما وعدها واستأجر لها مسكناً نقل إليه أكثر أثاث مسكن مسرة على أمل أن يوهم مسرة إذا عادت إلى بيتها ولم تجد الأثاث أن اللصوص داهمته أثناء غيابها واستولوا على الأثاث وبعد أن اطمأنت مسرة إلى أن فايد اتجه إلى الله بعد أن رأى أنها حامل وصارحت — نازك — بذلك عندما زارتها متظاهرة بالحب والعطف عليها نادمة على مشاحنتها من أجل الميراث غير آبهة به بدعوى أنه عرض زائل : : وفى خلال الحديث عمدت إلى أن توغر صدرها فنوهت إلى وجود علاقة بين فايد وامرأة لاتعرفها إذ علمت من صديقة لها أنها رأته عدة مرات معها فى «السينما» و«الكابيريه» ولم تظهر مسرة أى اهتمام معترفة بأن ما كان بينهما قد انقضى ولم يبق غير إعلان ذلك وتلاشت الطمأنينة وكأنها لم تكن من قبل : : وبعد انصراف — نازك — نصحتها العمة ألا تظهر له رغبتها فى الطلاق ريثما تستولى على أثاث البيت بدعوى بيعه وشراء أثاث جديد بمناسبة المولود الجديد . : وعندما زارها ليطمئن عليها صارحته بما اعتزمت عليه فوافق مبدياً سروره ولم يكد يغادرها حتى ذهب إلى انسجام وقضى معها وقت فراغها يحوطها بحب كأنه وليد الساعة وقبل ذهابها إلى عملها طلب منها أن تنتظره عند والدتها لكى يقضيا يوم العطلة عندها ،وبعد أن تناولا الغذاء عند والدتها استأذنها

لكى يزور صديقاً له ليتسلم منه مبلغاً كان مديناً له به حيث اعتزمت أن يرافقها بعد أن تأخذ أجازة لمدة أسبوع للاستجمام فى الاسكندرية وتركها على أن تنتظره ريثما يعود مهما تأخر وحان ميعاد عملها فى الصباح فاضطرت أن تذهب إلى العمل وهى أشد ما تكون قلقاً عليه وفى خلال الوقت اتصل بها تليفونياً ليخبرها أنه اضطر إلى تمضية الليل مع صديقه حيث تأجل تسليمه المبلغ حتى الصباح ثم طلب منها أن تمكث عند والدتها اليوم التالى ريثما ينجز عملا هاما قبل سفره ونفذت رغبته ومضى الليل وفى إثره النهار ولم يعد ولم يتصل بها تليفونياً ولازمها القلق حتى حان وقت راحتها فاضطرت أن تذهب إلى بيتها عساه ذهب لينام بعض ساعات ولشد ما أذهلها ألا تجد بطاقة زوجها النحاسية كما تركتها وخيل إليها أنها أخطأت إذ كانت الفيلا تماثلها فى اللون والتصميم واضطرت أن تمر على جميع الفيلات المماثلة فى الشارع وأوشك النهار أن يمر دون أن تجد أثراً للبطاقة وكلت قدماها بعد أن قطعت جميع الشوارع المماثلة ذهاباً وإياباً حتى كادت تتهم نفسها بفقدان الوعى وهى تسير وأخرجها من حيرتها صوت جارتها التى استوقفتها فى الطريق إذ كانت عائدة من الخارج وبادرتها بلهجة الأسف قائلة لماذا تركتم هذه الفيلا لقد تألمت جداً عندما أخبرنى زوجك بأنك مرضت بالروماتيزم ولابد من نقلك إلى حلوان للاستشفاء، وقبل إن أسأله عن عنوانه الجديد غادر الفيلا قبل أن أعود إليه وتعلق . . أن شاء الله يكون مسكنك الجديد بشيراً بشفائك وصعقت انسجام ولكنها أخفت دهشتها وغالبت ارتباكها وأوهمتها أنها حضرت خصيصاً لتودعها وتحت إلحاحها بضرورة تناول القهوة معها تستجيب لرغبتها وتقع — انسجام — فى مأزق عندما تسألها عن مقرها الجديد لكى تزورها فهى لاتنس عشرتها الجميلة . . وعندما تتركها الجارة لتعمل القهوة تنتهز انسجام الفرصة لتتخلص من المأزق وتستأذنها لتودع جارتها الثانية وهى واقفة ريثما تعمل القهوة . . وسرعان ماتختفى من الشارع ولما يطول غيابها تذهب الجارة إلى جارتها ولشد ماتدهش — عندما تعلم أنها

ثم تذهب إليها ويفسران هروبها بعدم الرغبة فى زيارتها.. وتعود انسجام إلى بيت أمها كسيرة القلب شاعرة باختناق أنفاسها رويداً رويداً حتى توشك أن تشل حركتها ولم تكد ترى وجه أمها حتى تلحظ أنها مهمومة إلى أقصى حد ويتبادر إلى ذهنها أن خالها المريض أصيب بمكروه . ولكن الأم تصارحها بأن ذلك أهون عليها مما حدث ثم تناولها ورقة أحضرها مندوب الشرطة وفى لهفة واعياء تطالع الورقة ولاتستفيق من الإغماء إلا بعد أن تتصل أمها بالمستشفى وسرعان ما حضرت زميلة لها وأسعفتها وحاولت الأم أن تلطف من حزن ابنتها بجنانها وكأن حديث الأم مبضعا فتح جرحاً عميقاً فى قلبها فخرجت متأوهة مهددة بصوت يتطاير من جرسه لهب قلبها المحترق :
أيظن أننى أتركه بكل بساطة ، سأعرف كيف أرد له صاع العذر صاعين ثم تخلو إلى نفسها لتفكر فيما يجب أن تفعله لتثأر لقلبها المطعون فقد كانت منحته حبها وأخلصت له إلى حد التفانى فيه... إنها لم تتألم من غدر الرجل الذى أنتهك شرفها أذ كانت حدثة السن وتعرفت عليه بقلب كالزهرة التى تتفتح لأول قطرات الندى . . . ببسمة ونظرة أحبته كانت ساذجة تحسب الحب مؤكداً فيما ينطق به الرجل من كلمات حلوة وأمانى ترسمها أحلام العذراء البكر وأن الحب مفتاح الزواج ولن يحنث المحب فى قسمة لأنها صادقة فى حبها فهو بلاشك مثلها..وهكذا أحبها بسرعة وغرر بها على عجل وتركها عندما استشعر بجريمته مجسمة بين أحشائها ودفعت ضريبة السذاجة والجهالة . . أما هذا الذى احتال عليها احتيال اللصوص الأدنياء...لقد قاومت وأبت بعد أن تطهرت من رجس الشيطان وإزاء تمسكها بشرفها لجأ إلى الشريعة متخذاً منها وسيلة لتحقيق مأربه بجانب ما أبداه من حب وهيام بجانب تهديدها بتقديم الإقرار الذى استكتبها إياه . . أما وقد مزق الإقرار فباتت لاتخش الماضى وموقفها منه لا تشوبه أية شائبة وها هو بعد أن حملها على سحب كل ما ادخرته فى البريد بدعوى شراء قطعة أرض باسمها ثم يبنيها على حسابه

لتكون هدية منه تأكيداً لحبه يهرب فى هذا الوقت تشعر — مسرة — بأعراض الوضع ولم تلبث حتى ولدت فى المستشفى تحت إشراف الدكتور مؤنس حريصة على ألا تخبر فايد بذلك بعد أن أتفقت مع عمتها على أن تخبره بأنها سافرت عند خالتها فى الصعيد لتقوم بخدمتها لعدم تمكن العمة من أداء هذا الواجب لضعف صحتها ووضعت مسرة ذكراً أسمته — مؤنساً وبدل أن تتهلل لمرآه انقبض قلبها وانهمرت دموعها عندما سمعت أول نغمة له . واء . . . واء . . . واء . . . وأغمضت عينيها مستسلمة لخواطر غير الخواطر التى تمر بذهن من تضع لأول مرة وليداً وقد لاحظ ذلك الطبيب فتألم لها وعليها محاولا أن يخفف من أساها ليكتسح خواطر السوء منها لكيلا تصاب بسوء مشرفاً بنفسه على رعاية الرضيع والعناية به ومرت الأيام وأشرفت الأم على تمام العافية مستردة صحتها بفضل عناية الدكتور الذى لم يكتف برعايتها بل عنى عناية خاصة بمشاعرها ليروضها على التعلق بولدها منبهاً ضميرها موقظاً مشاعر الأمومة حتى غلبتها أخيراً وأقبلت على طفلها ترضعه وتهدهده وتناغيه متناسية به ماضيها بما فيه من أحزان وأفراح .

وفى خلال هذه الفترة تتردد انسجام على جميع الأماكن التى كان يتردد عليها بمرافقتها وفجأة بينما كانت تشترى دواء لتقوية أعصابها التقت بمسرة فى الصيدلية تشترى بعض لوازم لاستحمام طفلها ... ووجدت انسجام الفرصة سانحة لتعرف آخر أخبارها ... وطاف بذهنها إما أنها تزوجت بعد الطلاق وأنجبت أو أن فايد ردها إليه...ورحبت مسرة بها ودعتها لمرافقتها لكى ترى رضيعها وتحدثا ، حديثاً حاولت انسجام فى خلاله أن تستدرج مسرة فيما يعنيها ... وفهمت أخيراً أن فايد لم يطلقها وأنه متمسك بها رغم إلحاحها وتمسكها برغبتها فى الطلاق ولشد ما هى حزينة لإنجاب ولد منه فتقاطعها إنسجام.. ،ولا أظنه يطلقك الآن بعد أن أنجبت له ولداً فتقول مسرة : سوف أوهمه أننى أجهضت إذ لا أحب أن يعرف .. فتقاطعها انسجام بلهجة خبيثة.بالعكس من مصلحة ابنك أن يعرف ، واسمحى لى أن أزف إليه هذه البشرى ،فأين يقيم لأبشره وبصوت جاد تقول

مسرة .:: أرجوك ولقد وضعت فى المستشفى لكى أكون بعيدة عنه . وتخفى انسجام ارتياحها لهذا التصريح وهى تقول : ولكنه يحبك ولن يتخلى عنك وخصوصاً الآن بعد أن أنجبت مؤنس فتقاطعها مسرة أنه لا يعرف الحب عنده كالقمار يلعب ولكى يكسب يغش ويخدع وبلهجة تنم بنبراتها عن الأسى تقول إنسجام :: إنك سيئة الظن بهولا يسع مسرة إلا أن تتنهد فى مرارة معقبة وأنت حسنة الظن به ولو سمعت مسرة ما رددته بينها وبين نفسها لسمعتها تقول فعلاً إنه مقامر بارع وبلهجة التشفى تقول إلى هذا الحد أنت كارهة له؟ فتقول مسرة ككرهى للشيطان تماماً فتتنهد انسجام آسفة قائلة : ومن يسمع كلامه يظنه ملاكاً فتقول مسرة بلهجة حزينة :: وهذا أفظع ما فيه : حديث ملائكى وتصرف شيطانى ، لطالما حاولت أن أملأ رأسه بكنز لا يمكن أن تمتد إليه يد اللصوص فتقاطعها انسجام دهشة أى كنز ؟ فتقول مسرة كل ثروة يمكن أن تزول ، عدا ثروة الرأس ، فلو أنه حصن نفسه بذخيرة من العلم والإيمان لكان من خير الناس للناس ، ولعرف كيف يسلك طريقه دون أن يعتمد على ثروة بطريقة مشروعة أو غير مشروعة :: غفر الله له وأبعد عنه الشيطان وهنا تسكت لدخول بعض أقاربها للتهنئة وتضطر انسجام أن تستأذن على امل أن تعود فى فرصة أخرى .

وبينما كان فايد يشترى من متجر بعض لوازم له لمح بجانبه خادمة عمة مسرة ويفرح كأنه التقى بمسرة ويسألها عما جاء بها إلى هذا المتجر البعيد عن منزل العمة فتقول إنها تركت خدمتها لأن حالتها العصبية أصبحت فوق الاحتمال وكانت تتمنى أن تظل فى خدمتها من أجل مسرة هانم وولدها الجميل ويفهم من سياق حديثها أن مسرة أنجبت ولداً فيمنحها مبلغاً لهذه البشرى ويهرول مسرعاً إلى مسرة التى ارتاعت لمرآه وظنت أن انسجام هى التى أخبرته وبفرح جنونى يقبل رأسها ويمد يديه ليختطف الرضيع من بين يديها فتتشبث به محتضنة إياه خشية أن يختطفه ويفر ولا يسعه إلا أن يجلس على ركبتيه أمامها قائلا . :: مسرة خذى على العهد الذى يرضيك سأعمل المستحيل لكى أكون زوجا صالحا ووالدا بارا وكأنها صماء لا تسمع

متطلعة إلى وجه الرضيع وهو يمتص لبن الثدى فى هوادة ويطول حديثه فى تصوير ما اعتزم أن يقوم به من كفاح لا يعرف الملل من أجلها ومن أجل ولده . . وبصوت ينم عن مشاعر مختلفة متناقضة تجمع بين الشك واليقين قالت : أتمنى تحقيق ذلك من أجلك ياسيدى فيقاطعها بصوت كسير : أين نداؤك الحلو يامسرة . . إن كلمة — سيدى — تلك جديدة على مسمعى . . فلم تعلق واستطردت بصوت هادئ : لقد أصبحت معدمة وبلهجة التحسر والدموع تغلف حدقتيها تردف : سوف أبحث عن عمل يكفل لى ولولدى العيش لأن عمتى نفذ ما كان لديها من مال بعد بيع ما كانت تملكه من عقار فى سبيل علاجها الذى طال ولم يزل ثم ظهر لى رجلا لا أعرفه يطالبنى بتسديد مبلغ من المال يساوى ثمن العقار كله بدعوى أن والدى كان استدان هذا المبلغ وقت مرضه وقد كسب الحكم الابتدائى ووضع العقار تحت الحراسة ريثما يبت الاستئناف فى الحكم وأناأعرف منوراء هذا المزعوم وإذا كان الإنسان يدبر الشر فى الأرض فالله يدبر الخير فى السماء فاذا التقيا انتصرت كلمة الله وسكتت قليلا مطرقة وقد عادت بخيالها إلى الماضى، ثم احتضنت رضيعها كأنها تحاول أنتحميه منهولم يفته ذلك فاغتصب بسمة وهو يقول : سيشفع ولدى عندك فتنهدت فى مرارة وهى تقول : ليتك ظللت كما رأيتك أول مرة لبراك ولدك على هذه الصورة الملائكية فانطلق وجهه بالبشر قائلا . . سأكون كذلك يامسرة . . قالت : ليتك ظللت ذلك الإنسان الذى لايتكلم إلاصدقاً ولا يمد يده إلا لعمل الخير ، ذلكالإنسان الذى يتسلل إلى أعماقى ليعزف على أوتار مشاعرى بمزامر الحب الإلهى مرتلا أجمل أغانى التصوف . . يوم مثلتهذا الرجل فى أورع صورة ظننت أنك كذلك : . يومئذ أيقنت أننى بك سوف يزداد إيمانى ويعلو قدر يقينى . . كم كنت أتمنى أن تظل كذلك وألا تتحول إلى شيطان قابع فى صدر إنسان . وهزتهاذكريات الماضى التى احتلت ذهنها وزلزلت مشاعرها فخافت أن يسرى مفعولها كالسم فى لبن الرضيع فسكتت لتجفف دموعها

التى طفرت لفرط تأثرها ثم قالت بلهجة الابتهال . . هداك الله من أجل ولدك الذى أرجو من الله أن يشب فيجدك كما أتمنى ليفخر بطهرك وإعانك الذى يحميه من أعاصير الحياة ووسوسة الشيطان ،وهنا سكت عند دخول الخادم لتطلب من مسرة نقوداً لشراء اللازم فكلفتها بمراقبة الطفل ريثما تحضر لها النقود وعلى أثر خروجها سأل الخادم ولماذا لا تطلب النقود من الست الكبيرة فقالت إنها تعطى النقود للست الصغيرة لكى تصرف ربعد أن أعطاها مبلغاً من المال عرف أن العمة أودعت ثروتها فى مكان ما وقد طلبت من الست الصغيرة أن تضع نقودها وحليها فى البنك أيضا وقد سمعت أنها حرمت من لا يستحقون لجحودهم وعقوقهم من الميراث بوصية تركتها عند المحامى وكلفت الست الصغيرة بأن يكون ابنها الوريث الوحيد لها وسكتت عندما دخلت مسرة لتحمل الطفل إلى مضجعه بعد أن نام واستأذنته لقيامها ببعض أعمال البيت قائلة له لكى ينصرف : لا تفكر فى استئناف حياتنا الزوجية سأعيش لولدى وهذا حسبى والله يتولانا برعايته فانتصب واقفاً وهو يقول بلهجة التحدى . . لن يفرق بيننا إلا الموت وحتى ألقاك أرجو لك ولولدى أسعد الأوقات . وخرج من عندها مشغول البال بثروتها واستطاع بوساطة صديق موظف فى البنك أن يعرف رصيد العمة ورصيد والد مسرة قبل أن يسحبه مرة واحدة قبل وفاته بأيام وأيقن أن مسرة هى التى استولت على رصيد والدها وهى تحتفظ به قطعاً مع مال عمتها حيث لم تدعه فى البنك ولجأ إلى رجال المغناطيس ليعرف مكان النقود وإلى جميع العرافين فلم يوفق ولما اشتد ضيقه وازداد قلقه واضطرابه الفكرى اضطر ان يتردد على مسرة محتجا برؤية ولده على أمل أن يهتدى الى معرفة مخبأ النقود فى البيت فمرة يتمارض بدعوى مغص كلوى حاد ليستريح فى غرفة نوم العمة ريثما تهدأ الحالة ومرة ينتهز فرصة نوم ولده فى غرفه مسرة فيستريح بجانبه ريثما يصحو الرضيع وراعه أثناء تردده تأخر صحة العمة وبات يخشى أن تقضى العمة نحبها وتحاصر أقاربها الغرف وقد تكون مسرة غير عليمة بالمخبأ ،إذ كانت

بطبيعتها لا تهتم بالبحث عن المال والجرى وراء الجاه ورغم تجنب مسرة له فقد واظب على زيارة ولده متجاهلا عدم ارتياح مسرة لزيارته وإعراضها عنه رغم محاولته التقرب إليها بشتى الأساليب ، فلما ازدادت صحة العمة سوءاً أحضر لها طبيباً من تلقاء نفسه وقدمه إلى مسرة بأنه أخصائى فى الأمراض المستعصية وبعد أن شخص الطبيب المرض أمر بضرورة تدليكها طبياً على أن تقوم بذلك ممرضة اخصائية ووعد بإرسال ممرضة ممتازة فى التدليك وعلى أثر انصراف الطبيب وفايد فوجئت مسرة بمقدم انسجام على غير ارتقاب وكانت استغفرت ربها من قبل لاتهام انسجام بتبليغ فايد عن ولادتها إذ تبين لها من سياق حديث فايد مقابلته لخادم عمتها التى طردتها لسوء سلوكها وسألتها إن كان لها خبرة فى فن التدليك فتجيب بما طمأن مسرة وسرها أن تكل إليها هذه المهمة ،وترحب بانسجام ،وأثناء حديثهما الخاص بالتدليك يدخل فايد تصحبه امرأة متصابية تبدو ميوعتها من لهجتها رغم احتشامها وعندما يقع نظر فايد على انسجام تخرسه المباغتة ولكنه يتمالك نفسه بسرعة متجاهلا إياها كأنه لم يرها ولكن — مسرة — تلفت نظره إليها قائلة . . الآنسة انسجام ساقها الله إلى لتقوم بمهمة التدليك وهى ممرضة ممتازة كما أعرفها منذ كنت فى العيادة . : ويجيبها فايد بانحناء رأسه معقباً ولكن الدكتور أرسل .... فقاطعته مسرة : كل شىء نصيب : « وعلى كل حال لا ضير من التعارف الآن فقد نحتاج إليها إذا تغيبت وتتقهقر انسجام بضع خطوات قائلة . « اسمحى لى يامسرة هانم أن أنسحب ما دامت مدام أو مدموازيل لا أدرى من قبل الدكتور المعالج . ،وتعلق مسرة . حضرتك ممرضة فى الحكومة أم حرة فتنظر الزائرة إلى فايد حائرة ماذا تقول ؟ فيسرع فايد « : إنها ممرضة فى المستشفى الخاص بالدكتور ظافر فتعلق انسجام لم أسمع عنه فيقول فايد بلهجة الغيظ : اعتقد أنك لا تعرفين جميع الأطباء يا آنسة أو يا مدام لا أدرى ؟ « : وهنا تنسحب الزائرة موجهة الكلام إلى فايد : . تستطيع أن تخبر الدكتور لكيلا يتهمنى بالتقصير فتستبقيها

مسرة لتتناول القهوة أو الشاى كما تحب . . وتشعر انسجام بدوار حاد فتستأذن مسرة قائلة . . سأذهب الآن لآخذ اجازة ربما انظم وقتى، لكى أتمكن من القيام بخدمة العمة فى وقت فراغى وتخرج مسرعة تجر ساقيها وبودها لو تختفى من الوجود ولم تكد تبلغ الشارع حتى تشعر بمن يسير بجانبها قائلا : اتبعينى عندى ما أقوله لك فلم تجب وأشارت إلى تاكسى ولم يكد التاكسى يقف وتركب فيه حتى يركب من الجهة الأخرى قائلا للسائق إلى كازينو قصر النيل . . وتضطر أن تدلف لتقول له . . لست غاضبة بل أنا سعيدة بعودتك إلى زوجتك وولدك فيقول . . لا تحكمى على حتى تسمعى ما أقول لقد كنت مدينا بمبلغ كبير لسبب مرض والد مسرة ولقد علمت أن الدائن عرف مسكننا وأنه يتخذ إجراء الحجز على الأثاث لبيعه لذلك عجلت بنقله واحتفظت به عند صديق لى . . ولقد قيل لمسرة أنى تزوجت ولكنها لا تعلم من تكون الزوجة لذلك طلقتك لكى أبعد الشبهة عنك وكان فى نيتى ومازال أن أردك لتقفى بجانبى لكى استرد مالى الذى سلبته منى دون أن تشعر بعلاقتنا وقد حمدت الله لوجودك عندها لعلاج عمتها لأن ذلك يسهل إلى مهمتى ويوم أحصل على مالى سوف أطلقها وأردك إلى عصمتى ونرحل معا إلى بلد عربى شقيق نعيش فى أمن وطمأنينة ولم يفترق إلا بعد أن اطمأن بأنها أصبحت كالخاتم فى أصبعه يحركه كيفما شاء . . . وعادت انسجام كما وعدت مسرة لتقوم بمهمتها وبعد أسابيع قلائل تحسنت صحة العمة فعلا بوسيطة العلاج الطبيعى وفى يوم ما أرسلت انسجام الخادم لتحضر بودرة تلك من الأجزخانة وكانت مسرة تستحم فى الحمام وكان الطفل نائماً فى عربته بداخل باب المطبخ ليكون تحت إشراف الخادم وهى تقوم بتنظيف المطبخ وفجأة تصرخ انسجام مستغيثة وتخرج مسرة من الحمام فى فزع فاذا بلهب البوتجاز أشعل كل شىء فى المطبخ وسرى اللهب على عربة الطفل وتجرى مسرة نحو العربة المحترقة صارخة ولدى . . ولدى فتشدها انسجام لتبعدها عن

اللهب صارخة وامصيبتاه احترق . . وترتمى مسرة على الأرض فاقدة الوعى وبعد أن تستفيق ويأخذ التحقيق مجراه قيل أن الخادم تركت أنبوبة البوتاجاز مفتوحة وعلبة الكبريت بجانب أحد عيونه المفتوحة . . ونشرت الصحف الحادث مع ذكر اسم مسرة فلما قرأ الدكتور مؤنس الخبر أسرع إلى بيت العمة ليواسيهما ولشد مازوعه أثر الحريق الواضح على وجه مسرة وعلى يديها ولكنه طمأنها وأكد لها ان الطب الحديث كفيل بإزالة هذه الآثار وتعود البشرة ناضرة كما كانت . . وحملها إلى المستشفى لتكون تحت رعايته ، فى هذا الوقت تنتهز انسجام الفرصة وتمكث مع العمة لتمريضها حسب وصية مسرة منفذة تعليمات فايد للبحث عن أموال العمة ومصاغها وأوراق مسرة الخاصة وهو بدوره يتردد بدعوى الاطمئنان على العمة وليشاركها فى البحث وكان الدكتور مؤنس يعود العمة من حين إلى حين ليطمئن مسرة ولكى يزيد من اطمئنانها أخبرها أن زوجها يهتم بعمتها ويبدو أنه يقضى أكثر الوقت للإشراف عليها إذ كلما جاءها وجده عندها . . وبدل أن تبدى مسرة ارتياحها لهذا الخبر أبدت استياءها وتخوفها ورغم اعتقادها بأن انسجام تقوم على خدمة العمة على الوجه الأكمل كما تشعرها كلما اتصلت بها تليفونيا إلا أن القلب راودها عندما علمت بتردد فايد وسيطر عليها القلق إلى حد دفعها إلى ترك المستشفى رغم معارضة الدكتور مؤنس وقبل إتمام علاجها ولما عادت إلى بيت عمتها بادرت إلى رفع الستار الموجود خلف سرير العمة وتنفست فى ارتياح لاطمئنانها على أمر كان يشغل بالها . . ولم تلحظ أن انسجام وهى جالسة بقرب العمة كانت ترقبها خلسة فلما غادرت مسرة الغرفة أسرعت وقت نوم العمة لترى ما وراء الستار ولشد ما أذهلها وجود صيوان سحرى داخل الحائط كأنه نافذة معلقة وشعرت فى التو بأنها وضعت يدها على المفتاح الذى يبحث عنه فايد لكى يردها فايد إلى عصمته ويعيد إليها نقودها التى

تشلت منه فى الطريق كما قال لها ولم يمض اليوم حتى اختلست فرصة وأخبرته
تلفونيا باكتشافها ونبهها إلى ضرورة العثور على المفاتيح بأى وسيلة فلما
نامت العمة تسللت إلى غرفة مسرة بعد أن لاحظت أنها تضع المفاتيح تحت
وسادتها عند نومها وتنبهت مسرة إذ لم تكن مستغرقة فى نوم عميق كما
تصورت انسجام وبصوت مرتجف النبرات قالت مسرة فى ذعر . . من؟
. . وقاومت انسجام اضطرابها وهى تقول سمعت شخيرك فجئت
لاقسوم رأسك وتركتها راجية لها أحلاما سعيدة وتمر بعض
أيام تفشل خلالها انسجام فى الحصول على المفاتيح لخفة نوم مسرة من
جهة ثم عن لفايد أن تجرب عدة مفاتيح أثناء نوم العمة بعد أن حقنتها بحقنة
منومة وعندما قبلتها مسرة كالمعتاد كل ليلة قبل مغادرتها لتنام : شعرت بأن
جبينها بارداً وكذلك أطرافها ولم تشأ أن تزعج العمة وآثرت النوم بجوارها
طوال الليل لتجس نبضها للتأكد من انتظام قلبها ولم تستطع انسجام دخول
الغرفة ليقظة مسرة للاطمئنان على العمة واضطرت فى الصباح مغادرة
البيت طول النهار لتجديد أجازتها المرضية التى تعمدت أن تأخذها بمعاونة
المعاون صديق فايد ولم تستطع الاتصال تليفونياً بفايد لعدم وجوده فى مكان
معروف فى حين اتصل بها تليفونياً فلم يجدها فاضطر أن يذهب إلى بيت
العمة بدعوى الاطمئنان عليها وعلم من الخادم أن انسجام خرجت وسوف
تعود قبل المغرب كما أخبرت مسرة وفى حذر غافل مسرة وكتب رسالة
إلى انسجام سلمها للخادم خفية وكلفها بتسليمها إلى انسجام لأنها من والدتها
ولا تريد أن يطلع عليها أى أحد وأعطاها الرشوة المعتادة وبعد خروجه تشعر
مسرة بصداع شديد فتكلف الخادم بشراء اسبرين من الخارج وقامت تهيئ
كوب شاى ريثما تعود الخادم وعندما دخلت المطبخ تحت منديل الخادم
ربط طرفه على ورقة خيل لمسرة أن الخادم سرقت مبلغا من المال وتخفيه بدليل

أنها وضعت المنديل فى زاوية لولا فتح الثلاجة لإحضار الشاى لما رأته ولشدما روعها ذاك الذى قرأته رسالة من فايد إلى انسجام لكنها تمالكت أعصابها ووضعت المنديل مكانه وتشاغلت ببعض مهام البيت وهى تفكر فيما عساها أن تفعله ومضى النهار وهى تعانى من مشاعر الخوف والفزع ما يفوق طاقتها حتى عادت انسجام فاستقبلتها متكلفة الهدوء والبشر ولكن انسجام لاحظت شحوب وجهها وشرود فكرها فلما صارحتها بأنها غير طبيعية قالت ربما من أثر الصداع الشديد الذى تشعر به فكلفتها باستدعاء الطبيب ولكن مسرة فضلت الذهاب إليه لكيلا تعطل عيادته فى هذا الوقت المزدحم بالمرضى وختمت حديثها بقولها إنها ستمر على قريب عمتها التى تحتفظ عنده بمال لكى تأخذ منه مبلغاً وتوصيها بعمتها خيراً وذهبت إلى الدكتور مؤنس وصارحته بما قرأته فى الورقة فهدأ من روعها واتفق معها على إجراء اللازم ولم يدعها إلا بعد أن بدد فزعها وطمأنها وعادت إلى العمة وجلست بجوارها تتلو القرآن بينما جلست — انسجام — بعد أن ناولتها الخادم الورقة سراً بيدها وهى تفكر فيما هى مقبلة عليه وما ينتظر وقوعه فى منتصف الليل محاولة أن تخفى ارتباكها مقاومة هواجس القلق إذ تخشى الفشل فتسوء العاقبة ومضى الوقت فى بطء أو هكذا خيل إليها بينما هرعت مسرة إلى مخدعها متكلفة الرغبة فى النوم وأغلقت باب غرفتها من الداخل ولم يكد الليل ينتصف وهى أشد ما تكون هلعاً وترامى إلى مسمعها صفيرا من وراء نافذة غرفة نوم العمة ولا تدرى ماذا حدث غير أنها اضطرت إلى فتح باب غرفتها على صوت ضابط المباحث . . افتحى ياهانم لقد قبضنا على الجناة وكان أول ما استرعى انتباه مسرة وجود انسجام بين الجناة وأثر ذلك فى نفسيتها تأثيرا فظيعاً إذ لم يمر بخلدها أن تكون انسجام خائنة مجرمة إلى هذا الحد ورغم الصخب والضجيج الذى نبه سكان العمارة فهرعوا إليها فإن

العمة لم تستيقظ واندفعت مسرة تناديها برفق فلما طال سكوتها حركت يديها مكبرة فى أذنيها وجذبت إحدى الجيران يدها لتجس نبضها وبدل أن تصرخ غطت وجهها بالملاءة وهى تردد الشهادة مع ذكر إنا لله وإنا إليه راجعون وشملهم جميعاً رهبة الموت بينما ارتمت مسرة على صدرها باكية مرددة . . . . عمتى . . عمتى :

بداية حياه

[اختفى فايد ولم يكن مع الجناة عند القبض عليهم بواسطة الكمين الذى أعدلهم واستطاعت انسجام أن تبرىء نفسها بدعوى أنها ممرضة العمة ومن حسن حظها أو لعلها تعمدت ألا تظهر مع الجناة حينما دخلوا غرفة العمة لكسر الصيوان المسحور وتظاهرت بأنها استيقظت من نومها على صوت حركة.. ومرضت مسرة ولم يتخل عنها الدكتور مؤنس محاولا أن يزيل كربها ويهدىء من روعها وفجأة ظهر — فايد — وكأنه كان على سفر ولم يعلم بالحادث إلا بعد عودته واستطاع بدهائه أن يثبت أنه كان فى الاسكندرية ليلة الحادث إذ قدم للنيابة مايثبت سفره صبيحة يوم الحادث وتمضية الليل فى فندق بالاسكندرية متهماً الجناة بأنهم أعداءه وساعده على تأكيد ذلك أنه لم يوقع باسمه على الورقة وبدأ يتردد على مسرة بدعوى [الاهتمام بها موهماً إياها بأنه لاعلاقة له بانسجام وأن الورقة التى وجدتها مع الخادم ليست منه وكان فى مقدوره أن يبلغ ماجاء فيها لانسجام تليفونياً أو منتهزا أى فرصة أثناء زيارته لعمتها ولم تحاول مسرة مجادلته فى نفس ما زعم أو تأكيد ماحدث كأنها تعيش بمشاعرها وفكرها فى عالم آخر لاعلاقة له بماضيها وحاضرها وإذا حدث وحضر الدكتور مؤنس لعيادة مسرة قابله بفتور متكلفاً الحزن والألم لمرض مسرة على أن الطبيب كان يلاطفه ويطمئنه ويشعره بأنها فى حاجة إلى رعايته وحنانه وعليه أن يعوضها حنان والدها وعمتها فان ذلك أجدى من الدواء وعلى أثر تمام الشفاء استدعتها النيابة لإتمام التحقيق ونصحها الدكتور مؤنس عندما استشارته فيما يجب أن تقوله نصحها بأن تكتم أمر الورقة لكيلا تدين فايد وانسجام مادامت المؤامرة فشلت وأكد لها أنه لو فرض وعوقب فايد وانسجام فلن يغير من طبيعتهما وقد يزيد سجنهما من حقدهما والانتقام منها بوسيلة أخرى وقد يثوبا إلى الله بعد هذه التجربة الخاسرة .

وبدأت مسرة تواجه الحياة من جديد مفكرة فى وسيلة تحمل زوجها على طلاقها وهى تعلم أنه عابد للمال والثراء مهما تظاهر بغير ذلك وهو لايبقى عليها الآن إلا لاعتقاده الراسخ بأن وراءها ثروة لابد أن يحصل عليها فى يوم من الأيام وأخيراً صح عزمها على أن تظهر بمظهر الفقيرة المعدمة. فباعت حاجياتها الخاصة ونصيبها من الأثاث فى ميراث العمة بعد أن استولى عليها الورثة وانتهزت فرصة زيارة فايد وقبل أن يتحدث إليها طلبت منه مفتاح بيتها لكى تذهب لإحضار حليها وحاجياتها الخاصة لبيعها كى تقتات منها ولم يدعها تسترسل فى الحديث فصارحها بأن الدائن له نفذ الحجز وباع الأثاث كله أما الحلى فقد باعها عندما كان يتردد عليها فى المستشفى وفى نيته أن يشترى لها بدلا منها بعد أن يحصل على أرباح تجارة اشتراك مع صديق له فيها ولم تشأ أن تحتج على هذا التصرف لأنها كانت متوقعة استيلاءه على كل شيء وتظاهرت بقبول الأمر الواقع واسعفتها قريحتها باختلاق رغبتها فى العمل وأنه فى مقدورها مزاولة مهنة الحياكة. واعترض محتداً قائلا أنه لايليق بزوجة ابنة الوجيه عادل (بك) أن تعمل فى حقل الصناعة الذى لايعمل فيه غير الفقيرات سليلات الأسر الفقيرة وهنا: دافعت بحرارة وحماسة عن المرأة العاملة وأن التطور لم يعد يفرق بين المرأة الغنية والفقيرة إذ يتحتم أن تعمل المرأة أى عمل مهما كان مستواها وبعد جدال مزج بين العنف واللين تركها غاضباً غير راض عما أشارت إليه ولكى يصدق أنها جادة غير هازلة وفقيرة معدمة اتفقت مع الدكتور مؤنس على أن يسمح لها بالتردد على المستشفى من آن لآخر لكى تحيك ملابس للنساء الفقيرات والأطفال اليتامى على حسابها الخاص بعد أن قدرت قيمة الزكاة المفروض أن تدفعه عن ميراثها من أمها وأبيها وعمتها دون أن تحرم أقاربها الفقراء من حقوقهم المشروعة وأكثر — وخامر فايد — الشك فيما زعمت فراح يتردد عليها من آن لآن فإذا به يراها تحيك

الملابس حقاً ولكى تشعر بأن الحياكة خاصة بنسوة وأطفال لاعلاقة لهابهم أخبرته أن صديقة لها تتولى توريد الأقمشة المطلوبة حياكتها عن طريق متاجر الأزياء الجاهزة لأن صحتها لاتساعد على استقبال الراغبات كما أنها تضيق بالنقاش والثرثرة وبعد مضى بعض شهور لاحظ خلالها أنها قامت بحياكة ملابس تقدر بمبلغ كبير وخاف أن يتحدث إليها فى هذا الشأن فتسىء الظن به لذلك لجأ إلى انسجام وطلب منها أن تزورها بدعوى أنها ترغب فى حياكة ملابس لها ولكى تعرف قدر دخلها ورحبت مسرة بها وهى تشعر فى قرارة نفسها بأنها لاتتقاضى أجراً من ذويها وصديقاتها وهى قانعة بما يسد مطالبها والحمد لله وتكررت زيارات انسجام دون أن تلحظ أى أثر للترف إذ تعمدت مسرة ذلك وفى سياق الحديث الذى جرى بينهما أكدت لها مسرة أن ثروة أبيها استولى عليها الدائنين فرثت لها انسجام وأبدت استعدادها فى أن تساعدها فى الحياكة وقت فراغها لتهون عليها جهد العمل ولكن مسرة رفضت شاكرة لها أريحيتها وصعب على انسجام أن يتركها فايد على هذه الصورة معلقة يحاول بدهائه أن يستغلها على أمل أن يردها بعد أن يطلق مسرة فتحتال بأسلوب العطف أن تشجع مسرة على المطالبة بالطلاق مادام لايحبها وهى كما تسمع عنه يصرف فى إسراف واضح فتعارض مسرة على هذا الاقتراح وتخبرها أن ابن خالتها طلب منها أن تطلب الطلاق عن طريق المحكمة ولكنها رفضت لاعتقادها أنه يتحتم على الزوجين ألا يسمحا باشهار خلافهما على مسمع من جماهير المحاكم فإذا صعب عليهما التفاهم أو الفراق فليترکا الأمر لله واستطاعت انسجام أن تقنع فايد بأن مسرة أصبحت فقيرة معدمة حقاً وأنه فى مقدورها أن تساعده بالتأثير على مسرة لكى تتنازل عن حقوقها الشرعية مقابل الطلاق. وساعد على صحة هذا الزعم ظهور زوجة والدها بمظهر الثراء حتى ظن أنها استولت على ثروة والد مسرة مستعينة بأحد المزورين لإثبات صحة الديون التى عليه ومع أن الطعن

الذى رفعته مسرة لم يزل مؤجلا والحارس يستولى على الإيجارات وقد رآه أكثر من مرة مع الزوجة فى سيارة وعندما أخذ عليها ذلك قالت أنها اضطرت لمرافقته بناء على دعوة محاميها . . . ولم تمر أسابيع حتى طلق مسرة على أمل أن يتزوج زوجة والدها زواجاً عرفياً خرصاً على معاشها كما اتفقت معه سابقاً وأوهم انسيجام بأنه طلقها لكى يردها إلى عصمته نهائيا بعد ان يطمئن إلى عدم مطالبتها نهائيا بأى حق من حقوقها الشرعية .

فى هذا الوقت ينتدب الدكتور مؤنس للعمل فى السعودية وقبل سفره ذهب لمسرة مودعا راجيا لها الصحة والطمأنينة وحز عليها مغادرته وهى فى حاجة ماسة إليه فى هذا الوقت العصيب وحرمانها من عطفه ورعايته كلما مسها المرض وأصيبت بمكروه على أنها تظاهرت بالسرور لسرده لما يأمل أن يحظى به من تقدير كامل إزاء مايقدمه من خدمات طبية موفورة فى سبيل النهضة الطبية الحديثة هناك لتكون أسوة بمصر وقبل أن يغادر القاهرة رأى لزاما عليه أن يعيد إلى مسرة مااستودعته من أموالها وحلى عمتها ولكنها أبت وإزاء إصراره على ضرورة تسليمها الأمانة أو إيداعها باسمها فى البنك طلبت منه أن يعينها قبل رحيله على استغلال الثروة استغلالا اقتصاديا يعود على الوطن بالنفع الوفير لوجاهة الفكرة راح يستعرض معها عدة مشروعات وأخيراً استقر رأيهما على شراء شهادات للاستثمار وقبل رحيله نفذ هذه الفكرة ومرت الشهور انضمت خلالها إلى أحد الجمعيات النسوية لتسهم فى الأعمال التى تعود على الأسر الفقيرة وفى خلال هذه الفترة تأكد فايد أنها أصبحت فقيرة بعد أن أكدت له انسجام على أثر زيارتها لها عدة مرات بأنها اشتغلت كعاملة فى احدى الجمعيات . . .

وفى عيد ميلادها الذى لم تعد تحفل به وكأنه مجرد يوم متناسية إياه بما تقوم به إذ لم يعد فى الحياة من تهتم به بعد والدها وعمتها فوجئت بزيارة الدكتور مؤنس وأخرستها المفاجأة وهذا الانفعال على لحاتها فلون

وجنتيها بلون الشفق وخيل إلى الدكتور أنها عادت إلى زوجها وتخشى أن تستقبله فظل واقفا في مكانه وقال . . يبدو أنني اخطأت . . فاستعادت هدوءها وابتسمت مرحبة به متخذة من اعتذاره دعابة بريئة موهمة إياه بأنه لاضير من زيارتها فى أى وقت فزوجها يعلم أنه طبيبها الخاص ولقد جاء فى الوقت المناسب كأنه ملهم لأنها متعبة ويوارى الدكتور ما ألم بنفسه مغتصبا بسمة إذ لم يكن يتوقع رجوعها لزوجها وقال بلهجة جادة . . علها بوادر الحمل فضحكت بغير صوت وهى تفسح الطريق له مشيرة إلى المقعد ليجلس قائلة : . من يراك يظن انني مدينة لك وحان سداد الدين . . ثم لزمت الحد وقد ارتسم على محياها اشعاع مشاعرها مردفة : . . لاأنكر أنني مدينة لك بحياتى كلها وبعد أن اتخذ مجلسه طرق الباب فانتصب واقفا قائلا . . عله زوجك وهو غيورفأشارت إليه قائلة أنه لايغار من انسان شريف وقور وفتحت الباب فإذا بها انسجام وكانت لاتعلم شيئاً عن مغادرة الدكتور للقاهرة وحاولت مسرة ألا تنبهها إلى ذلك أثناء الحديث مدعية أنها متعبة وقد استدعت الدكتور لذلك . . وانصرفت انسجام موقنة أن العلاقة مازالت قائمة بين الطبيب ومسرة وعندما كاشفت — فايد — بذلك أوغرت صدره ونبهت حقده وفكره فى الانتقام من الطبيب ولزم الطبيب الصمت لايدرى ماذا يقول : : وتحرك لينصرف وأدركت مسرة مايجول بخاطره مما بدا على وجهه من انطباع مشاعره الخفية فابتسمت قائلة . : شكراً لله الذى مد فى عمرى حتى أراك . ! قال بصوت هادئ ، إلى هذا الحد قطعت الأمل فى لقائى : : قالت . . ظننت أنك ستجد هناك مايغريك على نسيان من هنا قال . . قد أكون وجدت فى البلد الشقيق والصديق والمعين ولمست فى أهل السعودية النبل الأصيل والكرم الوفير والشهامة العربية التى تحبو كل غريب بالعطف والرعاية فيشعر أنه يعيش بين أهله وعشيرته . . فقاطعته لعل مدة إعارتك انتهت : : قال أبدا جئت فى أجازة وقدشئت

أن اطمئن عليك وحمدا لله لأنك عدت إلى زوجك وأرجو لكما السعادة والتوفيق وأظن مهمتى انتهت ثم وقف متأهبا للانصراف . . فاشارت بيدها ليجلس قائلة . . لم يزل عندى ماأقوله لك إن تفضلت بعض دقائق . . فجلس وقد شاع على وجهه الرغبة لسماع ماتريد قوله . . فقالت بصوت هادئ رقيق وقد لمعت عيناها ببريق الإشراق . لوكنت أعرف عنوانك بالضبط لأرسلت إليك يوم ميلادى فقاطعها فى دهشة : : أليس اليوم عيد ميلادك . . فهزت رأسها مردفة . . قد ولدتنى أمى اليوم حقا . . ولكن ميلادى الحقيقى يوم طلقنى . . فانبهر وقد انفرجت أساريره وردد . . طلقت . . قالت . . أجل والحمدلله فاصطبغ وجهه بحمرة بانت انعكاساً لحرارة قلبه الذى مسه هذا الاعتراف وقال . . لست أدرى ماذا أقول . . المهم أن تكونى سعيدة . . قالت الآن إلى حد . . وأخشى أن تكون السعادة التى أتخيلها الآن سراباً وهنا انتصب قائلا لطالما تحدثنا عن السعادة والشقاء والحديث لايغير وجه الواقع مع الأسف . . . . . فقاطعته لم نشرب الشاى معاً منذ عام مازلت أتخيل آخر مرة شربنا فيها الشاى سوياً هنا الساعة السابعة مساء اقبل مغادرتك القاهرة بساعات معدودات أتذكر ؟ فشعر بانتفاضة شاعرية رقيقة نبهت وجدانه وقال : ظننت أنك نسيت ؟ ! قالت لا أحسبك جاد فى هذا الظن وكأن مساً من الواقع نبهه فقال . . وإن كنت لم أسمع بعد الحديث الذى ، أستبقيتنى من أجله . . قالت وهى فى طريقها إلى المطبخ لعمل الشاى . . أحيانا يتغير الحديث وإذا بحديث آخر لم يكن فى الحسبان . . قال : فعلا . . . قالت . . . كيف مر بخاطرك أن أعود إلى الرجل الذى أسموه يومئذ زوجى بعد الذى حدث . . أولم تذكر محاولاتك لكى أعود إليه وبصوت خفيض أردفت . . كان لابد أن نفترق وقد افترقنا والحمد لله إلى الأبد وكنت أتمنى أن أخبرك لاطمئنك على الاقل ولكنك لم تكتب إلى لأطمئن عليك وأعرف عنوانك قال : عن عمد فعلت خشية أن تقع الرسالة فى يد زوجك فيسىء الظن بنا قالت وقد

بدت على شفتيها ابتسامة حلوه مادمت بخير فأنا بخير قال — على فكرة . .
قبل أن أغادر القاهرة . . لى صديق طبيب رآك وأنت فى المستشفى وقد أعجب بك ولخوفه من الله لم يشأ أن يظهر هذا الإعجاب وقد يكون حبا لأنك كنت زوجة ولا أظنه الآن يتردد فى أن يتقدم إليك طالبا يدك بعد طلاقك هذا إذا كنت لاتمانعين . . وأطرقت لتخفى إحساسها الذى غمرها ورفعت وجهها إليه دون أن تتكلم وقلبها ينبض بمشاعر الفرح فعاد يقول : مارأيك . . سألقاه الآن وأزف إليه بشرى سراحك فقاطعته . . اتظن انى اتزوج برجل مهما كان شأنه دون أن أتأكد من خلقه فقاطعها إنه مثلى تماما فقالت بصوت ترتجف نبراته بتأثير مشاعرها المتفضة شكلا وقالبا وعقلا وطباعا نبلا وشهامة . . فقاطعها . . إنه انسان يتقى الله وهذا حسبه قالت بلهجة التأكيد . رغم ذلك لابد أن أراه ويرانى فى بيتى على طبيعتى ألا ترى ذلك ضروريا ؟ . . قال لتكن مشيئتك . . انتظرينا غدا إن شاء الله . . وجاءها فى اليوم التالى وحده . . فابتسمت وأوعزت إليها مشاعرها ماكان يعنيه بالأمس ولكنها تجاهلت احاسيسها وقالت . . لم تحدثنى عن السعودية البلد الذى اصطفاها الله سبحانه دون العالم مقرا للرسول الحبيب (صلعم) قال : حديثها يطول . . وله فرصة أخرى . . أما اليوم فميلادى وقد جئت أحتفل به معك فشاع البشر وانطلقت كل جارحة فيها مزغردة بغير صوت قائلة . . ولماذا لم تخبرنى البارحة لكي استعد قال : أجمل مافى الحياة المفاجأة السعيدة . قالت فعلا ومدت يدها لتصافحه مهنئة فلم يترك يدها إلا بعد أن وضع دبلة الخطوبة فى أصبعها قائلا . . بلا مقدمات مارأيك . . وناولها دبلة اسمها مع أصبعه فوضعتها بيد ترتجف من شدة الفرح قائلة . . لم يخدعنى قلبى ثم طوق جيدها بقلادة ثمينة وغمرتها دموع البهجة والسعادة التى لم تكن فى

الحسبان ونظرت إليه بعينين دامعتين وغمغمت بشفتين مرتعشتين ، أخشى أن أكون فى حلم جميل فقبل جبينها وكأن القبلة أفاقتها من سبات عميق فانتبهت مصغية إليه وهو يقول : لا أكتمك أننى ذهبت إلى السعودية لأكون بعيداً عنك إذ كنت أشعر بمرارة الحرمان تلدغنى كالعقرب كلما رأيتك أوطاف خيالك بذهنى وقد كان ماثلا أمام عينى فى الصحو ويؤرق مضجعى فى المنام . . وحاولت فى غربتى أن أتناساك

صراع مع الشيطان

استقر بهما المقام فى المدينة المنورة بالسعودية وقد تعمد الدكتور مؤنس أن يحددا المستشفى الذى يعمل بها فى هذه المدينة الطاهرة التى يختلط بهوائها أرج اطهر الأنفاس منذ وطئت قدمى الرسول (صلعم) أرضها وعاشا حياتهما فى هدوء وطمأنينة تحت ظلال روحانية الحب الذى لاتشوبه شائبه من شوائب الماضى البغيض، متفانية مسرة فى خدمة زوجها ورعايته ليشعر بالسعادة الكاملة وهو يعمل ليل نهار ليكفل للمرضى طمأنينة تدعو للشفاء العاجل وفى هذا الوقت اصطدم فايد بسيارة فى الطريق ونقل إلى المستشفى وأثناء علاجه ترامى إلى سمعه حديثا دار بين ممرضتين على مقربة منه فحواه أن الدكتور مؤنس تزوج بأمرأة مطلقة كان يعالجها قبل سفره إلى السعودية وتنفى الزميلة هذا الخبر قائلة بصوت ينم عن الشك مع حرارة الدفاع : لا يمكن ان يتزوج الدكتور مؤنس بأمرأة مطلقةوهو قبلة أنظار الطبيبات يتهافتن عليه كأنه النور وهن الفراشات وبلهجة التأكيد تقول الراوية صدقينى لقد تزوجها فعلا وقد سمعت الدكتور نعمان زميله يحكى للدكتور فتحى قصة هذا الزواج فتقاطعها.. لو عاشرته كما عاشرته لايقنت ان ذلك مستحيلا فتعلق الزميلة : الحب لايعرف المستحيل أو الفوارق الاجتماعية ويقال أيضا أنها من أجله تركت زوجها وهنا ينسحبان بعيداً عنه لإتمام عملهما ودون أن يعرفا أن فايد مطلقها وأن حديثهما كان سهما صوب إلى صدره فأنساه وجيعة الصدمة وراح يفكر بعقل الشيطان فيما يجب ان يفعله ليثأر منهما ولم يكد يغادر المستشفى حتى أسرع إلى انسجام فى المسكن المتواضع الذى استأجره لها لترعى ولده الذى سرقه من أمه بمعاونتها واخبرها بزواج مسرة . واعتزامه الانتقام منهما أنه لاشك أن العلاقة قامت بينهما قبل الطلاق وخيل إليه أن العلاقة كانت آثمة وتمنى لو يراهما فى التو ليشرب من دمهما وأمضى إليها بما طاف بخاطره ليثأر لشرفه كمايعتقد وأوصاها

خيراً بولده حتى يعود إليها ولايدرى متى . . ومضى فى طريقه . وكانت المعركة قائمة على أشدها فى سيناء واختلط جنود الشعوب العربية لا فرق بين مصرى وسورى وتونسى ومغربى وسودانى وجزائرى وسعودى . . . واصبح انتقال الجنود المتطوعين ميسرا .

وذات مساء بينما كان الدكتور مؤنس يعمل فى عيادته الخاصة ابلغه الممرض أن شيخا من كبار الحجاز يطلب مقابلته حالا لأمر هام وكان الشيخ منح الممرض مبلغا من المال يغرى على إيثاره الآخرين واستمع الدكتور إلى الشيخ فى اهتمام واستجاب لرغبته ورافقه فى الحال ليقوم بتوليد زوجه التى استعصى على الطبيبة توليدها كما زعم الشيخ وهى فى حالة خطرة وأبى الشيخ أن يستعمل سيارته ليوفر عليه جهد القيادة وركبا معا سيارة كانت فى انتظارهما وبعد أن قطعت الطريق العام انحرفت بهما السيارة فى طريق صحراوى وطال بهما الطريق وكلما سأل الطبيب أين البيت مبديا دهشته لعدم وجود مساكن فى هذا الوادى القفر الموحش وغابت الشمس وبدت الصحراء مخيفة مفزعة والسيارة تنهب الأرض على عجل وقلب الطبيب يزداد انقباضا ولو أنه ذاهب إلى المعركة لما انقبض هذا الانقباض الذى يستشعر به ، ولما اشتد هلعه قال للشيخ لقد قطعنا مسافة سفر طويل فلماذا لم تقل لى أن الحامل فى بلد آخر لكى أنظم شئونى وأكلف أحد الزملاء باستقبال المرضى وقد يكون فيهم من يحتاج إلى علاج عاجل . . كان يتحدث والشيخ يردد . . . قد اقتربنا نحن فى السعودية لانعرف المسافات الطويلة والقصيرة كلها أرض الله . . ومع أن لهجته السعودية ولحيته الطويلة وملابسه الفاخرة تدعو إلى احترامه لكن قلق الدكتور كان يزداد كلما امتد الطريق وغبش المساء يكسو السماء رويداً رويداً وخيل إليه أنه يوشك أن يلقى فى هوة لاقرار لها وراح يردد فى ذهول وهو ينظر متوغلا بحدقتيه فى الصحراء الموحشة الممتدة كيف أتصل بالعيادة الآن ؟ وقاطعه الشيخ فى عدم اكتراث المسألة بسيطة الممرض يتصرف وغداً تعوضهم خيراً . . وعلى

بعد بدا له ضوء يكاد يكون كضوء نجم يبدو من وراء الأبعادالسحيقة.. فقال الدكتور بصوت مخنوق الانفاس من شدة الضيق بعد أن تنفس الصعداء كأن بصيص أمن بدا له . . عل الدار هناك فهز الشيخ رأسه وسرعان ماوقفت السيارة أمام كوخ من الطوب اللبن ولأول مرة يشعر الدكتور بالخوف وهو يدخل في بيت لعيادة مريض ووقف فى انتظار إفساح الطريق له وفتح الباب دون أن يطرق الشيخ عليه كأن من بداخلة يمارسون مهنة المخابرات حيث تفتح الأبواب أمام السيارة المقبلة دون إعلان بأشارات لاسلكية خفية وارتجف الدكتور وخيل إليه أنه أمام لغز وأشار الشيخ بيده إليه قائلا بلهجة أهل الحجاز كلمة بمعنى أدخل وبدل أن يجد ردهة موصلة للغرفة الموجود بها الحامل كما تصور وجد أمامه مباشرة درجا اضطر إن يهبطه حسب إشارة الشيخ الذى ارتسمت على شفتيه ابتسامة صفراء وبان فى عينيه انعكاس مشاعر لم يستطع الدكتور أن يفسرها وأن كانت مشاعره انتفضت انتفاضة حيرة وغموض مخيف ونظر حواليه فلم يجد غير الفراغ وغالب هواجسه وسأل الشيخ : أين الحامل ؟ فأجابه استرح أولا من مشاق الطريق لقد كان وعراً وطويلا ولاشك أنك تعبت . . ثم ضرب بعصاه على الأرض ضربة زلزلت جنبات الكوخ فظهر عملاقا من وراء خباء خلفى فى حركة استعداد لتلقى أوامره ، وسأل الدكتور بصوت ينم عن كبت مشاعر خفيه ماذا تشرب شاى أم قهوة وان شئت منبهات أخرى تحت أمرك ؟ فقاوم الدكتور مخاوفه وهو يقول : شكرا بعد أن أقوم بمهمتى أولا ثم يتكلف بسمة مردفا . . من كان يراك متعجلا فى العيادة يظن أن الحامل توشك أن تضع . . فضحك الشيخ طويلا ليوارى خواطره المزدحمة ثم قال بصوت ينبئ جرسه على أنه يخفى غير ما يبدى . . لقد تأخرنا يبدو أنها وضعت وعادت إلى خبائها إذ التقاليد هنا تقضى على ان يعيش الحريم بعد الولادة فى عزلة تامة حتى يبلغ الرضيع الأربعين يوما ووقف الدكتور متماسكا أعصابه قائلا فى هدوء . . إذن أسمح لى أن أعود حالا إذ لم أتعود التأخير خارج بيتى إلى هذا الوقت المتأخر واغتصب بسمة مردفا . ولا يخفى عليك قلق الزوجة إذا تأخر زوجها دون علمها وتنهد وهو يقول

اظننى سأصل البيت صباحا فالطريق طويل . طويل لم أقطع طريقا مثله طول عمرى ونظر إلى الشيخ وهو يقول بلهجة التوسل الحار . . أرجوك اسمح لى بالعودة حالا وبدل ان يتكلم الشيخ بما يطمئن أشعل سيجاراً وهو يرمقه من وراء جفونه ثم قدم له سيجارا وبيده الأخرى مد عود الثقاب فاعتذر الدكتور شاكرا لعدم تدخينه راجيا أن يكلف أحد معاونيه بتوصيله إلى الطريق العام ولزم الشيخ الصمت لحظة ثم صوب اليه نظرة من ملك فريسته وقال لامانع. ولكن بعد أن تكتب ما أمليه عليك . . فظن الدكتور أنه سيكتب صكا وقد وقع فى مصيدة عصابة وهذا الشيخ رئيسها فتظاهر بأنه موافق وقال بصوت هادئ تحت أمرك . . قال الشيخ وقد أنفرجت أساريره . . حسنا يبدو أنك رجل عاقل أكثر مما كنت أتصور كيف تكيف الظروف لتستريح إذ الجدل لايجدى قال الدكتور تفضل أملى ماشئت لكى أعود إلى بيتى . . معى القلم هل أكتب على روشتة أم على ورقة من عندك ؟ فقال الشيخ . . على روشتة أفضل وعقب الطبيب : أنما أحب أن أؤكد لك أن كسبى على قدر حاجتى لأننى لا أبالغ فى الربح خصوصاً فى هذا الوقت العصيب التى تضحى فيها الجماهير بمالها فى سبيل المعركة كما أننى أعالج الفقراء مجاناً لوجه الله فقهقه الشيخ بصوت ساخر قائلا : علك ظننت أن المطلوب منك مالا لا يا صاحبى لست فى حاجة إلى المال ثم اعتدل فى جلسته ونظر إليه متنمراً وهو يقول بصراحة أريد زوجتك ووقع القلم من يد الطبيب الذى صعق إذ كان يتصور أى مطلب غير هذا وغمغم مذهولا . . زوجتى ؟ قال الشيخ بلهجة شرسة أجل . . أنها زوجتى أنا . . ورفع منظاره الاسود وعمامته وخلع لحيته وشاربه وهو يقول . . . ألم تر هذا الوجه من قبل . . . لا أظنك نسيت زوج منيرة الذى التى بك كثيراً وتحدث إليك طويلا بشأن خروجها من العيادة عندما كانت مريضة وكنت تعتذر بمعاذير تبيح لك حق استبقائها بجانبك لتغريها على التعلق بك والتخلص منى ، كنت يومئذ أظنك رجلا شريفاً أميناً على مرضاك . . . المهم المطلوب منك

الآن أن تطلقها وتكتب إليها رسالة صريحة تخبرها بذلك وتكلفها بمغادرة السعودية معى ، وأظن هذا أقل مما كنت تتصور أن يحيق بك لقاء تصرفك الدنئ ولزم الدكتور الصمت وقد أخرست الصدمة المريعة لسانه فاستعصى عليه النطق وراح ينظر لفايد فى احتقار ويلعنه فى سره لعنات يتسامى لسانه على النطق بها وعاد فايد يقول فى تهكم وتشفى طبعاً ليس لديك ماتقوله فجريمتك وقعت فعلا مع سبق الاصرار وليس عندك من مبررات الدفاع مايشجعك على الكلام . . . لكم قالت لى عنك . . . أنك ملاك . . . وكانت تقول لى فى جرأة أننى شيطان فما أعجب هذا الملاك الذى يخون الأمانة ولا يخشى الله،وبصوت هادئ خارج من الأعماق قال الدكتور وهو ينفث دم قلبه مع كل كلمة تفوه بها الكلام فى هذا الأمر لايجدى فأنا فرد أعزل لا أملك غير حماية الله وحبي وأنت رجل مسلح بالسلاح والرجال وليس هنا أى منفذ للنجدة ولست من البله بمكان حتى أنازلك فلسنا متعادلان فى كفتى الميزان . . . إذا لا سبيل أمامى غير الخضوع لمشيئتك فأملى على ماتريد ورجائى أن تطلق سراحى فوراً لأننى موظف مسئول وقبض بيد مرتعشة على القلم قائلا ما شئت . . . وكتب . . أنا الدكتور مؤنس عبد الجليل من رعايا ج.م . العربية أقر بأننى طلقت زوجتى مسرة عادل يسرى من رعايا ج.م . العربية والتى تقيم معى الآن بالسعودية وعليها بموجب هذا الطلاق أن تغادر السعودية فوراً ومرفق بهذا كمبيالة بمبلغ ٥٠٠ جنيه نفقتها ومؤخر الصداق باسم السيد / فايد عزت الذى يتولى عنى تسليم هذا المبلغ إليها وعندما هم بالتوقيع على الإقرار الذى كتبه تدارك خطورة هذا التصرف على مسرة ومدى جنايته عليها وضآلة نفسه وحقارتها إذ فى تصرفه هذا ما يثبت حبه لنفسه وإيثار منفعته عليها وبينما كان فايد يبتسم ابتسامة الفوز والارتياح لنتيجة تصرفه مزق الدكتور الورقة فى هدوء ونظر إليه فى كبرياء وهو يقول لن أكتب ولن أطلق وافعل بى ماتشاء . . . وجن جنون فايد وصرخ صرخة الوحش المسعور ستطلقها

طوعاً أو غصباً فقاطعه الطبيب لن أطلقها وعندما يهم فايد بالكلام يترامى إليه صوت حركة دورية الصحراء فيسكت مكمما بيده فم الطبيب لكي لا يسمع صوته فإذا تلاشى صوت الحركة يعاود فايد تهديده ولكن الطبيب يصر على الرفض قائلا : خير لى أن أموت شريفاً أميناً على أن أعيش نذلا جبانا وهنا يفقد فايد صبره فيصفعه على خده فى شراسة مخاطباً بعض رجاله أذيقوه من الطعام أشهى ماعندكم وأن كنت أدع لك فرصة أخرى ". بدل أن تدفع ثمن الرفض حياتك كلها فيجيب الطبيب بصوت تخنرق فيه تصميم واعتداد لن أكتب : فيبتعد عنه فايد ليفسح مكاناً للعملاقين اللذين انهالا عليه ضرباً بالسياط وقبل أن يغادره قال بلهجة الوعيد والتهديد . . لن اتركك إلا جثة هامدة وبرغم ايلامه من شدة الضرب يقول بصوت مخنوق حسبي ألا أخونها وليرحمها الله وبعد أن تنحى عنه عاد إليه ليقول : سأرمى جثتك للكلاب ويسكت عندما يقع على الأرض مغشيا عليه من شدة الضرب وبنبرة التشفى يأمرهما أن يصبا على رأسه الماء البارد موجها إليه الكلام لن أتركك تموت هكذا سريعاً . . سأعرف كيف أرغمك على طلاقها ولن أعيدها إلى إلا وأنت حى لأريق دمك تحت قدمى ثم يخرج وهو يزمجر بكلمات مبهمة تنم عن حقده وغيظه وبعد أن يتأكد الحارسان من ذهابه بعيدا يجلسان ليستريحا ثم يتفقا على أمر فى حذر وسرعان ما يفتش أحدهما ملابس الطبيب وبعد أن يستولى على محفظته يقتسم مابها مع زميله وكان أحدهما تعلم فى الكتاب القراءة قبل وفاة والده وهو صغير ولما قرأ بطاقة الطبيب صعق الزميل عندما علم أنه الدكتور مؤنس وارخى ذراعه فى حركة ندم وتندت عيناه بالدموع مرددا بصوت النادم شلت يدي لولا هذا الدكتور لكان عمي فى عداد الأموات الآن وسأله رفيقه أتعرفه ؟ فأجابه بصوت النادم الآسف ومن فى السعودية لايعرف الدكتور مؤنس صاحب القلب الكبير الذى يعالج الفقراء مجاناً ويصرف الدواء لمن يعوزه العون على حسابه ويسرح رفيقه مليا كمن استفاق بعد إغفاءة وتذكر أمراً كان نسيه من أزدحام متاعبه وهمومه وجرائمه وبصوت تختلط به أنفاس الندم يقول . . . آه تذكرت

الدكتور مؤنس مدير المستشفى ويضرب جبينه بيده مستطرداً لقد أنقذ حياة ولدى منذ شهرين لم يكن الدواء بالمستشفى فأشتراه من ماله الخاص إذ اصيب أبنى بالحمى وكنت بمرافقة الأرهابى صديق هذا الرجل المصرى الذى لا أعرف كيف تعرف عليه وسلمنا له لنكون تحت تصرفه وقد استرقت السمع يوما وكانا يتحدثان على مقربة منى وأنت نائم . . أن الإرهابى تعرف عليه فى القاهرة عن طريق صاحب لهما من كبار تجار المخدرات ولقد استطاع المصرى لأمر لا أدريه أن يتقن لغة أهل الحجاز ويحضر إلى هنا لأمر لا أدريه أيضاً والآن كدت أظن بأن هناك سراً حدا به إلى الانتقام من هذا الدكتور الطيب ولو عرفت قبل أن أرتكب جريمة الضرب فيه أن الطبيب الذى حمل أبنى فى عربته عندما لمح أمه تحمله على كتفها وهى تبكى من شدة الحمى وترفض أرساله إلى المستشفى لاعتقادها أن من يدخلها حيا يخرج منها ميتا ولكى يطمئن الأم أخذها وصغيرها إلى المستشفى ليشعرها بالطمأنينة ولم يدعه يخرج إلا بعد أن جدد ملابسه ومنح أمه هبة مالية عندما علم أننى على سفر ولم يدر الرجل الطيب أننى كنت أعاون مهرب المخدرات . . وتنفس العملاق الصعداء مجففاً دموع الندم مردفاً تبا لهذا الشيطان الذى دفعنى أقابل الإحسان بالاساءة وأخفى وجهه بيديه وهو يبكى مغمغماً كيف أكفر عن خطيئتى كيف ؟ فيقول رفيقه كلانا كان صنيعة الشيطان . . يجب أن نكفر عن خطيئتنا وذلك بتخليصه من براثن هذا المصرى الذى يماثل الإرهابى فى وحشيته . ولأكن أنا فداؤه وقبل أن يتحرك من موضعه قال رفيقه لن أتركك وحدك تتحمل مسئولية إنقاذه يجب أن نتأكد أولا من خلو الصحراء لكيلا يقبض المعلون علينا فيطمئنه رفيقه قائلا . . لقد سمعته يسر إلى صاحبه عبد الله فى الصباح قبل أن يجيء بنا إلى هنا أن ينتظره مساءاً على ناصية منزل الطبيب لأمر هام وأغلب الظن أنه يريد اختطاف زوجته فهلما ننقذ الطبيب لكى يسرع إلى زوجته وفى سرعة حملا الطبيب بعد أن بينا له حقيقة موقفهما وطلبا منه المغفرة وسارا به فى طريق مُعْتم لم يطرقها فايد وكان الطريق وعراً وشائكاً

وطويلا دفع العرق على وجوههم بغزارة وعندما استشعر الطبيب بأنهاك قواه وتعثر قدماه واضطراب قلبه أوصاهما إذا قضى الله فيه بقضائه قبل أن يصل إلى زوجته أن يتركاه ويذهبا إليها وكتب إليها رسالة لتتصرف بمقتضاها ... وبدل أن ييأسا من رحمة الله أكداله أن الله كفيل بحمايته وسوف يذهب إليها بنفسه وحملاه إلى مكان آمن تحت النخيل لا يطرقه غير الأعراب المؤمنين ولكى يسريا عنه راح يسرد كل منهما ما مر به من طرائف بعضها مضحك وبعضها مروع ولما استفاق الطبيب واسترد قواه إلى حد استأنفا المسير ولكيلا يستشعر الطبيب بمتاعب المسير ويهون عليهما التفكير فى مغبة الإفراج عنه سألهما عما حدا بهما إلى مسلكهما الإجرامى فقال أحدهما اقسم لك كنت تاجراً موفقاً سعيداً بزوجتى الجميلة قرير العين بأولادى فاذا لاح لى أحياناً انطواء زوجتى وإعتكافها ولكيلا تقابل الجيران بدعوى إنحرافها ناصحة إياى بعدم استقبال أصدقائى فى المنزل وبمكن مقابلتى فى المتجر ظنا منها أن ذلك يقلق راحتى وفجأة داهمنى رجال المباحث يفتشون متجرى وأسفر البحث عن وجود كمية من المخدرات بين بضاعتى يعلم الله أننى برئ وحوكمت ولم يكن أمامى من أوصيه بزوجتى وأولادى غير جارى الصديق لاعتقادى أنه خير مثل للمروءة والشهامة ومعاونتى فى أزماتى المالية وكل ما يحتاج إليه أولادى من خدمات إذا مرضت ومرت بعض أسابيع وإذا بأختى تزورنى دون زوجتى ولما سألتها عنها أخبرتنى أنها متوعكة بسبب الحمل وقد أمر الطبيب ألا تغادر الفراش إلا بعد الشفاء ولم يكن فى وسعى غير الدعاء إلى الله ليحفظها وتكررت زيارات أختى وحدها ومرت بعض شهور ولم تحضر زوجتى وخامرنى الشك إذ لم يحدث أن مرضت أثناء الحمل ووسوس الشيطان بعقلى فخيل إلى أنه غرر بها لجمالها فأنحرفت صارحت أختى بذلك فدافعت عنها بصدق وحرارة مؤكدة لى شرفها والمحافظة على اسمى وشرفى وأكدت لى فعلا أنها مريضة وقد نقلت إلى المستشفى لاجراء عملية إجهاض إذ يبدو أن حزنها على سبب موت الجنين فى بطنها وهالنى الأمر ونسيت نفسى وبراءتى وما لحق بى من ظلم

و إجحاف و استبد بى التفكير إلى حد دفعنى إلى محاولة الهرب وصارحت جارى نزيل الزنزانه معى وكنت قصصت عليه حكايتى واكدت له براءتى فشجعنى لإيمانه ببراءتى ولن يأخذنى الله بذنب الهرب ما دامت المباحث لم تتقصى الحقيقة إذا المفروض أن تراقب المتهم انه تاجر المخدرات أو من يتناولها تتم تحركاته وتصرفاته عن صلته بالمخدرات عن قرب أو بعد أما أن يكون مجرد ضبط المخدرات فى محل أو بيت فذلك لا يكفى للإدانة إذ كثيرا مايكون ذلك نكاية لأمر ما للايقاع بمن يضبط عنده وهو لا يعلم السبب كما حدث معى وهنا دافع الطبيب عن المباحث وقال أنها تنفذ القانون واستأنف الرجل قائلا .. النهاية بوسيطة زميلى السجين تسللت خفية ورحلت إلى الريف لكى أضلل المباحث واضطررت إلى الإقامة عند أقاربى خشية أن يرانى أحد بعد نشر صورتى فيقدمنى للشرطة للحصول على المكافأة ولاحظت أثناء إقامتى أنهم يتهامسون ويتكتمون أمرا فاشتد قلقى وطاف بخاطرى شبح الموت اختطف زوجتى فاشتد فزعى وبينما أحاول معرفة المستشفى التى تقيم فيها زارتنى خالتها العجوز وهى إمرأة لا تخفى سراً وراحت تقول : مراتك سبع ياولد.. عرفت تصون شرفها وشرفك.. آه المجرم كان لازم يموت حالا .. إنما ربنا قادر ان شاء الله ينتقم منه .. ولم اعرف بالضبط ماذا تعنى وسكتت عندما دخلت قريبة لى فنهرتها قائلة .. أناعارفة لسانك لا يسكت فقاطعتها استحلفك بالله ماذا جرى لامراتى .. فأقسمت وأردفت أنا عائدة من عندها الآن . . الحمد لله أجروا لها عملية لإخراج الجنين من بطنها بعد أن فشلت المحاولات لاجهاضها دون عملية لأن الجنين مات فى بطنها وعلقت العجوز .. لازم كان يموت وهى تقاوم الوحش ابن الشيطان وصعقت فقد ازداد الأمر تعقيداً وقلت بتوسل لقريبتى افصحى أنا على استعداد لسماع أى شيء مهما كان فظيعا وهنا دخل نسيبى فانسحبت قريبتى الشابة بعد أن قالت :: لم أقل شيئا خالتك هى التى أخبرته إن امرأته شريفة وعرفت كيف تنتقم وخيل

لنسيبى أننى عرفت كل شىء فربت على كتفى فى حنان قائلا .. إنه الآن فى المستشفى وسأعرف بعد خروجه كيف أنتقم لشرفى وشرفك فازددت هلعا وذعرا وسألت من هذا الشيطان وأخبرنى بما حدث وتركته يذهب إلى أخته وحده بدعوى أنها مراقبة الآن إذ يتوقعون زيارتى لها واقترضت منه مبلغا من المال وذهبت بعد أن ارتديت زى البدو مع تغيير شكلى إلى المستشفى الذى يقيم فيه المجرم واستطعت أن أتمكن من زيارته بدعوى إننى مضطر إلى السفر لليبيا ويتحتم على أن أودعه لأنه أخى الوحيد ومنحت الممرض الذى أجاز لى زيارته والبواب من المال ما يغرى على السماح لى وكان الوقت مساءا ونور العنبر مطفأ وقادنى الممرض إليه معتمدا على نور البطارية التى معه وكان نائما وتركنى الممرض وهو يهمس بعض دقائق أرجوك فقلت بصوت لم يسمعه إلاه . . حالا .. اطمئن . وسرعان ما قبضت على عنقه فى لمح البصر عندما فتح عينيه على ولمس يدى كانت روحه صعدت إلى المنتقم الجبار وخرجت ورحت أعدو متوغلا فى الأحراش البعيدة الممتدة مختفيا وراء الأشجار الكثيفة حتى استعدت قواى استطعت أن أركب سيارة تقلنى إلى قطار السكة الحديد وركبت وأنا شبه مذهول وان كنت راضى الضمير لانتقامى من جارى الصديق الذى حاول أن ينتهك عرض زوجتى التى استودعتها أمانة تحت حمايته ووقف القطار عند آخر محطة له ونبهنى الكمسارى فدلفت إلى الطريق يطاردنى شبح القتيل وان كنت لم أشعر بهزة الندم بل رحت أتنفس فى طمأنينة كأنه أفرج عنى فى التو ولكنى أخذت على وجهى متوغلا فى الجبال آنا ومتجولا فى الصحراء أحيانا واعتزمت أن أعمل أى عمل شريف أقتات به فى أى بلد بعيد حتى إذا استقر بى المقام أفكر فى وسيلة لاستدعاء زوجتى لتقيم معى حيث أقيم ولما اشتد بى الجوع وأنا اسير باحثا عن مأوى لمحت رجلا يسير الهوينا فلما دنوت منه أسأله ما يجود به لسد رمقى إذ كان المبلغ الذى معى نفد كله وسألنى عن حالى فلما قلت له أننى جئت السعودية لأقضى بقية عمرى فى رحاب

رسول الله (صلعم) إذ زهدت حياة المدينة الباطلة وأريد أن أعمل أى عمل يعينني على الحياة فأظهر عطفه على وعرض أن أعمل مع العاملين عنده لتوزيع تجارته وتسلل إلى نفسي بحديثه الذى بعث الطمأنينة إلى نفسي والثقة فيه فوافقت وأسبغ على كرما وفير العطف والمال ورافقني إلى متجر في اطراف المدينة وسلمني بعض الأقمشة لبيعها — متجولا — دون شرط قانعاً بربح ضئيل تاركا لى ما تبقى من الربح بعد سداد قيمة القماش الأصلى وحفزني هذا التصرف النبيل إلى مصارحة الرجل بخفايا سريرتي وسر هروبي وجريمتي فطمأنني وأكد لى حمايتي مادمت أعمل معه وبعد أيام أخبرني أن تجارتنا تضطرنا للسفر إلى جميع البلاد العربية وهو متزوج بأربع نساء تقيم كل زوجة في أحد الدول ليجد مسكنا مريحا ولأنه يأبى الزنا ونصحني بأن أتزوج بأى امرأة تروقني واترك له اختيار زوجة لى. ولكنني أبيت إذ بى طاقة تعصمني ولا أريد مطلقا أن أخون زوجتى وقد ضحت من أجلى .. وبعد أن نفد القماش الذى كان معى أخبرني أنه يتحتم أن نسافر إلى العراق ليحصل على بضاعة من هناك وصحبني إلى بيته التى تقيم فيه إحدى زوجاته فى بغداد وأضافني فى غرفة محكمة النوافذ وأوصاني أن أقنع بالمبيت والطعام وحذار أن أحاول رؤية أهل البيت لأن التقاليد العربية تحرم اختلاط الجنسين واحترمت مشيئته وصنت عهده ومرت بعض أيام وأنا حبيس الدار أنام وآكل حتى صعب على أن أكون عالة عليه. ولما صارحته بذلك قال أنه كان على وشك التحدث إلى وصارحني بأن ممول السعودية مسافر إلى إمريكا وهو مضطر تحت الحاح ضرورة العيش ومطالب زوجاته أن يتعامل مع ممول آخر وان كان لم يسبق له الاتجار ببضاعته فهى غير السابقة ولكنها كما يؤكد لى مربحة رائجة فقلت. أظنها ثمار أو بقول أوتوابل. فقال .. إنها أوفر ربحا من ذلك ولا تكلفنا غير الحرص والحيطة وسرعة الحركة فهززت رأسي ونظرت إليه بمعنى عدم الفهم فعاد يقول .. إنها تجارة موقته ريثما يعود ممول السعودية بدل أن نجوع ونتسول وقد لا نجد

من يمد يده إلينا كما مددت يدى إليك وكنت يومئذ وفير الرزق وصورلى ما يمكن أن نتعرض له من آلام الفقر ومساوئه وتندت عيناى بالدموع وأنا أردد قول سيدنا على رضى الله عنه – لو كان الفقر رجلا لقتلته – ولم يتركنى رفيقى إلا بعد أن وافقت قائلا فى نهاية حديثه .. ولتكن أى بضاعة ..إنها تجارة على أى حال وقد بارك الرسول (صلعم) فى التجارة .. وتنهد الرجل مرددا .. لعنة الله على الشيطان .. لست أدرى هل الشيطان تقمص كيان هذا الرفيق فسيطر على أم أنا وهو ضحايا الشيطان .. وهنا لاح لهم أجسام من بعيد فهمس الطبيب فى حذر يبدو أننا سنقع فى المصيدة مرة أخرى ، الله معنا .. ليتها تكون دورية فيعلق أحدهما يكون من حسن حظنا إذ يمكن القول أنها داهمتنا وفجأة يتراءى إليهم صوته فيقول الآخر كدت أقول ذلك .. أنه داهية شيطان فى جسم انسان وكأن صاعقة تنزلت عليهم فاختفوا وراء الأحراش ثم تجلى صوته وهو يخاطب تابعه وكما يسميه .. صفيه لابد أن ننهى الكوخ مساء اليوم لأفتتحه بزوجتى سأعيدها إلى .. وسوف املأ كأسا من دمه أحليه بالسكر لأسقيها منه قطرة وأشرب منه أمامها ولن تعرف أنه دمه إلا بعد أن تشربه .. أنه الآن فاقد الوعى من فرط التخمة ويقهقه ساخراً بينما يعقب تابعه ضربة واحدة من سياط صاحبى تكفى لشل حركته إلى الأبد وتتلاشى هذه الأصوات فيطمئن الطبيب ويقول أحدهما وهو يجذب يده مسرعا فى الطريق لاشك أن عربته تنتظره هناك فى مكان ما إذ موعده بعد العاشرة مساء التسلم بضاعة من الغرب .. هيا لنذهب إلى منزل الدكتور فيقاطعه رفيقه .. أتريد أن يذهب بنا السائق إليه فيعلق صاحبه أن سائقها صديقى وقد تبادلنا الخدمات ضده ويبدى الطبيب عدم ارتياحه لهذا الاقتراح قائلا .. لا أظنه يقف مكتوف اليدين سوف يبحث عنكما ولا أريد إيزاءكما فعاد أحد الرجلين قائلا.. اذن يعود بنا صاحبك السائق إلى الكوخ قبل أن يصل وسأعرف كيف أتصرف ومر بذهن الطبيب فكرة فسأل صاحب السائق أتثق فيه ويمكن أن يخدمنا وله منى

مكافأة مالية كبيرة إذا نجحت مهمته .. فأكد له الرجل ثقته فى السائق .. وأثناء عودتهم بالعربة إلى الكوخ حيث كانوا كتب الطبيب رسالة وأشار فيها بما أراد أن يقوله وسلمها للرجل لكى يسلمها للسائق ليسلمها بيده إلى المرسل إليه .. ولم يكد يأخذ كل منهم مكانه حتى عاد إليهم فايد فأبدى ارتياحه عندما رأى الطبيب مرتميا على الأرض كأنه فاقد الوعى وركله بقدمه قائلا هل انتهى ؟ أم مازال فيه بقية من حياة فقال أحدهما إنه على وشك الموت وعلق الآخر قبل أن أقضى عليه توسل أن انتظر ربما تعود ولعله أراد أن يقول لك شيئا قبل مماته قال : إذا نبهوه . فلما استفاق اصطنع الخضوع وقال وهو يبتلع لهاثه سأكتب لك ما تريد .. وقهقه فايد بصوت المنتصر قائلا .. أنك رجل عاقل لا يصح أن تهدر دمك فى سبيل امرأة وكما خانتنى فسوف تخونك .. ثم استكتبه الإقرار وغادره ليشرف على إتمام بناء الكوخ بعد أن اختلى بصفيه وكلفه بمهمة يقوم بها على الفور . وبعد أن سمح للطبيب بتناول الطعام مع الحارسين وكان حمل إليهما بعض الأطعمة .

مفاجآت

تسلمت — مسرة — الرسالة من رجل تجهله متظاهرا بأنه لا يعرف فحواها . بعد ليلة سوداء عاشتها تحت ضباب كثيف من الخواطر السوداء وقد تخيلت كل حدث فظيع إلا ما جاء في هذه الرسالة وراحت تعيد قراءتها وكلما طالعتها إزدادت هلعا واضطرابا وكادت عيناها لا تتبين الحروف من انهمار الدموع ووقعت الرسالة تحت قدميها من ارتعاش يديها وفقدت اتزانها مستسلمة للبكاء الدامى صارخة متقطعة الأنفاس — وباه رحمتك .. وسحبت الخادم الرسالة وقرأتها بعد أن استأذنتها إذ كانت تعاملها كأخت وهالها بدورها الامر ولكنها تماسكت نفسها لكيلا تزيد من هلع سيدتها وقالت بصوت يخفي عبراتها لتخفف من الصدمة .. إنه يداعبك ثم ضحكت مردفة ... أنسيت أن اليوم أول أبريل ... ما أسوأ تلك العادة التي يتعلق بها بعض الناس يكذبون أول أبريل .. وكثيرا ما تودى الكذبة بحياة البعض وتنبهت مسرة...وقالت بلهجة مسحت أساها..صحيح..اليوم أول أبريل ولأول مرة يكذب سامحه الله أوشك أن يقتلني وشاعت البسمة على محياها فعانقتها الخادم مقبلة جبينها وهي تقول اسمحي لى أن الومه على هذه الكذبه التي جـــاء بها من مصر . . وحمدا لله لأن أبناء السعودية لايألفون هذا المزاح المغيظ باسم الكذب ولم تكد تستعيد بشرها حتى تسمع طرقا على الباب فلما تفتحه الخادم وتجد رسولا يعلن انتظار السيارة أمام البيت لتكون تحت تصرف السيدة للرحيل ، وتوقن الخادم ان الأمر جداً لا هزلا عندما تطل من الشرفة وترى السيارة وكأن الكارثة تنزلت فقد كان تعلقها بسيدتها عميقاً لما توليها به من عطف وبر على أنها اضطرت أن تبلغ رسالة الرسول ودموعها تسبق كلماتها من فرط

الأسى والحزن وكان لابد أن تنفذ مسرة ما جاء بالرساله فراحت تجمع حاجياتها الخاصه الضرورية وهى لا تدرى ماذا تأخذ وماذا تدع وسألتها الخادم علام عولت ؟ قالت يجب أن أعود إلى بلدى فوراً قبل مقدم فايد فقالت الخادم بلهجة حانية صادقة لا تتعجلي يا سيدتى لا بد من التريث إذ يحتمل أن يكون أحد العظماء أغراه ليزوجه ابنته وقد يكون الشيخ الذى رافقه من أجل حالة وضع فقد أخبرنى الممرض أنه كان يتعجله. أنه يحبك ويعبدك ولا يمكن أن يتخلى عنك . صدقينى .. فى الأمر سر..... وتنظر إليها مسرة بعينين دامعتين قائلة . . لا ياهاله لقد طلقنى وانتهى الأمر أولم تقرأى الرساله . وتوسلت إليها الخادم لتثنيها عن عزمها ودعتها للإقامة معها فى بيتها وهى وان كانت فقيرة ولكن بيتها المتواضع نظيف منتظم وستجد فيه الراحـــة ريثما يعود إلى رشـــده وهى موقنة أنه سيندم ويعود إليها حالا وتشكر لها مسرة أخلاقها ويصعب عليها أن تذل نفسها وتكتب إليه رسالة راجية منها أن تسلمها اليه .

. . .

سيدى .. لتكن مشيئة الله فلا راد لقضائه .: أتمنى لك السعادة والتوفيق فى حياتك المقبلة لقد تركت الأثاث والتحف وكل ما فى البيت كما هو ولم آخذ غير ملابسى الخاصة فاذا لم يرق لك أن تعيش مع الماضى فى أحضان الحاضر قدم أثاث البيت وكل ما به هدية منى إلى العروس التى تزف فى هذا الشهر . سيان أرسلت قسيمة الطلاق أو لم ترسلها فلن أتزوج وحسبى ذكرى أيامى الهنيئة التى قضيتها بجوارك .. سأقول لولدك أن قدر له أن يواجه الحياة أنك على سفر تكافح من أجل تنمية أواصر الحب بين السعودية ومصر وسوف أعلمه كيف يحبك حتى إذا اشتد إزاره وعرف كيف يسلك الطريق وحده فسوف يجيئك ليراك فى أى مكان تكون إن مد الله فى عمره .. اطمئن سأعنى به ليكون رجلا ممتازاً جديراً بالانتساب اليك .

اوصيك خيراً بهالة فهى مؤمنة مخلصة تتقى الله فى عملها وقد تركتها لتحرس البيت حتى تلقاك وتركت معها الحلى التى أهديتنى إياها هدية منى لعروسك .

ودمت بخير وسعادة لنفسك ولما تحب ولمن عرفت الحب بك وذاقت ثمالته منك » (مسره)

وودعت الخادم وداع حب ووفاء راجيه منها ان تراها فى القاهرة تاركة لها العنوان الذى يمكن أن تهتدى به إلى مقرها حيث تكون وركبت السيارة موقنة انها ستحملها إلى المطار كما جاء فى الرسالة وتقطع السيارة طريقا متشعب المتعرجات والمسالك وفى مفترق إحدى الطرق يتوقف السائق ليركب رجلا بملابس الأعراب ولا يظهر من وجهه غير أنفه ليتنفس به ويأخذ مجلسه بجوارها دون كلام وعندما تبدى اعتراضها على سوء تصرف السائق وجرأة الأعرابى يقول السائق لاضير ياسيدتى فأزمة المواصلات تحتم على المواطنين التعاون فتقول بلهجة حادة ... أنا فى السعودية ولست فى مصر وهنا تحرم التقاليد هذا التصرف الشائن أنسيت ذلك وتستشعر برعدة مخيفة تهز بدنها وتفقد أعصابها وهى تخاطب السائق بلهجة صارمة ... قف وإلا صرخت لأنبه المارة على سوء تصرفك فلم يأبه السائق ومضى مسرعا إلى أقصى حد حتى خيل إليها ان السيارة سوف تنقلب وهى تقطع الصحراء كأنها تسابق الموت . . وازداد هلعها عندما ايقنت ان هذا التيه المخيف غير الطريق الذى قطعته عندما جاءت مع زوجها وقالت بنبرة الخوف .. ليس هذا طريق المطار وكأنها تخاطب نفسها فلا السائق يجيب ولا الجالس بجوارها يتكلم كأنها فى وادى وهما فى واد آخر ويخرج الجالس بجانبها زجاجة عطر كما يبدو من مظهرها ويصوب منها رشاشا وهو يقول . الطريق هنا به ميكروب ويقرب العطر إلى أنفها رغم محاولتها تحويل وجهها عنه ... ولم تلبث حتى تغيب عن وعيها وسرعان ما تقف السيارة أمام كوخ بنى حديثا كما يبدو وسط صحراء قاحلة ليس فيها غير نخيل متناثر فى غير تنسيق بعيدا عن الكوخ وعلى مقربة منه نخيل تجمع كأنه كلمات مرسومه تسبح بغير صوت

مع كواكب السماء باسم الله ويحمل الرجل مسرة بين يديه ليدخلها الكوخ الذى فرش أرضه بسجاد وينبهها وبرائحة منعشة أيقظتها فى بطء ولم تكد تستفيق وتنظر أمامها حتى تصعق لمرأى الرجل وتشعر برعدة تزلزل جسمها مغمغمة مذعورة . وبلهجة الهلع فى ذهول أين أنا ؟ وفى هلع تسأله من أنت ويبتسم قائلا : أنا ظلك أينما كنت أكون . وتنفعل مذعورة بلهجة الهلع تقول هذا الصوت له أثر فى أذنى لكن ليس ذلك معقول .. فاقترب منها حتى كاد وجهه يلتصق بوجهها ورفع المنظار وخلع غطاء رأسه وقال : الرغبة يامسرة تجعل المستحيل ممكنا فأخفت وجهها بيديها صارخة بصوت مكتوم : أتراني فى حلم . . أى كابوس هذا الذى تجسم أمامي فقاطعها سميني ما شئت كابوساً . أو كما قلت شيطاناً .. المهم أن تشعرى بوجودى . . فأردفت كيف حدث هذا ؟ أى من أصابني وأعادنى إلى ماضى المظلم فقاطعها .. قولى ما شئت حسبي أن أراك أمامي ماثلة هكذا . . وسوف تشعرين بى المهم لا تغلقى قلبك بالأوهام ... أنظرى فى عينى ثم كشف عن رقبته وهو يقول : هذا الجرح الذى ضمدته بيدك يوم ضربنى الصديق المخمور بالمطواه لأننى ربحت ماله كله.. وبنظرة فاحصة تأملت عيناه الزرقاوان وحاجباه الغزيرتان ذات اللون الأصفر الداكن مثل شعر رأسه الكثيف الغزير وجفونه المنتفخة من الإدمان على الخمر والمخدرات وبصوت مخنوق الأنفاس صرخت فى وجهه . . الآن فهمت أنك كما أنت أيها الشيطان وبلهجة فيها نبرة المقاومة والاعتداد أردفت .. لن تنالنى إلا جثة هامدة لقد انتهى ماكان بيننا وأنا اليوم زوجة لرجل شريف نبيل . . فظل ساكنا والابتسامة تهوم على ثغره حتى انتهت من كلامها قال : أنه لم يحبك كحبي لك فقاطعته حب الأسد لفريسته حتى يأكلها فكظم غيظه وهو يقول لقد سرقك منى ومن حقى أن أسترد ماسرقه أما هو فسوف آتيك برأسه حالا . . ثم نادى على تابعه ليحضر لها الطعام فأشاحت بوجهها والدموع تغمر وجنتيها فاقترب منها راجيا فى توسل

أن تتناول معه فأقصته بيدها فى عنف بغته فارتمى على ظهره وهى تقول :
أن أظافر القطة تستطيع أن تحول أقوى وحش إلى بحيرة من دماء فضحك
فى استخفاف قائلا : إذا حاول أن يفترسها رغما عنها ولكن اطمئنى
واستعيدى رباطة جأشك وهدئى روعك فلن أنالك إلا راضية مطمئنة بعد
أن أخلع رداء الشيطان الذى اضطررت إلى ارتدائه وأسير فى ركب المدنية
فإذا بى أقذف بنفسى فى أتون لاينطفىء وقبل أن تتكلم يترامى إلى مسمعه
نباح كلاب وعهده بهذه المنطقة خالية من الإنس والحيوان انها صحراء
شبه مهجوره لم تمتد يد التعمير إليها بعد ولم يجرأ الأعراب على المرور فيها
خشية وجود وحوش تسكنها من زمن بعيد ولايعرف مسالكها غير مهربى
المخدرات واللصوص [و]الهاربين من العدالة لذلك ارتجف ولكنه
استجمع شجاعته لكيلا تندفع إلى الخارج فتكشف أمره . . ولم يدر ما حدث
منذ غادر الطبيب ومن معه فقد أسرعت المباحث لانقاذ الطبيب بعد أن
سلمها السائق رسالته وكان لابد أن تبحث عن الزوجة بعد أن علم الطبيب من
الخادم تركها المنزل واعتزامها الرحيل وأدرك الطبيب اختطاف فايد لها وهى
فى حيازته الآن ولم تغادر السعودية لعدم قيام طائرات فى هذه الفترة
ولجأت المباحث إلى الكلاب البوليسية مستعينة بالحارسين لتعرف المخابىء
الذى يأوى إليها الزعيم كما يسمى ورجاله . . . ولم تمض مدة حتى حامت
الكلاب حول الكوخ وراحت تنبح نباحا يشير على أن الضالة المنشودة فى
هذا الكوخ وسرعان ماحاولت المباحث مداهمة الكوخ . . لكن من أين
تدخل أن جوانبه كلها من جذوع النخيل متراصه فى أحكام كأنها أعمدة
ملتصق بعضها ببعض وليس فيها مايشير إلى فتحة توصل إلى الداخل واضطروا
إلى نزع جذعين ليتمكنوا من الدخول واستغرقت هذه العملية وقتا طويلا .
واشد ماأذهلهم خاو المكان ولا أثر لوجود أحد كان به وأخذت المباحث على
عاتقها البحث عن الزوجة والمجرم وأباحت المطار ونصحت الطبيب أن يعود
إلى عمله تاركا البحث لهم ولم يستطع الطبيب أن يستأنف عمله لسوء حالته

النفسية واضطرابه واضطر أن يعود إلى البيت ولم يكد يستقر حتى طرق الباب فلما فتحته الخادم وجدت سائلا يطلب كسرة خبز فلما سألها الطبيب من الطارق قالت سائل يطلب كسرة خبز قال أدخليه وهيئى له العشاء كاملا كأنه لى ويزيد . . وتستجيب على مضض لأنها لاتطمئن إلى هذا اللون من الشحاذين إذ فيهم من ينتحل هذه الشخصية ليعرف مدخل البيت ومحتوياته ثم يسرقه . . . وقدمت له الطعام فأكل وتناول الشاى وظل فى مكانه لايتحرك ولايجرؤ على الكلام فطاف بخاطر الخادم ماكانت تخشاه وهمت بمصارحة الطبيب وقبل أن تفعل تقدم إليه الطبيب ليشعل له السيجار ويقدم إليه مبلغا من المال يستعين به على قضاء حاجته فى اليوم التالى وصارحه لولا أنه فى محنة تحول اليوم دون مساعدته فى إيجاد عمل يكفل له العيش لأمكنه الاتصال بمن يهمهم مساعدة أمثاله على أنه يأمل أن يفعل ذلك وطلب اسمه وعنوانه لكى يتصل به إذا حانت الفرصة . . . ووجد الطارق نفسه فى مأزق . . ماذا يقول وبدا مرتبكا وبصوت ينم عن الحدة قال .. لن أنسى جميلك هذا ياسيدى جزاك الله خيرا وهنا ترامى إلى مسمعهما صوت المؤذن للصلاة فقال له الطبيب . . . هيا توضأ لنصلى سويا . والله معنا . .

وشعر الطارق بمشاعر لاعهد له بها تتسلل إلى أعماق قلبه وكأن نورا علويا أضاء ظلام نفسه فاندفع دون تردد متجها صوب دورة المياة حيث أشار الطبيب وتوضأ ووقف ليصلى وبعد أن انتهى من صلاته انتابته نوبة بكاء فيه نشيج واستغفار وكان الطبيب جلس على مقعد يدعو الله سرا حماية زوجته . . وفهم الطارق مايجول بخاطر الطبيب فجلس عند قدميه وضرب يديه وراح يقبلها والدموع تسبق القبلات ورفعه الطبيب ليجلس بجواره وسرح كل منهما فيما يشغله حتى قال الطبيب أتحب أن تنام هنا حتى الصباح : أنا وحدى وسوف تهيء الخادم لك منامة لأنها ستتركنا بعد حين وحالتى لاتسمح لى الليلة برعاية المرضى فنظر إليه الطارق نظرة إكبار وإجلال وقال . سأمكث حتى تخرج الخادم وقد أخرج بعد حين . . وبلغ هذا الحديث

مسمع هاله فانزعجت ونادت سيدها بدعوى مكالمة تليفونية وهمست فى أذنيه أنا لست مطمئنة إلى هذا الطارق لن أتركك وحدك وتركته لكيلا تترك له فرصة للاعتراض . . . فلما عاد إلى مجالسة الطارق دخلت عليهما لتقول . . لقد اتصل بى أخى تليفونيا وكلفنى بالمبيت هنا لأنه سوف يستضيف صديقا له . فقال الطبيب انتهزى إذن هذه الفرصة وأمضى الليلة عند أختك المريضة فقد طلبتك ودار بينهما حوار هادئ لا يفهم مرماه سواهما هي لاتريد أن تتركه وحده وهو لا يخشى الطارق . . .

وإزاء إصراره أشعرته بتنفيذ أمره ولكنها تسللت فى حذر وتمددت تحت أريكة فى الصالون دون أن تستسلم للنوم ولما شعر الطارق بخلو المسكن إلا منهما قال له . . لقد استجاب الله لك عندما دعوته أن يكون معك قال الطبيب أنى أدعوه أن يكون معها إذ أشد ماهى فى حاجة إليه الآن . . قال الطارق . . أتعرف لماذا جئتك ؟ قال الطبيب تطلب كسرة خبز . . فهز الطارق رأسه وهو يقول بصوت خفيض احمد الله الذى تاب على وردنى إليه فخيل للطبيب أن ماقالته هاله حقا وأنه عاد إلى إيمانه ودينه لكنه نظر إليه فى هدوء وقال . . حفظ الله لك ولنا الإيمان والدين فقاطعه الطارق .. لست من أجل كسرة الخبز جئتك ياسيدى .. جئت لآخذ رأسك وأقدمها فى طبق من البللور إلى زوجتك .. فاصفر وجه الطبيب وغالب انفعاله وهو يقول ماذا تعنى ؟ . . . فضحك الطارق طويلا ثم تمالك نفسه وقال : الطعام الحلال الذى أكلته والصلاة التى رفعت الحاجز الذي كان قائما بينى وبين الله ومسلكك معى النبيل الكريم كل ذلك أزاح الستار الكثيف الذى كان يفصل بينى وبين الله .. فلمه تنزل على نوره هنا تبدد ضباب الاجرام . . . وعدت كما ولدتنى أمى طاهرا مبرأ من كل سوء .. صدقنى ياسيدى .. لقد جئتك لاحمل رأسك إلى زوجتك حيث تحبسها شيخنا هناك فى كوخ ابتنيناه خصيصا لها لفترة وجيزة حتى يتخلص منك

ويعقد عليها . . وحاول الطبيب أن يتفكه ليهون من هول الموقف فقال . :
هاهى رأسى أيها ألاخ مادامت ستحظى هذه الرأس بلقياها . . ثم لزم الحد
وأردف . . ولكن هل لديك الشجاعة للحصول على هذه الرأس ... قال
الطارق . . . الأمر لايحتاج إلى شجاعة إنما يحتاج إلى دهاء وشيطنة قال
الطبيب ولماذا أحجمت . . قال الطارق . . قلت لك لأنك مزقت الستار
الذى كان يفصل بينى وبين الله فرفع الطبيب وجهه إلى السماء وقال :
سبحانك ربى بغيرك لاينتصر الحق ثم تكلف بسمة ليخفى أساه وقال هب
أن الخادم أغلقت الباب فى وجهك دون علمى فكيف تصل إلى تنفيذ
ماتريد . . . قال : المألوف لايرد السائل . فإذا دخلت الخادم تسللت
فى سرعة واختبأت فى أى مكان خفى بالمسكن فإذا خرجت ولم تجدنى
ستظن أنها ابطأت وأننى عرجت على مسكن أخر فاذا أويت إلى فراشك
واستغرقت فى النوم قربت مخدر من أنفك لكيلا تستفيق . . . وهنا أقتلك
بمسدس ناولنى إياه الشيخ بغير صوت وفى الصباح أقف فى الشارع مع
المتجمهرين لاشيع بين الناس انك انتحرت لهروب زوجتك مع عشيق لها
وبعد تحويل جثتك إلى المشرحة سأرتدى زى ممرض أعده لى الشيخ فإذا خلت
المشرحة إلا منى قطعت رأسك ليقدمها الشيخ لزوجك وهنا انتصب الطبيب
وعانقة قائلا . . لامن أجل عدم تنفيذ قتلى أبارك ولكن لأنك عدت إلى
الله ولك منى مبلغا كبيرا تتاجر به لتعيش عيشة الأشراف والآن ماعساك فاعل
لتحمى نفسك من شيخك قال موعدى معه بعد منتصف نهار اليوم التالى
وحتى هذا الوقت أكون أرشدتك إلى طريق إنقاذ زوجتك فى هذا الوقت
بدأت المباحث فى مداهمة الكوخ الذى كان يقيم فيه فايد ومسرة استطاع
أن يخدرها بالخطر المخدر الذى يحمله دائماً معه وحملها إلى مخبأ تحت أرض
الكوخ أعده للطوارىء ولا يمكن اكتشافه وبعد التأكد بوسيطة جهاز لاسلكى
ينقل الأصوات عن قرب أو بعد من انصراف المباحث يعود بها إلى داخل

الكوخ وعندما حاول تنبيهها لاحظ أن تنفسها غير طبيعي وقلبها تختلف دقاته بين الضعف والسرعة وبدت كأنها محمومة وبعد أن حاول تنظيم خفقات قلبها بالتدليك فتحت عيناها عندما أحست بوهج أنفاسه يقترب من وجهها واعتدلت مذعورة وجلست القرفصاء لتحمى نفسها فلم يتراجل قائلا . .مسرة انقذى نفسك وانقذيني معك لم أعد أحتمل الحياة بدونك فقاطعته بلهجة جافة صارمة انك تطلب المستحيل لم أعد أملك نفسي فأحمرت عيناه وانتفخت أوداجه وكاد يقبض على عنقها لولا أنه قاوم غيرته وحقده وقال فى إصرار . إذن حكمت على نفسك بالبقاء هنا حتى نهاية عمرك . . لن ترى غير وجهى ولن تسمعى غير صوتى . . تحت إرادتى والأيام كفيلة بخضوعك لمشيئتى . . . لست فايد العاطل الذى عرفته . . أنا الآن من كبار الأثرياء . . ونزع رباطا من على وسطه وبسطه أمامها فتناثر منه الوف الجنيهات فلم تنظر إليه وظلت تنظر بعيداً كأنها ترقب مقدم زوجها متناسية أنه غرر بها فعاد يقول ليخرجها من سروحها غداً سنرحل من هنا لنعود إلى وطننا فقالت بلهجة حاسمة لن أرحل معك إلا جثة هامدة قال : إلى هذا الحد تكرهيني قالت إلى أقصى حدود الكره والاحتقار أمقتك بقدر ما أحبه رغم كل شىء أنا أعرف أن عنقى الآن تحت حبل المشنقة وأنت جلادى والمحكوم عليه بالإعدام لا يهاب جلاده لأنه موقن بأنه سيموت حتما . . وهنا لم يتمالك نفسه فى غضب وقد أحتقن وجهه من فرط الغيظ : قائلا حذار أن تمزقى ما تبقى من أعصاب احتمالى بعنادك وحذار أن تثيرى عاصفة التحدى فترغميني على أن أخضعك لرغبتى فحكمى عقلك ثم استلقى على ظهره إذ شعر بالنوم يسيطر عليه وكاد الليل يمضى وهو يغط فى نوم عميق ووجدت الفرصة سانحة لتهرب وراحت تبحث عن مخرج فلم توفق ومضى الليل وفى أثره منتصف نهار اليوم وهو لم يزل نائما كأنه من أهل الكهف . . ونفذ شعاع الشمس المتوهج من بين أعمدة النخيل القائم عليه الكوخ فنبهه فتحرك وتمطى وتثاءب وحول وجهه نحوها فإذاهى

ملقاة على الأرض والدم يسيل من ذراعها والمطواة التى كانت معه بجانبها وأدرك أنها حاولت الإنتحار بقطع شريانها ولكن يدها لم تصب الشريان. وإن كانت جرحت الذراع وصرخ مذعورا . . أتموتين فى الوقت الذى أحببتك فيه . . وأوقف النزيف برباط رأسه ولم تكد تعى ما حولها حتى ترامى إلى مسمعه صوت الصفير الذى سبق أن أوصى تابعه بأن يكون رسالة تنبيه له عندما يعود بعد الإنتهاء من مهمته التى كلفه بها وفتح الكوخ بطريقته التى لا يعرفها سواه وقبل أن يتكلم قدم إليه التابع رأسا ملفوفا بقطعة من القماش على طبق ثمين قائلا : ها هى الرأس لقد كلفنى هذا العمل جهداً وصعوبة فوق التصور فوعده فايد بمكافأة مجزية ونزع القماش ليرى الوجه ولكنه لم يستطع إذ أنتابته قشعريرة ردت بصره على أنه تماسك نفسه واسترد رباطة جأشه وحمل الرأس ودخل على مسره قائلا بصوت تنبض نبراته بحرارة التشفى المكتوم . . ها هو ملاكك وقتيلك ووضع الرأس فى زهو كأنه انتصر فى معركة حربية وحمل رأس قائدها ليباهى بالنصر واستطرد: لقد حطمت الحاجز الذى كان يفصل بينى وبينك وأرى من حقك أن تلقى آخر نظره قبل أن تأكلها وحوش الصحراء. وسكت ليسمع ماذا تقول ولكنها لم تتكلم وظل نظرها عالقا بالوجه الذى انتفخ انتفاخاً اضاع معالم لحاته وكسته الدماء فلم يظهر لون بشرته . . ثم زاغ بصرها وصرخت صرخة فقدت معها وعيها وبانت عليها أعراض الجنون فى التو وراحت تخبط رأسها بحائط الكوخ ممزقة ثيابها محاولة أن تنشب أظافرها فى عنقه كلما اقترب منها .. وفجأة غمرها دم الإجهاض ووقف مذهولا لا يدرى ماذا يصنع بهذه المجنونة أيتركها حتى يقضى الله بقضائه فيها وبجانب هذه الحيرة شعر بارتياح لتخلصها من الجنين الذى كان يربطها بالطبيب وبذلك أصبحت له وحده وتحولت رغباته الغائرة إلى برود. وبات وهج عواطفه الملتهبة رمادا وتحول دون وعى إلى طفل وقد بدت مسره فى ناظريه غير مسره الزوجة التى عرفها وبانت كأنها أمه فلم يحاول أن

يقاومها إذا أقبلت عليه لتضربه فى عنف أو تخبط رأسها برأسه أو تنشب أظافرها فى عنقه شاعرا بلذة وهو يرى الدماء تسيل من رقبته متمنيا لو أن ذلك يعيد إليها عقلها محاولا جهده أن يلاطفها برفق وحنان عساها تنسى رأس الطبيب القتيل ولكنها لم تعد تذكر أى شيء غير هذه الرأس الماثلة أمامها رغم أنه أخفاها فى حفرة بعيدة عن الكوخ : : ومع أن روح الإنسان الملائكى تنبهت فى صدره واكتسحت روح الشيطان ولكن مع الأسف بعد أن أصبحت مسرة جسما آليا يتحرك دون وعى ويتكلم دون فهم قلبا ينبض حرارة الدم يسرى فى شرايينه أما المخ فقد تعطلت سيطرته ولم يعد يربطه بالحياة غير العصب المتصل بالقلب الخاضع لمشيئة الله . .

لقد ظن أنه بقتل الطبيب سينتصر وينالها فإذا به يفقدها ولا يملك شيئا منها غير ماآلت إليه فى شبه آلة تتحرك بلولب كأنه ميكانيكى وفقد بدوره نفسه فبات آدميا لا حول له ولا قوة وباتت نظراتها الزائغة الشاردة توقظ الرعب والفزع فى أعماقه وتحوله من عملاق مخيف مرعب إلى طفل يشتهيها ويتمناها ولا حيلة له غير الخضوع لما قدر عليها وعليه وخيل إليه أن الساعات تمر بطيئة مملة وقد توقف عقرب ساعة تفكيره فلم يعد يفكر فى شيء غير رد عقلها لكى تعيش معه فى أى مكان . : . أما هى فلم تعد تعرف ما الزمن وما الحياة وما الموت . . لقد مزقت الصدمة الإدراك الذى يميز بين مختلف ما يبدو أمامها وأصبحت الدنيا فى ناظريها باهتة جرداء لا لون لها ولا بهاء خلاء مطلق وسكون شامل صخب وضجيج وازدحام ودماء تصبغ كل ما يتراءى لها : : اشتباك بين الوجود والعدم يتحرك كأن موتور يحركها والموتور الذى يحركها لهب مشتعل فى الرأس وأنفاسها كلمات ترددها فى هدوء كأنها تعنى ما تقول أيظن أنه قتلك ؟ لا أنت لم تزل حيا . : وستظل حيا وكأنه ماثلا أمامها فتسأله أعرف أنك مشغول بمرضاك الله معك . . وينظر فايد إلى حيث تنظر وكأن نوراً علويا انطلق كالصاروخ نافذاً إلى أعماق قلبه فاستشعر برهبة وحسية وإذا به يستغرق بحسه وخواطره

فى النور الإلهى الذى ملأ الكوخ ولا يدرى من أين انبثق مع أنه محكم السقف والجوانب ويعاود النظر إليها فإذاهى ساكنة تتنفس فى بطء فهلع ويتحسس نبضها فيزداد فزعاً لعدم إنتظامه ويفسره بعدم تناولها الطعام منذ جاء بها وعندمايهم بإعداد مالديه من طعام يتذكر الأرنب الجبلى الذى اصطاده. وكان كلف تابعه بإيقاد النار لكى يشويه وبلغه الصفير المتفق عليها بينهما يطرق التابع الكوخ ثم يقدم له الأرنب وفى سرعة أعد لها وجبة شهية وراح يلاطفها وينبهها لتتناول الطعام ولم يدر كيف تسلل رجال المباحث وكيف اهتدوا إلى معرفة الباب السرى . . ولم يروعه مداهمة المباحث له بقدر ما روعه رؤية الطبيب الذى قدم إليها رأسه .

وماهى إلا ساعات حتى كانت مسرة تحت رعاية زوجها الطبيب وأودع غايد السجن ريثما يحول إلى جمهورية مصر العربية لمحاكمته وفقا لقانونها .

فى سبيل الاصلاح

على أثر ما نشرته الصحف من أنباء حوادث فايد التى قام بها فى مصر والسعودية مسوقاً برغبة طائشة للأخذ بثأر لا أساس له . . قرأت — انسجام — تفاصيل حوادثه وساءها إنها هى التى دفعته إلى ذلك الإجرام ولولاها لما عرف زواج مسرة بالدكتور مؤنس وشعرت بالندم وتبكيت الضمير ولاعتقادها أن الأمر لم يعد يهمه ظناً منها أنه نسيها ولم تدر أنها نبهت حقده واعتقاده إن مسرة خائنة وهى على ذمته وتركز هذا الظن فى ذهنه وغمر مشاعره بضباب كثيف من الكراهية للطبيب وضرورة الانتقام منه ومع أنه كان لا يأبه للشرف والكرامة وهى على ذمته ولكن إعراض مسرة عنه وإيثار الطبيب عليه نبه فيه إحساساً جديداً لم يكن يشعر به من قبل . ووجدت انسجام نفسها مسوقة بدافع تأنيب ضميرها إلى ضرورة التفكير عن نقل خبر الزواج فى صورة غير مشرقة لاتنتمى إلى الشرف والكرامة بصلة ولم تشأ انسجام إن تبادله غدره حينما تنحى عنها وسافر إلى السعودية بالعقوق . . فراحت تزوره فى السجن وفتحت زيارتها رتاج نفسه الذى أغلقها على همومه التى لا تحد وشعر بحنين إليها ورغبة صادقة فى التفكير عن غدره بها دون مبرر وخصوصاً بعد أن تنكر له كل معارفه من الجنسين وكان فى الأمس معبد آمالها وقبلة مشاعرها يوم كان بيته ملهى لهم وبدأ يستشعر بلذة وفاء انسجام فى وقت عز فيه الوفاء وفتح السجن أمام بصيرته آفاقاً من الفكر والحس لا عهد له بها فيها منطق وفيها فلسفة وفيها تأمل حتى إذا غمرته خواطر هذه الانفعالات الطارئة تخاذل من فرط التحسر والألم واستسلم لتفكير عميق فيه رغبة صادقة للتوبة بعد أن تسلل نور الله إلى قلبه فى الكوخ وها هو يواجه الحياة على حقيقتها فى السجن فهى على سعتها لا تختلف عن السجن إطلاقاً كما أن البشرية كلها تحولت بمفاهيمها الموزعة على ملايين الملايين إلى هؤلاء المساجين بما تكنه

نفوسهم من أسرار وما تخفيه جوانحهم من مشاعر لا يعلم بحقيقتها غير الله .
ومر بخياله فيما مر — مسرة — واستعاد ذكرى كل ما لحق بها من سوء منذ تزوجها حتى أصيبت بالجنون وأدرك أن الشر مهما طال لا بد أن يتحول إلى لهيب يحرق صاحبه وراح يقضي أيامه تائهاً بين خواطر الماضي البغيض والحاضر الأليم وينتظر في شيء من الأمل وشيء من اليأس نجاح قريب له في الانتخابات له نفوذ وقد أرسل إليه انسجام ليطلب من إدارة السجن تخفيف العمل عليه لضعفه فيحول من العاملين في الجبل إلى العاملين داخل السجن وعادت إليه انسجام بعد مقابلة القريب وتحدثت في غير هذا الأمر لكيلا تقطع حبل الأمل وتزيد آلامه ولكنه سألها عما فعلت ؟ وأرادت التهرب بعدم وجوده ولكنه أبدى استعداده لقبول الرفض قائلا : لقد تعودت جحود الأصدقاء وعقوقهم فلنزد صفحاتهم صفحة ولكل منهم أسلوبه فقولي ما أسلوب اعتذاره فإني أجد في اختلاف أساليبهم ما يعينني على تفهم ما أجهل من خفايا النفوس واضطرت إزاء إلحاحه أن تصارحه قائلة : لقد كان صريحاً فلم يماطل أو يتهرب شأن الآخرين فقال . . آسف . . لو أنه اقترف جرائمه وداخل حدود وطنه لاغتفرت الدولة له ذنوبه بعد حين وقد يمكن تقويمه أثناء ممارسة العمل داخل الجمهورية لكن الخطب الجلل يقترف جرائمه في بلد آخر وبذلك شوه سمعة بلده وذلك جرم لا نهاية لفظاعته إذ المفروض أن يمثل كل مواطن وطنه تمثيلا كريماً شريفاً في أي بلد يحل فيه حتى ولو كان من السوقة . . لقد أساء إلى وطنه لاقتراف جرائمه في بلد يتخذ وطنه مثلا أعلى له . . وهنا أطرق فايد ملياً ثم قال : معه حق وهل كان في وسعي يومئذ السيطرة على عقلي وهو مشدود للشيطان . . لا عتب عليه فهو مواطن صالح مؤمن ولعله يخشى معرفة قرابتي له . . ولكي تخفف عنه وطأة اليأس قالت : لا يأس مع الحياة وسوف اتصل بسيدة كريمة قمت على تمريضها وزوجها محام مرموق واعتقد أنها لا تتردد في مخاطبته ليتولى الدفاع عنك وسوف أعمل المستحيل لكي أوفر له الأجر المطلوب وغادرته بعد إنتهاء

الزيارة وفى نيتها أن تذهب إلى زوجة المحامى وفوراً وفى طريقها أثناء مرورها حسب إشارة المرور سمعت صوتاً يناديها من داخل سيارة واقفة وتلفتت حواليها . . فإذا بمسرة راكبة عربة زوجها ودهشت انسجام إذ لم تسمع نبأ عودة الطبيب من السعودية ورأتها على أحسن ما تكون صحة ونضارة. وأفسحت لها مسرة مكانا بجانبها فى العربة لتوصلها إلى حيث تريد وكأن ليلة القدر تفتحت أمام ناظرى انسجام فاندفعت تتحدث حديثاً مبعثراً لكى تخلق مناسبة تجيز لها التحدث عن فايد ومآله الأخير على أمل أن تعرف أحاسيس مسرة بالنسبة إليه بعد الذى حدث ولما لزمت الصمت قالت انسجام لقد علمت من سيدة أقوم على تمريضها فى المنزل أن زوجها وهو صديق فايد يكتتب له ليقدم له محامياً يدافع عنه والمطالبة بتقديم أى طبيب نفسى بدعوى أنه أصيب بلوثة عقلية فاجأته فى الشهور التى اقترف فيها جرائمه ولها أسبابها سوف يعرضها المحامى فى المحكمة وخيل لانسجام أن رغبة مسرة فى عدم إثارة حياتها الخاصة المعلقة به ومع الطبيب بطريقة تدفعها للإسهام فى هذا الاكتتاب على شريطة ألا يذكرها المحامى بخير أو شر تدفعها للإسهام فى الاكتتاب ولكن مسرة رمقتها بنظرة أسف ومرارة قائلة : دعيه يتعلم فى السجن كيف يكون رجلا فإذا خرج من السجن أعدك أن أقدم له بمعاونة زوجى مبلغاً من المـــال يفتتح به متجراً ليعيش عيشة الشرفاء وفى أسف مرير شكرتها انسجام وفى منتصف الطريق تركتها لتذهب إلى زوجة المحامى التى سبق أن شملت انسجام بعطفها وكرمها لذلك لم تجد انسجام مشقة فى التأثير عليها كى ترجو زوجها ليدافع عن فايد مبدية استعدادها لدفع أجر أتعابه بعد إصدار الحكم ريثما تهيىء له المبلغ المطلوب وتصارحها السيدة بأن زوجها يفصل بين المجاملات وبين العمل لذلك قدمت إليها مبلغاً من المـــال مقدمة أتعابه لكيلا يرفض العرض وكان المحامى شريفاً تعود أن يقيم دفاعه دائماً على الحق والإنصاف منزهاً عن المطامع وبعد دراسة القضية وجد أنها قضية مجتمع أكثر منها قضية فرد فقد ولد فايد من أبوين فقيرين ورغم أن والده من أسرة.

تنتمى إلى إقطاعى من كبار الإقطاعيين لكن جده تزوج بجدته وكانت عاملة فى إحدى حقوله فأعجب بجمالها وشبابها فلما أنجب منها ولد طلقها تاركاً إياها فى أحضان الفقر ولم تجرؤ المسكينة على مطالبته بحقوق ولدها الشرعية خشية أن يطرد والدها وأخواتها من العمل فى عزبته وليس لهم عمل سواه فلما مات وطالبت بميراث ولدها وجدت أنه كتب تركته كلها لأولاده من زوجته الأولى التى تنتمى لأسرة تماثله فى الثراء والوجاهة . . وعاش الابن يحمل اسم أبيه فقط وكان لا بد أن يعيش فراح يستغل اسم والده العظيم الذى لا يملك سواه فى النصب والاحتيال فى زمن كانت أسماء العظماء والأثرياء والإقطاعيين لا تقل قيمة عن المبالغ الباهظة وهكذا قدر على فايد أن يدفع ضريبة سوء تصرف جده الذى عاش فى زمن السيطرة فيه للإقطاعية . . ولم تكن الإقطاعية وقفاً على المال فقط بل كان بجانبها إقطاعية الأدب وإقطاعية الفن وإقطاعية التجارة وكان حتماً أن يكون فايد حفيد الإقطاعى الكبير ضحية تسلل الحقد إلى قلبه فأفسد عليه كل ما يتصل بالمثل والدين والشرف والكرامة وراح يسعى للعمل بأسلوب جده يوارى الجهالة بالذهب ويبتاع الشرف والذمة والضمير بالهدايا والمرأة فى حسبانه متعة وهل يمكن أن يكون غير ذلك وقد عرف ألوان اللهو قبل أن يتفهم التزاماته نحو دينه ونفسه تحت تأثير الصبية المشردين حيث لا وازع ولا رادع ولا رقيب ولقد تطور المجتمع اقتصادياً وسياسياً وأدبياً ولم يزل عاجزاً عن التطور الخلقى حيث يبتعد عما تسلل إلى مجتمعنا من الأضاليل باسم المدنية والنهضة الحديثة لقد استردت الدولة من الإقطاعيين أموالهم ولم تحاول دراسة شئون أسرهم لكى تعرف على أى صورة يعيش أبناءهم وكيف يستغلون فراغهم أتراهم عاملون أم لاهون ؟ بلغوا مرتبة من العلم تخول لهم العمل فى أى ميدان أم تدفعهم البطالة إلى اقتراف الإثم والجرائم للحصول على المـــال بعد أن جف معينه من أيديهم إن الصحف تطالعنا كل يوم بجرائم ارتكبها طلبة من الجامعات والمدارس الثانوية بعضهم ينتمى إلى أسر تنتمى للإقطاعيين بالاشتراك مع المنحرفين والمشردين من أبناء . .

الطبقة الفقيرة الذين دفعتهم الحاجة الملحة لسد رمقهم والتعلق بمظاهر حرموا منها بسبب التفرقة الطبقية . وفايد من هؤلاء كان من الجائز أن يكون إنساناً كريماً نافعاً إذا لم يجن جده على والده بالحرمان المطلق فماذا نرجو منه غير أن يكون مخلوقاً تافهاً مريض النفس معلول الضمير سقيم الروح وكان لا بد أن ينفث عن حقده وضغينته بطرق النصب والاحتيال والتظاهر بمظهر الاسم الذى يتعلق به لينال عن طريقه كل ما يتمنى وهو كأى عاطل بدأ يعمل وهو لا يعرف كيف يعمل فافتقاده سبل العمل وعدم تدريبه على تحويل طاقته إلى عمل مثمر دفعه إلى استغلال طاقته فيما يستطيع وهو لم يمارس غير التفكير فى جلب المـــال والمحافظة على المظهر لاعتقاده أن الثروة الحصن الخالد ولا ضرورة لتلقيح الذهن بمصل واق ضد أحداث الزمن فيا حبذا لو أقام الشعب نفسه ولياً على أبناء الإقطاعيين الذين تخلت عنهم الأبوة النابضة باسمى المشاعر منذ الصغر ولا سبيل إلى ذلك إلا بترويضهم على التعاون الشعبى على ضوء الحب المتبادل كان هذا دفاع المحامى مستشهداً فى نهاية دفاعه ببراهين تثبت صحة دعواه مختتماً دفاعه باعتباره فايد مريضاً أكثر منه مجرماً وعلى الدولة أن تعمل على علاجه داخل السجن أولا وذلك باسناد عمل إليه يمارسه عمليا لكى يتأهب لاستقبال حياة أفضل . »

وظلت انسجام تزور فايـــد فى السجن مخففة عنه ما يعانيه فى خلال اللحظات الخاطفة التى تمضيها معه كل أسبوع ريثما يصدر الحكم النهائى وقد أوشك بفضل حنانها أن ينسى كل شىء يتصل بماضيه عدا مسرة فكلما نقص عمره يوماً ازداد حنينه إليها راجياً أن يتخلى عما بقى من حياته لقاء يوم واحد يراها فيه — فإذا طافت بخياله طاف معها ابنها الذى تبنته أخته رغم حرص انسجام على ألا تذكره بوالده خشية أن تثير فى نفسه ذكرى مسرة التى كان مجرد ذكر اسمها يدفعه للاستغراق فى ذهول مخيف قد يظنه الرائى أنه بداية الانتقال إلى مرحلة الجنون . . ولمـا علمت أخته من الصحف بتأييد الحكم الابتدائى ولابد أن يقضى خمسة أعوام فى السجن أثرت الصدمة

على قلبها المريض فساء حالها إلى درجة اضطرت معها أن تدعوا ابنة خالتها التى زوجتها لقريب زوجها لكى تكون قريبة منها وأوصتها بابنها اليتيم إذ كانت أشاعت فى القرية أنه ابنها وساعدها على تصديق ذلك انتقال زوجها من بلد إلى بلد وكانت استشعرت بقرب منيتها أوصت قريبتها بتربيته وتعليمه ليكون رجلا عظيماً شريفاً واستودعتها وصيتها لتعمل بمقتضاها بعد وفاتها وكأن الله أوصى لها بذلك فماتت بعد أيام وانتقل الطفل إلى بيت ابن خالتها ليعيش مع أولادها وعارض زوجها قبل أن يعلم بالثروة التى آلت للطفل ليشعر بالفارق الهائل بين الحياتين فقد كان مشمولا بحنان أمه الوفير مع رفاهية بالغة ثم أصبح يعامل كالدخيل الغير مرغوب فيه رغم استغلال الإيراد الذى خصص له لشئون الأسرة كلها دون أن يحظى هو بغير ما يسد رمقه ويستر عورته وكثيراً ما عمد الزوج إلى إيذائه وتحريض أولاده على معاكسته فى قسوة عساه يخرج لغير رجعة وأخيراً اتفق الزوج مع القريبة على أن يسلماه للشرطة كأنه لقيط وقد حاولوا إيواءه وتربيته ولكن غلاء المعيشة لم تعد تسمح بضم ولد إلى أولادهما الكثيرين وعارضت الزوجة فى بادىء الأمر خشية افتضاح سر الوصية ولكن الزوج يطمئنها مؤكداً لها أنه أشاع فى البلد أن الثروة التى تركتها تسلمها شقيقها بصفته الوصى على ابنها وبقى أن يشاع بأن الأخ تسلم الطفل ليكون تحت رعايته فى القاهرة ووافقت الزوجة وسرعان ما نفذ الزوج رغبته وسلم الولد للشرطة .

وفى خلال هذه الفترة كانت مسرة سعيدة بحياتها الزوجية لولا ما يعكر صفو هذه السعادة بحرمانها من الذرية رغم اهتمام زوجها بعلاجها ترضية لها وإن كان فى قرارة نفسه لا يأبه بذلك قانعاً بها راضيا بما قسم الله ولما طغى حنينها إلى الأطفال طلبت من زوجها أن يساعدها لكى تتبنى أنثى أو ذكراً من مؤسسة الأيتام وخصوصاً بعد أن أثبت الفحص الطبى الدقيق مع الأشعة والتحاليل أنها طبيعية ولكن العقم نتيجة ما حدث لها فقد أثر على جهازها

التناسلي ورفض زوجها لاعتقاده أن البنوة التي لا يسرى فى شراينها دم الأبوين.
لا يمكن أن تكون طابعاً لعواطفهما ولم تقتنع مسرة بذلك لاعتقادها أن الحب
الأكيد كفيل بتوليد الكهرباء التي تصل بين القلب والقلب وتقرب الروح
إلى الروح وأخيراً اضطر أن يحقق رغبتها ليخفف لهفة الأمومة الكمينه فى
أعماقها مشترطاً أن يتبنى ولداً لكى يعلمه ليصبح طبيباً كى يعاونه عندما يتقدم
به السن ولم يمر أيام حتى تسلمت مسرة الولد بعد أن اختارته بدافع إحساسها
الخفى من بين عشرات الأطفال الذين عرضوا عليها ودون جهد أنس الطفل
إليها لما تشمله به حنان غامر وتدليل لم يألفه من قبل وعناية بالغه ولم تجد مسرة
مشقة فى تقريبه إليها متخيلة أنه ولدها فلو عاش ابنها لكان فى مثل سنه وزاد
اهتمامها به ما سرى فى أعماقها من أحساسيس لا عهد لها بها وبجانب ارتياحها
تولاها شعور غامض وزاد من غرابة هذا الشعور أن الطفل قريب الشبه منها إلى
حد يلفت النظر حتى أن بعض المترددين يظنون أنه ولدها ويصارحونها بأن
زوجها مولع بها إلى حد أن تأثيرها عليه اقوى وقد تحدث إليها زوجها وهما
فى خلوة مؤكداً هذه النظرية . . ومضى الصغير فى طريقه متفوقا فى دراسته
نموذجاً طيباً للصبيان والشبان حتى أصبح شابا يافعاً ولفرط اهتمام مسرة به
بدأت الغيرة تدب فى قلب الزوج رغم تعلقه به إذ لاحظ أنها توليه عناية أكثر
من عنايتها بزوجها وبعد أن كان الزوج يكتم غيرته بدأ ينوه تاميحاً عساها
تخفف من عاطفتها التى تحولت إلى شغف ظاهر فلما تمادت اضطر أن يصارحها
بأنه يخشى أن يكون تعلقها الشديد بالولد سبباً فى هدم صرح الحب الذى شيداه
على أعمدة عواطفها الخالصة القوية الصادقة وبدأ يأخذ عليها من حين إلى
حين إيقاف مشاعرها وعنايتها على الولد وإهمالها شئون التى كانت تهتم
بها من قبل وكانت تواجه لوم زوجها بهدؤ لاعتقادها أنه يبالغ فى هذا الزعم
مؤكدة له أن حبها يزداد يوما بعد يوم غير أن الولد فى حاجة إلى العناية
ليكون جديرا بالانتساب إليهما على أنها كانت تشعر فى قرارة نفسها بحب
لا يصدر إلا من قلب أم لابنها معللة ذلك إلى طول حرمانها من الأمومة.

وفقد ابنها ورغم مصارحتها زوجها بذلك فانه يشعر بأن الولد بات غريماً له بدل أن يكون ربيبه وصفيه لاعتقاده أنه ملك من عاطفة زوجته أكثر مما كان يتصور وندم فى قرارة نفسه على استجابة رغبتها وتمادى فى التفكير إلى حد تمنى لو استطاع ان يتخلص منه دون أن يضره أو يغضبها ولكن ذلك بات مستحيلا لان الطفل بات يحمل اسمه فى عرف المجتمع فاذا ألغى ذلك قضى على مستقبله قطعا ويؤثر على زوجته تأثيرا يعود عليهما بالشقاء حتما واضطر أن يتحمل على مضض حتى يتم تعليمه العالى ويرحل عنهما لمواجهه حياته العملية وسوف يسعى حينئذ لكى يعمل فى بلد بعيد عنها . . وكلما مرت الايام وتقدم عمر الولد وزاد نضجه العقلى ونموه الجسمانى ازداد تعلق مسرة به وازدادت الغيرة فى قلب الزوج حتى أصبح الولد شاباً وسيما كامل الرجوله مع تقدم سن الزوج وظهور سمات الشيخوخة لسبب ماكابدة فى شبابه من معاناة وتفكير مضنى وكفاح مرير وساءل نفسه اتكون زوجته لاهية عنه لهذا السبب تكون من الطراز النسوى الشاذ التى لا تقيم وزناً لجلال كل عمر وفتنته ولا تفهم من أسرار الأعمار غير بريقها اللامع فى الشباب؟ وشوه هذا التفكير كله مشهد طبيعى فى ناظرية فاذا ابتسمت زوجته للولد ظن لبسمتها دعوة سافرة ليقترب منها وإذا قبلته قبلة أم لولدها أثناء ذهابه وإيابه أثارت القبلة غيرته وإذا دخل عليهما وهما يتحدثان بصوت خفيت لكيلا تسمعهما الخدم فسر حديثهما الهامس بالمناغاة وهكذا سول له شيطان الغيرة الشك فى كل تصرف يصدر عنها أو عن الربيب وتحول البيت الذى كان يجمعهما فردوساً أرضياً إلى جهنم يشتعل فى أرجائه ليل نهار لهب النكد لأتفه الأسباب وظلت عواصف النزاع قائمة مع صبر الزوجة واحتمالها واعتقادها بأن الأيام كفيلة باكتساح هذه الغيرة وإقناع زوجها بأن تعلقها بالربيب لوجه الله وتدعيما لعواطفها المشتركة وتقديساً لواجباتها كأم ومرت الأيام تباعاً على هذه الصورة الكئيبة المليئة بأوهام الزوج وظنونه السيئة وهواجسه الخاطئة ومعاناة الزوجة وحيرتها

بين ربيب تحرص على ألا تشعرة بما يخامر الزوج لكيلا ينفر منه أو يحقد عليه.وبين زوج تحبه وتؤثره على كل شيء فى الحياة وتعمل على مرضاته . وفجأة مرض الربيب ولزم الفراش وكان لزاماً عليها أن تضاعف من عنايتها ورعايتها ساهرة عليه لتخفف من ارتفاع الحرارة بالمكمدات ولم تشأ أن تعطل زوجها عن عمله معتمدة على عنايتها وخبرتها ولما قاربت الحرارة درجة الأربعين راح يهذى مغمغماً . . أماه إنى أحبك أريد أن أعيش من أجلك يا أحب الناس إلى وبكل عواطفها قبلته من جبينه الملتهب قائلة . . ستعيش يا حبيبى وبشفتين مرتعشتين مبللتين بالدموع قالت : إن الحياة بدونك لاتطاق وسكتت عندما سمعت زوجها يقترب منها إذ عاد من الخارج على غير ميعاد واستمع إليها وفى انفعال من فقد أعصابه قال : سيعيش لك وتعيشين له اطمئنى وطلقها بصوت مرتجف ثم تركها وجمع ملابسه وحاجياته الخاصة وخرج دون أن يتكلم وأخرستها المباغتة فلم تستطع الكلام ولم تقو على الحركة ولم تنظر إليه ولم تدر ماذا تفعل وظلت تنظر للمريض بعينين دامعتين ثم ارتمت على حافة سرير المريض تبكى بغير صوت .

ظل فايد — فى سجنه يجتر ذكرياته ويعيش عليها وقد انمحى ذهنه كل مايتصل بماضيه غير مايتعلق بمسرة وولده وكلما تعاقبت الأيام تضخم الحنين لرؤية ولده ولم يعد يتمنى أى شيء سوى أن يراه قبل أن يموت ولقد اجتاحت مشاعر الوحدة والتأمل كل ماكان يعلق بخاطره بل غسلت أدران نفسه وحولت أحاسيسه إلى حنان صرف على أثر حديث جرى بينه وبين زميله فى الزنزانة الذى لا يؤرقة غير ما يعود على ولده من أثر سجنه فى الحياة إذ بات فى نظر المجتمع ابن سجين لا يؤمن .. واستعاد ذكرى اختطاف ولده وكانت أخته فى زيارة له فاتفق معها يومئذ على أن تكتب لزوجها أنها حامل فى خمسة أشهر وقد نصحها الطبيب بالبقاء فى القاهرة تحت العلاج حتى يتم الوضع وكان زوجها عجوزاً ففرح بولده وعادت إلى بلدتها تحمل رضيعها معتمدة على الرضاعة الصناعية لضعف

صحتها كما قالت للزوج والمعارف .. وعلق بذهنه العار الذى سوفه يلازمه للأبد وحمد الله على أن أخته تبنت الولد ولكن مسا من اللهب حرك مشاعر الأبوة فصعب عليه أن يحرم من ابنه ويفقده وهو حى واستسلم للبكاء بلوعة المنكوب لأول مرة وهل تخفف الدموع تعاسة من تفوق شقاوته الأشقياء ويحاول زميله أن يرفه عنه بتلاوة تعاويز الاستغفار قائلا له أن حبل الإعدام ليس فى يد الجلاد ولكنه فى يد ولده وراح زميله يرجو الله ألا يرث ابنه منه شرورد وهنا ارتجف فايد وردد دعاء الزميل ولكن شبه مس من الطمأنينة مر بقلبه إذ أيقن أنه لن يكون قطعاً على مثاله لأنه نشأ فى بيئة صالحة فأخته لم تألف الشر مثله لأنها نشأت فى بيئة عرفت بالتقوى ولم تخرج منها إلا إلى بيت زوجها التقى الورع ولما أعياه الفكر استلقى حيث قدر عليه أن يستلقى على الأرض الباردة المفروشة بفرش يكفى الأضطجاع عليه بعض دقائق ليترك خشونته على الجسم المتعب المكدود .

لم تحاول مسرة أن تستعيد زوجها بعد أن طلقها وخاب ظنها فيه بعد طول العشرة الطويلة وخضعت المسكينة للحكم الجائر ووجدت فى ربيبها عزاء عما أصابها وسلوة أنستها إلى حد ما بعض ما ألم بها من جراء غيرة زوجها وعجبت كيف تسلل الشيطان إلى قلب الملاك بهذه السهولة ؟ كيف استطاع الشيطان التفريق بينهما فى لمح البصر وحمدت الله الذى خلقها معينا للصبر لا ينفد وصح عزمها على أن تصون شرفها وشرف زوجها مهما كلفها ذلك من معاناة ولم تحاول أن تستغل فرصة طلاقها وغدر زوجها أن تخبره بالتضحية الهائلة التى قامت بها طوعاً من أجله يوم زارتها أخته على أمل أن تلقاه لتخبره بالخسارة الفادحة التى أصيب بها والده بعد هبوط سعر البورصة وأبت مسرة أن تخبره راجية من أخته فى إلحاح أن تكتم عنه الأمر لكيلا يتأثر وقد يؤثر ذلك على تفكيره أثناء عمله وخصوصاً أن أرواح المرضى بين يديه وقدمت للأخت المبلغ المطلوب ليسترد الوالد مكانته واعتباره فى السوق واستحلفتها ألا تخبر زوجها بذلك ولم يشأ والد مؤنس أن يكون

أقل منها نبلا وكرماً بعد أن أخبرته ابنته بما جرى فكتب مستنداً عليه بالمبلغ ووضعه فى غلاف محكم بعد أن أرفقه بوصية تحتم تسديد المبلغ إذا توفى فجأة قبل سداد المبلغ وسلمه لزوجته وأوصاها أن تسلمه لولده مؤنس إذا قضى الله بقضائه فيه ومضى بعض الوقت دون أن تعلن مسرة طلاقها كما لم يشر الدكتور إلى ذلك وساعده على كتمان الأمر عمله المتواصل ليل نهار فى المستشفى لعلاج جرحى الحرب وكلما سأل الولد عن أبيه حيث حدث الطلاق وهو محموم إلى درجة لم يتنبه لما يدور حوله . . قالت له أن الجرحى تتطلب بقاءه بجانبهم ليل نهار وقنع الولد بزيارته فى المستشفى كلما سنحت الظروف فكان يقابله كما عوده دون أن يشير إلى طلاق مسرة قانعاً بالسؤال عن صحتها وحالتها إذ فهم من سياق حديث الولد الموجز أنه لا يعلم شيئاً عن فراقهما . . وتوفى الوالد فجأة وعندما فض الدكتور مؤنس خطاب والده ذهل كيف حدث هذا مع أنها كانت مطلقة . . وعرض الأمر على أخوته لتسديد المبلغ بعد بيع عقار يكفى لسداده ويزيد ولكنهم رفضوا واتهموه بالتواطؤ مع أمه للحصول على المبلغ المذكور . . واضطر أن يرد المبلغ إلى مسرة مهما كلفه الأمر وأرسل إليها شيكاً بنصف المبلغ بعد شهور مع النصف الآخر نقداً مشفوعاً بمستند أبيه واستراح ضميره لكيلا يكون أقل منها مروءة ولكنها أعادت إليه المبلغ والشيك وكتبت إقراراً على نفسها بأنها تسلمت المبلغ كله من أبيه قبل وفاته ونسى أن يمزق المستند ووقع الطبيب فى حيرة وارتباك لا يدرى أيهما أصدق والده أم هى على أنه تأكد من والدته أن والده كان يحمل هم الدين لآخر لحظة فى حياته وقبل وفاته بدقائق كان يدعو الله أمام أمه أن يفرج كربه ويوسع رزقه ليرد إليها المبلغ ولكى يبرىء ذمته حفظ المبلغ باسم مسرة فى البنك فى هذا الوقت استجابت — انسجام — لرجاء فايد وسافرت إلى أخته لكى ترى ولده وتطلب منها مبلغاً من المال ولشد ما أذهلها وفاة الأخت

وعدم وجود الإبن ورغم محاولاتها العديدة للتعرف على مقره لم تهتد وأخيراً استطاعت أن تتعرف على قريب زوجها المتزوج بابنة خالتها وأنكر معرفة شيء عن الولد وساعدهما على ذلك انتقالهما إلى شارع آخر لا يعرف سكانه أي شيء عن ماضي هذه الأسرة إذ بعد أن آلت إليها ثروة الولد . . ظهرت بمظهر الثراء . . واضطرت أن تتصل بالشرطة على جيران الأخت بعد وفاتها وعدم وجود أحد يرعى الصغير بعدها اتصلوا بالشرطة للتصرف فقيل لها أن جميع اللقطاء ترحل فوراً إلى مؤسسة الأيتام بالقاهرة ولم تحاول متابعة ذلك لأن الطفل ليس لقيطاً . !!

بعـد الافراج

على أثر إعلان رئيس جمهورية مصر العربية محمد أنور السادات قرارا بالإفراج عن المسجونين الذين قضوا مدة حددها سيادته كان فايد من بين هؤلاء وقد استفاد أثناء إقامته فى السجن من زميله الذى كان يجيد تلاوة القرآن ومعرفة الأحاديث النبوية وتفهم مرماها ومغزاها حيث كان من الإخوان المسلمين الذين سجنوا بتهمة التحريض على إنقلاب الحكم ضد الثورة أثناء رئاسة الزعيم الخالد جمال عبد الناصر وقد أدرك فايد فيما أدرك من أحاديث زميله الدينية أن النفس البشرية ليست مجرد شر مطلق إذ التقويم والتوجيه واستيعاب بواعث الخير من أقوى سبل تحول الشر المرذول إلى خير مقبول وبفضل ماتسرب إلى نفسه من تأثير زميله استقام تفكيره واستنار قلبه بفيض من الإيمان اللامدرك . .

وخرج من السجن لا شاغل يشغل ذهنه غير التفكير فى البحث عن ولده بعد أن علم من إنسجام فشلها فى معرفة مقر الولد وسرعان ما توجه إلى إبنة خالته التى زوجتها أخته إلى قريب زوجها حيث كانت تقيم فلم يجدها وبعد الإستقصاء والتحرى توصل إلى معرفة مقرها فلما رأته أدركت فى قرارة نفسها سبب مجيئه ولكنها تجاهلت على أنه لم يترك لها فرصة للاسترسال فى التجاهل .

وطالبها بولده بعد أن اصطنع إرسال رسالة من أخته تخبره أنها أوصت ابنة خالتها برعاية ربيبها وسلمتها جميع المستندات الخاصة بما تملك وقد تنازلت عنها للربيب على أن يكون ولياً له بعد أن يتسلمه من ابنة الخالة عندما يحضر إذا قدر الله وفاتها قبل أن تلقاه ولم يستطع الحضور أثر وفاتها لأمور خارجة على إرادته والثقة بأنها كفيلة بتحقيق الوصية وجديرة برعاية ولده . وأدرك من ارتباكها واطراقها مفكرة فيما عساه أن تقول إنها تخفى أمراً فتكلف

الهدوء وقال : لست فى حاجة إلى المصاغ وأثاث البيت ولك نصف ماتركته من المال لقاء عنايتك بولدى . . وقد جئت لأتسلمه لا شك أنه أصبح شاباً يافعاً يعاون زوجك فى عمله أليس كذلك ؟ وازاء تصميمه وخشية افتضاح حقيقتها أمام الجيران أخذت عليه عهداً ألا يضر زوجها وصارحته بأن زوجها سلم الطفل إلى الشرطة ليسلمه إلى أخته المقيمة فى القاهرة إذ لا شك أنها على صلة به ولعدم معرفتهما مقره اذ لم تخبرهما أخته التى توفيت وغادرها متجهاً إلى اختها التى أساءت استقباله لاعتقادها أنه أصبح من محترفى الإجرام وأكدت له أنها لم تتسلم الطفل ولا تعلم أى شئ عنه . . واضطر أن يتصل بالشرطة ليتأكد من تسلم الطفل فى التاريخ الذى ذكرته ابنة خالته بعد أن حاول التأكد من زوجها ولكن الزوج حاول الاختفاء فى مكان ما لكيلا يقابله معتمداً على زوجته التى ادعت أنه سافر إلى السودان للوقوف بجانب أخته التى توفى زوجها السودانى ولرعاية مصالحها بعد تسلم ميراثها عن زوجها الثرى وقد اعتزم أن يحضرها وثروتها لاستغلالها فى مصر . . . . وقد لفقت هذه الاكذوبة لكى توهمه بأن الثروة التى يملكها زوجها حالياً هى مما ادخرته أخته عنده قبل وفاة زوجها كلما جاءت القاهرة فى كل عام . . وشغله التفكير فى الحصول على ولده عن التحرى لمعرفة صحة ذلك وبعد البحث فى دفتر الأحوال الخاص بالعام التى توفيت فيه الأخت عرف أن الولد حول إلى مؤسسة الأيتام فى القاهرة وتابع إجراءات التحويل حتى انتهى إلى أن هذا الطفل تسلمته حرم الدكتور مؤنس . . وظن أن الممرضة — انسجام — هى التى نبهت مسرة إلى وجوده فى المؤسسة فهرع اليها فى الحال وقد عاوده شيطانه وكاد يفتك بها لولا أنها أقنعته بتجاهل ما أفضى به إليها ثم رافقته إلى المؤسسه لتتحرى من المسئولين عن مصير الطفل الذى حول فى التاريخ الذى ذكره فايد وعلمت بعد الحوار الذى جرى بين المختص الذى ظل فى المؤسسة طوال هذه السنين وبينها أن الاختيار وقع عليه من الدكتور مؤنس إذ كانت حرمه تريد أن تتبنى بنتا ولكن الدكتور صمم على أن يكون ولدا وقد اختير هذا الطفل من بين عشرات الأطفال التى عرضت عليهما لسيمات أعجب بها الدكتور مؤكداً فى حديثه أن هذا الطفل رغم أنه لقيط كما قيل

ولكنه من أصل طيب ينتمى إلى أمه أو أبيه أو هما معاً وازداد إيمان فايدبالله لاعتقاده أن الله رد الطفل إلى أمه من حيث لا تدرى وفكر فى وسيلة تبيح له رؤيا الولد دون أن تشعر مسرة بذلك وأخير أخذ تصريحاً من الشرطة لكى يقابل الولد بدعوى أنه خاله ويريد أن يتسلمه متجاهلا مآل الطفل مؤيداً صحة دعواه بشهادة ميلاده وتاريخ وفاة أخته وإقراراً من إبنة خالتها بتسلم الطفل منها مدعية بأنه ضل الطريق فى التاريخ الذى سلم فيه للشرطة وهى لا تدرى

وفوجئت — مسرة — ذات صباح بجندى موفد رسمياً بمرافقة فايد لتسليم حسام عبد الرؤوف الذى تسلمته من مؤسسة الأيتام فى تاريخ ذكر وفق تسلمها إلى خاله فايد . . . . وعندما وقع نظر مسرة على فايد الواقف بجوار الجندى روعت وأيقنت أنه دبر لها مؤامرة جديدة وقد ادعى قرابة وبيها ليحرمها منه ورغم إيمان مسرة بأن أخته عاقر بدليل أنه مضى على زواجها قبل زواج مسرة عشرين عاماً دون أن تنجب ولكنها لم تستطيع التصريح بذلك تشير إلى علاقتها الزوجية بفايد فيما مضى . . . . وحيال إصرار مندوب الشرطة مع عدم وجود ما تستشهد به اضطرت أن تخضع تاركة لحسام الذى أصبح شاباً وسيما يغرى النظر على التطلع إليه حرية البقاء معها أو الذهاب مع خاله والشاب واقف مذهول لا يدرى معنى هذا الحوار الذى يسمعه واضطرت مسرة أن تقول فى إيجاز . . كان خالك على سفر فى الخارج ويبدو أنه حضر واتصل بوالداك الذى عارض فى الذهاب معه وقاطعها فايد . . لأسباب عائلية ستعرفها يا ولدى فى الوقت المناسب . . المهم تعال معى الان لكى تتسلم الميراث بدلا من الذى آل إليه أثناء غيابى حيث إننى مضطر إلى العودة للخارج ولزمت مسرة الصمت والشاب ينظر إليها لتوصى إليه بما يجب أن يفعله فقالت . . . إذهب معه يا ولدى ونظرت إلى فايد فى توسل ورجاء . . أترى تطول غيبته أو يعود فوراً ؟ . . فقال فايد . . . اطمئنى . . لن أحرمه منك وعانقها الإبن عناق الإبن لأمه فى حرارة وعمق مقبلا وجنتيها ويدها وانصرف مع فايد ونظره عالق بها

وذهبوا إلى الشرطة لإجراء اللازم نحو تسلم الشاب وإخلاء الأسرة التي تبنته من المسئولية أمام القانون .. وعاد فايد بعد أن سمح لابنه بالعودة إلى أمه قبل أن يصارحه بأى شيء على أمل أن يعود إليه بعد أن يسافر لتسلم الميراث وسافر إلى ابنة خالته لاسترداد مصاغ أخته ومالها ومستندات عقارها وأفهمها أنه لم يطالبها ريثما يتمكن من تسلم ولده بصفته الوريث الشرعى لأخته بحكم شهادة الميلاد الموجودة تحت يديه واضطرت أن تصارحه إيزاء إصراره بأنها تصرفت فى المصاغ والمال لتربية أولادها وبدل أن يثور غفر لها وقال سأفرض أننى صرفت فى سبيل الحصول على ابن أختى هذا المال ليبارك الله فى حياته ويحفظه من كل سوء وأثناء تردده على حسام فى منزل مسرة استطاع أن ينبه مشاعر البنوة فيه دون أن يشعر فبات يستقبله استقبال الولد لأبيه . وفى يوم ما كان فايد يتسلى بقراءة صحيفة عند الحلاق قرأ فى إحدى الصحف التى ظهرت منذ شهور الملقاة على المنضدة للتسالى .. خبرا جاء فيه أن طبيباً معروفا طلق زوجته بعد قصة حب من أجل تعلقها بربيبها الشاب وكان حتى هذه اللحظة لا يعلم عن أمر طلاق مسرة شيئاً إذ حرصت على ألا تقابله أثناء زيارته لحسام وكان يعمد إلى الزيارة فى الوقت الذى فرض أن يعمل فيه الطبيب ولم يحاول من جانبه أن يراها حرصا على سعادتها بعد أن تنبه ضميره ، وضمانا لمستقبل ولده إذ لا يمكن أن يتمتع بالراحة والسعادة كما يتمتع بها الآن فى هذا البيت إذ المال وحده لا يكفى لتوفير الحياة السعيدة التى يتنعم بها وشعر برغبة ملحة لمعرفة هذا الخبر فرافق أبنه لمشاهدة فيلم لكى يتحدث إليه بعيداً عن أمه ... وسأله أتحب والدك الدكتور ياحسام قال : كل الحب ياخالى . . فعاد يسأل أيهما أحب اليك . . أمك مسرة أم أبيك الدكتور ؟ قال حسام لكل منهما حب خاص ، قال فايد : لابد أحدهما أكثر حباً . . . فأطرق حسام لحظة ثم قال . . أمى مسرة . . ونظر إليه فايد وقد غلبه إيمانه فى وصيه لولده أن يبارك هذا الحب فقال : وهل تراها تحبك أكثر أم تحب زوجها ؟. . . . .فأطرق الإبن لحظة ثم قال أعتقد

أن حب الزوج له طابعه الخاص وحب الإبن غريزى طبيعى ولا يمكن التفرقة بين الأم والإبن لأن الدم الذى يسرى فى شرايينه منها والنور الذى يسرى فى روحها هو الذى يربط بينها وبين ابنها . . وقد يقوى هذا النور أو يضعف حسب استعداد الأم على أن أمى تحبنى أكثر مما تتصور .

فاستدرجه فايد . . هل يقضى والدك الدكتور وقت فراغه فى البيت ؟

قال حسام : وهل للطبيب وقت فراع فى هذا الوقت العصيب ياخالى . . ، خصوصاً أبى الدكتور إن حياته لا تعرف الفراغ أبداً دائماً مشغول . مشغول ، مجند لعلاج جرحى الحرب ليل نهار . . . فقاطعه فايد . . إذن لا يحضر الا وقت تناول الطعام والمبيت أحيانا فعقب حسام وهل للجندى مواعيد للأكل والنوم . . إنه مرتبط بمفاجآت غدر الأعداء ولذلك فهو على استعداد دائم لاستقبال الجرحى . . وقال فايد فى خبث هل معنى ذلك لا يحضر . . قال حسام الآن هو مجند على الجبهة قال فايد . . منذ متى لم يحضر . . قال حسام . . لاأدرى بالضبط لأننى أتدرب عسكرياً للتطوع رغم أننى وحيد . . وقد يكون حضر وأنا خارج البيت ثم أراد أن يحول مجرى هذا الحديث فسأله . . هل لك أولاد ياخالى . . يسرنى أن أتعرف عليهم فقال فايد . . ولد واحد فى مثل سنك وسوف تعرفه عندما يحضر لأنه تطوع منذ شهور رغم أنه لم يتم العشرين من عمره . . فقال حسام . . لقد عرفت كيف تحسن تربيته بدليل أنك غرست فيه حب الوطن والرغبة فى التضحية بارك الله فيه وفيك . . أنا أحمد الله لأن أبى الدكتور وفقه الله فى تربيتى كما عنيت بى أمى عناية لم أعهدها فى الأمهات الأخريات كما أشاهد أمهات رفاقى اللاتى أعرفهم فغمغم فايد كأنه يخاطب نفسه . . لهما الشكر فعقب حسام الشكر وحده لا يكفى أنا مدين لهما بحياتى وهنا قدم له فايد قصاصة الخبر الذى اقتطعها من الصحيفة وقال له . ما رأيك فى هذا ؟ أيمكن لرجل مثل أبيك أن يطلق زوجة مثل أمك بدعوى أنها عاشقة لربيب لها ؟ ؟

فنظر إليه حسام نظرة كبرياء كأنه ينظر بعيني أمه وقال إذا كانت مثل أمي : فهو تعالت عن الاثم عندما طلقها وسرح فايد بذهنه بعيداً متخيلا يوم ولد ويوم استولى عليه خفية بمساعدة انسجام وهو اليوم شاباً وسيم الطلعة ناضج الفكر طاهر العاطفة بفضل رعاية أمه ووجد نفسه مسوقاً إلى مصارحته فقال : اصغ إلى ما أقوله لك يا ولدى بعقل يتفهم حقيقة صراحتى دون اندفاع ، مسرة أمك هذا حق . . ولكن وسكت متردداً خشية أن يصدمه إذا عرف أن الدكتور ليس والده . وأشعل السيجار ليفكر كيف يصارحه . . فقال حسام . . ولكن ماذا ياخالى . .فاستجمع فايد شجاعته وقال الدكتور ليس والدك ، فريع حسام وقال . . الدكتور ليس والدى . . وسرح بخياله مستعيداً ذكريات طفولته حتى أصبح هكذا فقال . . هذا افتراء ياخالى صدقنى . . إنه والدى إذلا يمكن لزوج أم أن يعامل ابن زوجته كما عاملنى فى طفولتى وصباى وحتى الآن لقد كنت عنده البارحة فى المستشفى فلقينى لقاء الوالد الحنون بولده الوحيد . . . .

فعاد فايد يقول . . أقسم لك ياولدى وسوف ابرهن لك . . لقد تزوجت أمك فى باكورة صباها برجل أنجبت منه ثم خان الحظ زوجها أو على الأصح سيطر الشيطان على عقل هذا الزوج فسيره فى طريق شائك معوج وسوف تعرف تاريخ هذا الزوج أعنى والدك فى الوقت المناسب. . المهم اغفر لأبيك ما تقدم من ذنبه فقال حسام أظن من حقى أن أعرف والدى إذا كان ما تقوله حقاً قال فايد . . ستعرف من والدتك كل شئ عنه إذ قد تشك فيما أقول. فتنفس حسام الصعداء وقال . . حمداً لله إن الله لم يحرمنى من أمى وحسبى هى وإن كنت أتوق لمعرفة أبى فقال فايد إذا كنت تعاهدنى على أن تغفر له وتحبه كما كنت تحب والدك الدكتور فقاطعه حسام . . . . . . أكذب عليك إذا أكدت لك ذلك أن حبى لوالدى الدكتور حب عمرى كله منذ نشأت تحت رعايته ولا يمكن أن أجازيه بالعقوق أو الجحود وسيظل حبه يحتضن حب أمى فى أعماق حتى نهاية حياتى ويؤسفنى أن أعترف لك ياخالى فى شئ من المرارة والأسى أننى لاأستطيع أن أحب ذلك الرجل الذى تزعم أنه أبى حبه

الإبن لأبيه فقد ملأ فراغ قلبي وملك مشاعرى حبى لأمى وأبي الدكتور وليكن ما يكون . . وهنا أطرق فايد وقد دمعت عيناه وقال . . له الله ياولدى فاستطرد حسام على أن ذلك لايمنعنى من معرفته ورؤياه لأعرف على الأقل سبب طلاق أمى منه . . وأنهى فايد حديثه بأن والده تاب إلى الله وسلك طريقه ووعده بأن يتيح له فرصة مقابلته أمام أمه على أن يساعده لتغفر له وليكن شفيعاً له عندها والله يتولاه برعايته ولم يعن حسام معرفة التفاصيل قدر عنايته بصحة إنتسابه لأمه مستشعراً بأحاسيس صافية لايعكرها ضباب مخاوف الأوهام واستأذن خاله لكى يذهب إليها خشية أن تقلق عليه ولما وجدها تدعو الله بعد صلاتها وفى عينيها أثر التهاب يبدو من فرط البكاء فأقبل عليها مطوقاً عنقها بذراعيه على غير عادته وعندما هم بتقبيلها ردته عنها فى حياء وهى تنظر إليه نظرة تنهى ولدها عن أمر ما . . ولكنه لم يرتدع كما كان عندما يحاول أن يقبلها شاكراً لها تحقيق ما يريده وكانت تحجم كلما راودتها نفسها بتقبيله خشية أن تنبه أحاسيس الرجولة إذا لمستها نعومة الأنوثة الرقيقة وكانت تحاول دائماً أن تكبت عواطف الأمومة خوفاً من زوجها ومع ذلك لم تسلم من هواجس ظنونه ولم يمنعها ذلك من شكر الله الذى تفضل عليها بهذا الولد الذى يحبها حبا أشبه بالتقديس والعبادة ولم يكد يستقر بجانبها حتى سرد عليها الحديث الذى جرى بينه وبين خاله وسألها رأيها فيما زعم وكان ميعاد تناول العشاء تأخر لتأخره فى الخارج فقالت له . . تعال نأكل أولا ثم نتحدث فيما تريد وحاولت أن تشغله أثناء تناول الطعام بأحاديث أخرى تتعلق بدراسته ثم تكلفت الرغبة فى النوم لصداع شديد ألم بها ولجأت إلى فراشها بعد أن قالت :
لم يبق على الامتحان غير أيام معدودة فلا تشغل ذهنك الان بغير دراستك . .
وعندما خلت بنفسها واستعادت حديث حسام خيل إليها أن فايد عمد إلى مكاشفة الولد بعدم إنتسابه إلى الدكتور ليجعل منه قنطرة يعبر عليها ليصل إليها وإن كان لايزال يلبس مسوح الخال وفى الصباح لاحظ ولدها عليها الوجوم السروح والشحوب فأقبل عليها حانياً قائلا ... لاتفكرى فى الماضى ياأماه :

حسبك أنا ..أليس كذلك؟ لقد غفرت لأبى إن كان حقاًما صارحنى بهخالى لأنه تاب إلى الله وسوف يؤدى فريضة الحج ليستشفع بالرسول صلى الله عليه وسلم كى يقبل الله توبته فاغفرى له وقد أوصانى خالى بهخيراً وهنا تسللت حرارة أنفاسه إلى اعماقها فنبهت يقينها واحساسها العميق وشعرت بصدق ما يقول واندفعت تنفس عن حبها له بتقبيله على عادتها كأنها تبصم على رأسه وفوق الجبين على الخدين والشفتين والعنق والكتفين خاتم الأمومة راجية الله أن يطيل عمرها حتى تراه أسعد مخلوق بزوجة صالحة وذرية جديرة به وغمر حبها قلب أبنها فشعر أن فيضا من نور الله ملأ كل جانحة فيه .. وفى الوقت الذى يعلم فيه فايد أن حسام لابد أن يكون فى المنزل ذهب اليه وقابله كما تعود أن يقابله وحاولت مسرة ألا يراها فشغلت نفسها ببعض المهام فى غرفتها الخاصة وأدرك فايد أنها عن عمد لا تريد رؤياه فقال لحسام أن والدك فى انتظار السماح له بمقابلته لكن يتحتم أن أسمع من والدتك التصريح له بالمجئ الآن واستدعى حسام والدته قائلا . . خالى يريد أن يأخذ رأيك فى أمر يتعلق بى فأرجو مقابلته وأبدى دهشته مردفاً . : ما سبب تجنبك إياه مع أن المفروض أن ترحبى وتفرحى بلقياه لأنه الأخ الوحيد لك فلم تعقب وارتدت ملابسها فى احتشام كأنها ستصلى ورافقت ابنها ودون أن تجلس سألته .. خيراً إن شاء الله .. فقال لها .. ابنك يريد أن يرى والده فما رأيك فأخذت وقالت إذا كان حياً .. حسبه خاله .. فنظر إليها قائلا .. يجب أن يعرف ابنك الآن كل ما يتعلق بأبيه وبك . . لم أشأ أن أصارحه بكل ما يجب أن يعلمه إلا على مسمع منك لكيلا يرتاب ويواجه الواقع .. وأنا معك أن والده الذى كان زوجك فيما مضى مات شيطانه وتنبه ضميره واستعاد دينه وبات جديراً بأبوة ولدك وولده . . وتدخل حسام وسأله ولماذا افترقا وأمى خير مثل للزوجة الصالحة والأم المثالية الكاملة . . فقاطعه سأترك أمك تقص عليك هذا الماضى وصدقها فيما تقول فهى لاتكذب أبداً .. واتجه حسام إلى أمه قائلا أرجوأن تسمحى لخالى بمرافقة والدى

لكى أراه فلزمت الصمت .. فعاد فايد يقول . . أما زلت ناقمة عليه علق حسام أن قلب أمى أسمى من أن يحقد على كائن مهما كان فما بالك بأبى الذى أنجبنى . وهزت هذه الكلمات مشاعر مسرة وهمت بالكلام ولكن الكلمات وقفت فى حلقها وانتهزت فرصة آذان الصلاة فاستأذنت لتؤديها فلما انتهت منها لزمت الصمت قال فايد .. إذن لابد أن أضع حداً لبلبة ذهن ابننا لكيلا يضيع وقته فى التفكير فيما لا طائل منه وأخرج من محفظته ورقة ميلاده قائلا فى شجاعه واعتداد . . أنا أبوك ياحسام وقدم له ورقة ميلاده مردفاً . . عندما اختلفت مع أمك لأسباب خارجة عن إرادتى أخذتك خلسة وسلمتك لأختى فى الصعيد أما كيف عدت إلى أمك فسوف تعرف فى فرصة أخرى أمك أيضاً إذ الذى يهمنى الآن أن تغفر لى أمك ماضى من أجلك لا من أجلى وسكت ليسمع منها ما يطمئن ولكنها لزمت الصمت إذ غمرتها مخاوف مبهمة على نفسها وعلى ولدها وقالت غفر الله لك فانتصب واقفاً وقبل ابنه قبلات الأبوة الحانية الخالصة ثم قال . . اترككما الآن ولنا لقاء آخر تكون فيه أمك أوفر سماحة وعلى أثر انصرافه شعر ابنه بأنه شد مشاعره إليه وطوق أمه مقبلا ثم قال لماذا لم تخبرينى بأن الدكتور طلقك لاعتقاده أنك..ولم يستطع إتمام الكلام فقالت .. أنا لا أعلم أنك ابنى بحق إلا من حديثك البارحة ويعلم الله كم كنت حريصة على أن أتقى الله فى والدك الدكتور ويجب أن تعتبره كذلك إلى نهاية عمرك ولعلك تذكر كيف كنت أحرص على ألا أثير مشاعره عندما اكتملت ونضجت خشية أن يطغى شيطان الشباب عليك لعلمى أن الحاجز الطبيعى الواقى لا وجود له بيننا لأنك لست ابنى كما كنت أظن حريصة ألا أظهر أمامك عارية وذلك لا يضير الأم إذا حدث أو أراك عارياً ومع ذلك لم أنج من أقاويل المرجفين فقد اتهمونى بأننى فتنت بك بعد أن انتشر خبر طلاقى دون علم الدكتور أو علمى وكم بالغوا فى الأراجيف مما جعل حياتى تثير الأسى والألم فى نفسى دون أن اشعرك بذلك حريصة على ألا تسمع ما يريب لتعيش

فى هدوء وأمان ولما استعادت هدوء نفسها بجواره توسل إليها أن تسمح لوالده أن يتردد عليهم وبذلك تضيف الى مآثرها ما يجمل الحياة فى ناظريه مؤكدا صلته به عن قرب سوف تشعره بضرورة التزام كل ما يرضى الله وبذلك ترد له اعتباره وتعينه على التعلق بأنبل المثل وأسماها وعندما كرر رجاءه لم تدعه يسترسل قائلة : أنا لا استطيع مطلقاً أن أقبله فى بيتى . . قابله أنت فى الخارج كما تشاء ماذا يقول الناس عنى ؟ ألا تفكر فى سمعة أملك وكرامتها ؟ قال . . أنه أبى . . قالت لقد غفرت له من أجلك ولكن رؤياه تنقلنى إلى الماضى البغيض وبدا عليها الإعياء وجففت دموعها وهى تنظر إليه مردفة بصوت تخنقه العبرات أيهون عليك أن ترانى أشوى أمامك على النار كما تشوى اللحم على السفود ترفق بى ياحسام إذ رؤياه تشعرنى بلهب محرق يكفى أن أعيش معه بعض لحظات ليحول مشاعرى إلى رماد فلا أشعر بوجودى ..أنا لم أقص عليك كل ماحدث بالتصريح واكتفيت بالتلميح لكيلا أبذر فى نفسك بذور الكراهية له فقال بصوت ينم عن الأسى ياأمى ياأحب مخلوق لدى . . . . . لقد فعلت من أجلى أكثر مما تفعله الأم من أجل ابنها وسأفعل أنا من أجلك مايفوق طاقة الأبناء من أجل هذا المطلب قالت ذلك فوق احتمالى فركع عند قدميها راجياً فى إلحاح متوسلا بقبلات رأسها ويديها وظل نقاشهما كل منهما يحاول أن يقنع الآخر وأخيراً أتفقا على أن ينتقلا إلى مسكن آخر لكيلا يعرف الجيران الجدد كل ما يتعلق بحياتهما وبعد أن انتظمت حياتهما فى المسكن الجديد استأذن حسام والدته فى استقبال والده فوافقت على مضض على شريطة ألا تقابله وألا يتعدى غرفته الخاصة ولم يشأ أن يرغمها على مقابلته لما يبدو عليها من ألم وضيق لمجرد ذكر اسمه ومضى اليوم حتى انتصف الليل فاستأذنها أن تسمح لوالده بالمبيت معه إذ لاحظ عليه انحرافا واضحاً وقد زادت برودة الجو من توعكه وبعد معارضتها وافقت على ألا يتعدى حدود غرفة ابنه وفى اليوم التالى عز على حسام أن يرى أمه دامعة أبداً شاحبة الوجه وبدت كأنها تفتات آلاما مبرحة وكأنها مريضة منذ مدة إذ بدا عليها الذبول وضمور وجنتيها وأيقن أن مجئ والده هو مبعث هذا الأسى الذى سيطر عليها فحز ذلك فى نفسها ووجد نفسه .

مشدوداً إليها بعواطفه يود لويفدى ما ألم بحياته وتحير فيما يجب أن يفعله فهو ملزم برعاية والده المنكوب الذى فقد العون والرعاية واضطر أن يصارح أمه بذلك راجياً منها أن تتجاهل وجود والده ريثما يسترد عافيته بعد الوعكة التى طرأت عليه وغامت عيناها بالدموع وهى تقول بأنفاس ألمها المكبوت والألفاظ ترتجف بين شفتيها المرتعشتين المبللتين بالدموع : لتكن مشيئتك ياولدى وبحرارة الحب العميق طوقها بذراعيه وظل يغمرها بقبلاته التى لم ينقطع عنها إلا على صوت أبيه وهو يناديه فأيقن أنه صحا من نومه وهرع مسرعاً ليعد له الشاى بنفسه وأثناء تناول والده الشاى أشار إليه ليقترب منه قائلا : أن أمك غير مرتاحة لوجودى هنا بدليل أنها تتجنبنى وتنهد متحسراً وغمغم بصوت خفيض ينم عن الحزن والأسى إلى هذا الحد تكرهنى لشد ما أنا حزين لهذا ياولدى ، ولا أكتمك أننى كرهت نفسى بقدر ما كرهت الحياة ولولاك لما تعلقت بها حتى الآن . لقد كنت آمل أن أراك قبل مماتى وقد حقق الله أملى ورأيتك على صورة لم تكن فى حسبانى فرحباً بالموت إذا حان . فارتاع الإبن وقال أتشعر بتعب يا أبى ؟ قال : أنا مصاب منذ سنين وهو داء مزمن لا علاج له يا ولدى وماذا تنتظر ممن اتخذه الشيطان رفيقاً منذ بدأ يستقبل الحياة بغريزته بلا رادع ولا وازع ولا رقيب . . بوركت ياولدى وبوركت أمك وحفظكما الله من كل سوء . . أشعر بقلبى يختنق فدعنى أخرج لكيلا أعكر عليكما صفو حياتكما وقد أعثر على مأوى آخر أجد فيه صدراً رحيباً فاشتد هلع حسام وأقبل عليه حانياً مشفقاً قائلا ستجد فى صدرى كل ما يعوزك من حب ياأبى فربت والده على كتفه وهو يقول : أشعر بذلك ولكنك لم تزل فى حاجة إلى من تقوم على خدمتك وتسهر على راحتك لتواصل دراستك إذ لن ينفعك غيرها بعد أن تفقد الراعى والمعين بعد أمد قصير أو طويل مد الله فى عمر أمك من أجلك ياولدى . . إن جميع الكنوز التى يدخرها الإنسان تفنى بالصرف مع الاستهتار أو إذا امتدت إليها يد اللصوص . . أما الكنز الذى يحتفظ به الإنسان فى رأسه . . فإنه لا يفنى : لأنه كنز العلم والإيمان وهما

في حماية الله ورعايته. وسكت إذ بدا التأثر على وجه ابنه حيث تندت عيناه بالدموع وهو ينظر إليه مشفقاً وجذب يده مترفقاً قائلا : لن اتخلى عنك ياأبي ولا تسئ الظن بأمي إن لها قلباً كبيراً وروحاً رحيما ولكنها تحذر القوالين والزمن وحده كفيل بتضميد جراحها فاطمئن . . فقاطعه الوالد . . ثمن الخبز لهاولك أن أبرح هذه الدار فقال حسام في إصرار لن تبرحه إلا لتزاول عملا فاغتصب الوالد ضحكة منغمة بالأسى وغمغم . . . أى عمل هذا ؟ وصحتى كما ترى لا تساعدنى على العمل فقال حسام أعرف ذلك ولكنه إشراف . . والصدفة هى التى ساقت لك هذا العمل فقد حدث أن استدعانى زميلى لمرافقته الى رجل صديق لوالده ليفوض له الأمر فى بيع المخبز الذى كان يملكه والده ليقضى فيه وقت فراغه بعد عمله الحكومى ثم نقل إلى بلد بعيد واضطر أن يبيع المخبز الذى كان يملكه ليقضى فيه وقته وكلف زميلى بالبحث عن مشترى من أصدقاء والده ولقد أشغلنى تفكير زميلى وحيرته وكان من الطبيعى أن أخبر والدتى بما جرى حيث تعودت أن أنقل إليها كل ما يطرأ على طوال اليوم وقلت لها فيما قلت أخشى أن أكلف والدى بشراء المخبز لحسابه ولكى يشرف عليه فيفسر ذلك بالرغبه فى الحصول على ماللديه من ميراث أخته . . ولم تدعنى أسترسل فى حديثى وقالت . . اشترى المخبز ياولدى من مالى الخاص وقدمه هدية منك لوالدك لكى يقضى ماتبقى من عمره شريفاً موفور الكرامة من أجلك وسلمتنى المبلغ المطلوب وغداً أرجو أن ترافقنى لإجراء اللازم ولتسلم المخبز وسوف أكون بجانبك فى وقت فراغى لأقوم بما يصعب عليك القيام به من أعباء وعليك الآن أن تنام مستريحا ثم غادره ليطمئن على والدته فى غرفتها قبل أن يبدأ فى استذكار درسه ولشد ماهاله رؤيتها باكية بغير صوت ولما سألها عن سر بكائها جففت دموعها وهى تبتسم مغالبة أساها الدفين مغمغمة لاشئ ياحبيبى فقال بلهجة

الحب العميق والحنان الأكيد ولكنك تبكين ؟ فتكلفت البشر وهى تقول آه ياولدى هناك مشاعر تطوف بالصدر لا يمكن تصويرها قال اتكتمين عن ابنك ومن يضمد جرحك إلاه أن كان ثمة جرح لم يندمل ؟ قالت ياحبيبى لاتشغل نفسك بغير مستقبلك . . لاتشغل نفسك بى وبأبيك إننا مازلنا نسير دون عصا ونرى الأشياء واضحة . . فطوقها بذراعيه وهو يقول ألا يصح أن يكون تفكيرى فى راحتك مفتاحا لإيجاد السعادة لمن تعوزهم السعادة وأن تشجعنى متاعبى من أجل أبى على اكتساح متاعب المتعبين فعاونينى على أن أهيئ لك ولأبى الطمأنينة والاستقرار ليطمئن قلبى ويرتاح ضميرى ولاسبيل إلى ذلك إلا بجمع شملكما ولا أظنك من أجلى تمانعين . . ولم يكن يتصور أنه بهذه المصارحة قذف بها فى أتون من النار ولم تستطع مقاومة أنفعالها فأخفت وجهها بيديها لكيلا يرى اللهب المتطاير من عينيها وكأن الماضى بأهواله تجسم أمام عينيها فقالت بصوت مرتعش النبرات دامع الكلمات . . هذا محال . . محال أتفهم معنى كلمة محال وإياك أن تفكر فى هذا وإلا اضطررت إلى ترك البيت لك ولأبيك فترفق بها وطوقها ليقبلها قائلا : يبدو أنك متعبة الآن فاستريحى وأرادت أن تؤكد له أنها لن تحيد عن إصرارها فجرته فى حنان وأجلسته بجانبها قائلة : : : حاول أن تفهم ما أريد أن أفهمك إياه بعقل غير خاضع للعاطفة . : قد يصح أن تكره إنساناً فى أول تعارفكما ثم تتكشف لك الأيام عما تحب فى نفسه فيتحول الكره إلى حب أكيد وقد تحب إنساناً ثم يتضح لك أنه كان يلبس مسوحاً يغرى على الحب وهو فى حقيقته لا يستحق هذا الحب . . لقد أحببت أبيك يوم تزوجته الصورة المثالية التى عرف بمهارة كيف يلبس مسوحها فلما بان على حقيقته واكتسحت شمس الواقع ضوء الصورة التى مثلها فبانت باهتة ثم تلاشت وتلاشى معها حبى . . أحببت فيه إنسانيته فلما ظهر لى الشيطان الجاثم فى أعماقه لم أستطع التعلق به ، والآن كلما رأيته تصورت شيطانه يطاردنى

بآلام الماضى ومآسيه . . . ؛ لا . . . لا ياحبيبى لا يمكن مطلقاً أن أرتبط من جديد برجل لم يترك فى نفسى من آثاره غير جروح شيطانه ولو كان هذا الرجل والد أحب الناس إلى فى هذه الدنيا فلا تحاول التحدث فى هذا الشأن وانصرف إلى دراستك لقد سمحت له بالإقامة معك ليطمئن قلبك ولأمنحك فرصة للقيام بواجب الإبن نحو أبيه مهما كان شأنه ووضعت مالى تحت تصرفك لرعايته فمن أجلك يهون كل شيء . . . . حسبى من الحياة أنت وتسكت لتنهد فى تحسر ومرارة بينما يصعب على حسام الكلام فيتركها مطرقاً متألماً لها وعليها وفى طريقه إلى غرفة أبيه يلحظ أنه يتسلل فى حذر على صورة تثبت أنه كان يسترق السمع فيتجاهل حسام أمره ويدخل عليه كأنه يريد أن يطمئن عليه فيراه مرتمياً على المقعد منهوك القوى يلهث كأنه يبتلع آخر لهاثه وقد تصبب العرق من جبينه واضطربت أنفاسه وأشتدت حتى تحولت إلى أزمة قلبية واضحة وريع حسام وأستاذته ليستدعى الطبيب ولكنه أشار إليه لينتظر ثم أخرج من جيب سترته الدواء الذى تعود على أن يتعاطاه فى هذه الحالة وتريث حسام حتى استعاد الوالد انتظام قلبه وطلب منه أن يتركه لينام فأبى وظل بجواره حتى بدا عليه أثر النوم المريح ومضت بعض أيام والأم لاهيه لشئون بيتها ورعاية ولدها . . . وبينما كان فايد فى المحبز يفكر فيما مضى آناً وفى حاضره أحياناً وكراهية مسرة له رغم محاولات إبنه التى يلحظها أحياناً ويتسمع حوارهما آناً انتابه الأزمة القلبية ولم يكن فى وسع من معه غير إستدعاء الإسعاف التى حملته إلى أقرب مستشفى وبينما يقوم الطبيب الكشف عليه خيل إليه أن هذا الوجه مر به ولكن متى وأين لا يدرى وظن أنه بينما كان من مرضاه منذ سنين طوال وكان أحدهما فى مستهل شبابه . . : وأثناء إنصراف الدكتور من المستشفى عند مغادرته الباب الخارجى استوقف نظره . . شاباً يدلف من تاكسى فى هلع واضح ووقع نظر الشاب على الدكتور فخلع منظاره وتقدم منه ليصافحه فى إضطراب وتلعثم وحيرة فيما يجب أن يناديه به . . . وقبل أن

يتكلم أسعفه الدكتور قائلا . : أهلا حسام كيف حالك ياولدى . ألك صديق مريض هنا : . واضطرب حسام وارتجف ولم يدر ماذا يقول . . وخاف أن يصارحه فينتقم من أبيه . فقال . : إنه والد زميلى فقال الطبيب ماذا به . . فأجابه علمت أن الإسعاف أحضرته إلى هنا فقال الطبيب أظنه المصاب بنزلة حادة فى القلب . . طمئن زميلك . . لقد كتبت له العلاج اللازم وعند عودتى سوف أمر عليه والله معه . . وعندما دخل حسام بعد اعتراض البواب وتصريح الطبيب راعه منظره فازداد هلعاً وسمعه يردد بصوت مرتجف متقطع الأنفاس مسرة . . مسرة . . سأمحينى من أجل ولدنا وخيل إلى حسام أن رؤية المريض لأمه تعيد إليه الأمل فى الحياة فأسرع إليها وأرتمى عند قدميها وهو يقول بصوت كسير يحفه الألم البالغ . : أبى يحتضر ثم جذبها وهو يقول لاتحبسى قلبك وراء قضبان الماضى . . تصورى أنه مجرد مريض على حافة الموت وفى يدك حياته فرافقته دون كلام وفى الطريق أخبرها أن الطبيب الذى أسعفه الدكتور مؤنس ولم يشأ أن يخبره بأنه والده خشية أن ينتقم منه وأخشى أن يعلم فكيف أعفيه فابتسمت أمه على مضض وقالت فى حزم وهدوء وهى تربت على خده . . لا ياولدى . . دعه يعالجه إن قلبه قلب ملاك لا يعرف الإثم ولا الثأر وليس الذنب ذنبه فيما حدث كان يجب أن أكون أكثر حكمة ولكن حبى لك كان أقوى من حكمتى وهنا قاطعها . : أفهم من ذلك أنك كنت تحبينه . . فأطرقت وهى تقول دعنا من الماضى بشره وخيره . : وإن كان الخير فيه هو الذى مدنى بروح من عند الله فقال فى دعابة : : الآن فهمت لماذا لم تستجيبى لرجائى وتعودى إلى أبى . : فقبلته ثم تنبهت أنهما فى التاكسى فقالت بصوت مرتفع لكيلا يسئ الظن بها السائق : : ياولدى حسبى أنت فعاد يقول فى دعابة وإذا قلت لك الدكتور يطلب يدك فقاطعته : ياشقى لقد وصلنا إلى المستشفى وعندما دخلا إلى غرفته وجد حسام سريره خلواً منه فسأل عنه فقيل له أن الدكتور النوبتجى أمر بخروجه تلبية لرغبته

إذ لم يشأ أن يمكث فى المستشفى وفى طريق عودتهما قال حسام لأمه . ألا يحتمل أن يكون الدكتور مؤنس عرفه وتجاهل وأراد أن يعفى نفسه من علاجه فقالت أمه . . ثق بأنه لم يعرفه ولن يعرفه لقد رآه يوم كان شاباً وسيماً فى أتم صحة أما الآن فقد أصبح ضامراً هزيلا إلى حد تغيرت معه ملامحه كأن الأحداث التى قام بها تركت آثارها على وجه كيانه مسكين وتنهدت متحسرة مردفة غفر الله له وعقب حسام مسكين عاش كالشريد فعلقت الأم لأنه أتخذ الشيطان رائداً له وغلبها الأسى فقد دمعت عيناها مغمغمة لكم حاولت أن أثنيه عن طريقه ولكن الشيطان كان أقوى منى وا أسفاه وعادا إلى البيت وأسرع حسام إلى غرفته على أمل أن يجده فيها ولكنه لم يجده وأخبرته الخادم أن رسولا من قبله حمل إليه رسالة قدمتها له . . فقرأها فإذا بها مكتوبة بيد مرتعشة يقول له فيها . . كنت أستأجرت غرفة بجوار المخبز قبل أن أصاب بما أصبت به وكان فى نيتى أن أصارحك بذلك قبل أن أنقل إلى المستشفى معذرة ياولدى . . يجب أن أبتعد عن أملك لكيلا أثير ذكريات لاتفارقها مادمت فى بيتها . . وحسبي أن أراك بخير وفى سعادة وأطمئن عليك دائماً . . أطلب منها أن تسامحنى ياولدى وكن شفيعى لديها . . ودون كلام خرج مسرعاً وكانت أمه دخلت غرفتها تاركة إياه مع والده . . وعرف عن طريق عمال المخبز مكان غرفته فذهب إليه وفى نيته أن يثنيه عن هذه الرغبة ويعود به إلى المنزل فوجده نائماً نوماً عميقاً فلم يشأ أن يوقظه وتريث حتى يستيقظ من تلقاء نفسه وفكر فيما يجب أن يفعله لكي يؤثر عليه خشية أن يرفض العودة معه فعاد إلى أمه على أمل أن يؤثر عليها لكى ترافقه وتدعوه معه للعودة إلى البيت . . وعندما دخل عليها غرفتها فى هدوء وجدها تتأمل صورة الدكتور مؤنس ولأول مرة يراها وعلى لحاتها مايجيش فى صدرها من مشاعر لاشك أنها تحوم فى تلك اللحظة حول الدكتور وازداد موقفه تعقيداً وصعب عليه كيف يسعد أمه أيردها إلى الطبيب ومشاعرها كما يتراءى له ترجح ذلك

ولكنه تذكر والده فأرجأ التفكير فى ذلك ريثما يتعافى والده إذ يشغل كل تفكيره الآن وبعد الرجاء والإلحاح المصحوب بدموعه وتوسلاته رافقته فلما اقتربت منه أرتجفت وكادت تتراجع لولا مشاعر الرحمة التى سيطرت عليها حينما قربها منه ولدها قائلا . . دعيه يسمع صوتك وبصوت هامس أردف تصورى أنه غريب غريق فانقذيه . . ووقفت عند رأسه تناديه . . فايد . . . فايد سامحك الله وفتح عينيه وحرك شفتيه ليتكلم فصعب عليه الكلام وظل نظره عالقاً بها وبصوت منغم بالأسى والحزن على مصيره المفجع قالت . . عد مع أبنك إلى البيت لكيلا تعطل دراسته إذا أضطر أن يظل بجوارك فكن رحيما به وبنفسك وعاد معهما خاضعاً كما يخضع الطفل لأمه وبعد أن هيأ له سبل الراحة بمعاونة أمه خلا بنفسه فى غرفته لمراجعة ما فاته من محاضرات وقطع مذاكرته صوت والده يناديه فلما اقترب منه استرد وعيه إلى حد تنفس الصعداء فى بطء قائلا بصوت متقطع الأنفاس أشعر بنهاية حياتى تقترب منى ورغم انهمار دموعه يقول . . ليكن . . . . كنت أريد أن أموت على صدرها ولكنها لاتريد. فاتكن مشيئتها ويلمح حسام والده يتنفس بصعوبة فيحنو عليه قائلا . . أنت اليوم أحسن حالا وعلى وجهك إشراق الصحة بادياً وهز الوالد رأسه. بمعنى هيهات وهنا يسمعاصوت الأم تنادى مؤنس . . وكأن عقربا لدغ الأب فيقول . . أسمعت أنها تناديك باسمه خانها الوعى فيبتسم حسام قائلا . . أنسيت أنه الاسم الذى ولدت به ونسب إليك فى شهادة الميلاد. ولاحظ حسام أن الأزمة توشك أن تعاوده فغير مجرى الحديث قائلا . . أنها تدعونى لكى أحضر لك الطعام وقد صنعته بيدها حسب تعليمات الدكتور. فلم يعقب الوالدو نظر إليه بعينين دامعتين و بشفتين مرتعشتين قال : أحيانا تدفعنا الظروف إلى عمل مالا نحب ونتجنب مانحبه من أجل مانكره فقاطعه ولده ملاطفاً فى دعابة أتراك جربت فقال الوالد بلهجة تقاطعها التنهدات . . أغلب أيام حياتى بل كلها لم أشعر بحياتى كما كان يجب أن تكون إذ لم

تستطع امرأة واحدة أن تملاء فراغ قلبي وفى الوقت الذى تزوجت أمك كنت مصاباً بعمى القلب فلم أتبين جوهرها وبهذه المناسبة أوصيك ياولدى ألا تختلط بأبناء السوء الذين يعيشون بعيداً عن الله ثم يحز على شفته فى ندم مردفاً .. ليتنى وجدت من يفتح قلبى على هذه الحقائق منذ صباى وليت أبواى عالجوا عمى قلبي منذ تفتحت بصيرتى على مغريات الحياة وأضاليل المجتمع وقاطعه حسام وقانا الله شر السوء وحمدا لله الذى أنشأنى بين أبوين طاهرين من كل سوء فاستطرد والده فى سنك هذا ياولدى لابد أن ترتطم بتيارات الحياة المختلفة شرها وخيرها لذلك يجب أن تتحصن من التيارات الجارفة لتنجو من شرها فنظر إليه حسام مستوعباً ماقاله ومعقبا ولكن كيف أفرق بين أسلوب الخير الدافع للخير وأسلوب الخير الدافع للشر وهنا لك من يتخذ أسلوب الخير رفيقاً عذباً لطيفاً ذا منطق وجيه فقال الوالد بصوت هادىء تنم نبراته عن اليقين الصادق اقرأ القرآن ياولدى واستوعبه وعش مع كل معنى من معانيه فإذا وعيته تماما سبق حسك المدرك عقلك اللامدرك واستطعت بالهام من ربك أن تفرق بين الحق والباطل فنظر إليه ولده دهشا وأراد أن يسأله سؤالا ولكنه توقف لحظة ليفكر كيف يبدأ بينما ظل نظره عالقا بنظر أبيه كأن عينيه سبقتا منطقه فى التعبير عما يريد وأدرك مايجول بذهنه فقال : علك تسألنى ولماذا لم أعمل بهذا المنطق ويؤسفنى أن أعترف لك فى شىء من الخجل منك .. صدقنى ياولدى .. أننى أشعر بخجل يوشك أن يحطمنى كلما نظرت إليك .. المهم أحب ان تعرف اننى قرأت القرآن ووعيته ولكن بعد أن أضلنى الشيطان طويلا وليتنى قرأته منذ طفولتى كما توجه الدولة الآن صغار الأطفال إلى تحبيبهم فى حفظ القرآن بمكافآت مادية تتناسب مع قصر تفكيرهم حتى إذا تمكنوا من وعى ما جاء به لن يعوزهم التشجيع أو المكافآت اذ سوف تتعلق أرواحهم بتعاليم القرآن فيعملون وفق نصوصه دون توجيه ولو كان هذا شأنى فى طفولتى أو

مستهل شبابى لما تمكن الشيطان لعنة الله عليه منى وهأنذ بعد أن قرأته بقلبى وأدركته بعقلى واستضأت بنوره عرفت طريق الله . . . دخلت السجن وبودى لو أخنق كل انسان امتدت يده إلىّ بسوء ولما قرأت القرآن ووعيته فى السجن ثم خرجت منه تمنيت الله لو تتاح لى الفرصة لأحسن إلى كل من أساء إلىّ وسكت ليسترد أنفاسه بينما رفع حسام نظره إلى السماء ليشكر الله ولاحظ الوالد ذلك فقال : أنا مطمئن عليك لأن أمك صانت قلبك وهذبت عقلك فعدت بفضلها إنسانا وحسبك هذا . . لقد وقاك الله بفضل رعايتها الكاملة عواصف الاهداء فلم تصرعك وأدعو الله أن يحفظك أبداً مطهراً من كل سوء وعقب حسام عندما سكت ليتنهد متحسراً على ماضيه الذى رافق فيه الشيطان .. فعلا أحمد الله الآن والدتى حصنتنى بالإيمان وعودتنى منذ الصغر على تأدية فرائض دينى فلم أتخلف عن الصلاة منذ التاسعة من عمرى ولم تعتمد على مذاكرة القرآن وفق منهج الدراسة بل عودتنى على أن أوليه عناية خاصة ومر بخاطره تصرف زملاءه اللاهين فى الكلية فسأل والده بودى لو أهيب بزملائى إلى اعتناق دينهم بتفهم ووعى وتنفيذ لا مجرد اعتناق ورائى لاأثر فى تقويمهم فقاطعه الوالد أنها مهمة صعبة فى باكورة الشباب تحتاج لطاقة زوحية هائلة ومناعة حصينة تقيهم شر مغريات الشيطان وإغراء الشيطان يعمى القلب كما قلت لك لأن القلب معين الإيمان وهو الذى يرتفع به إلى الله لذلك أعمانى الشيطان فلم يمكنى جوهر أمك فلما غلب إيمانى بعد قراءة القرآن شيطانى تبدد إلى دخان لم يلبث أن انمحى من أمام بصيرة قلبى لاح لى جوهر أمك . . ولكنى بعد ما أن أذهب من طريقى وان لم تذهب من تفكيرى وحسى وأطرق يتنهد والحرقة تغلف أنفاسه فترفق به ولده ليخفف من حدة آلامه وقال حين يدرى ماوراء الغد فاستطرد والده قائلا . . . المرأه لا تحب فى حياتها حبا صادقا فدائيا غير مرة واحدة لقد أحبت أمك الدكتور وليتسنى فى مقدورها أن تحب مرة أخرى حتى ولو حاولت ترضية لك . . . فقال

أبنه والغصة تذيب آخر كلماته . . إن أمي تعيش مع حب الله وقد صارحتني وهي صادقة انها أحبتك يوم تزوجتك قال الوالد هكذا خيل إليها يومذاك إذ شأنها كأي فتاة في سن المراهقة يومذاك لاتفرق بين الزوج مادام يشبه الصورة الماثلة في ذهنها وكما تسميه فارس أحلامها وبين الحبيب والزواج ياولدى غير الحب فالحب لاغاية له ولاوسيلة أما الزواج فله وسيلة وله غاية قد تكون سامية عظيمة وقد تكون تافهة وضيعة الحب ياولدى لايرتبط بالمكان والزمان أو المسعى إليه بدليل أن أمك أحبت الدكتور وأحبها الدكتور قبل أن يتزوجها ومن المحتمل أنهما تحابا وكلاهما لايفكر في الزواج من الآخر لاستحالة طلاق أمك في هذا الوقت ولشد ما يحز في نفسي ألا أدرك ذلك إلا بعد أن هداني الله وأنار بصيرة قلبي وقد انفصمت علاقتهما الزوجية وأنا على يقين بأنها لم تزل تحبه لأنها أحبته للحب لاللزواج ولعله كذلك فقاطعه حسام ولكنهم يقولون ماالحب إلا للحبيب الأول فعقب الوالد قالوا للحبيب ولم يقولوا للزوج فأراد ولده أن يهدئ من التياعه البادى في لهجته فقال . . ألا تحتمل أن تكون أنت أول حبيب فأشار إليه بمعنى . . اسكت وبلهجة تدغدغها نبرات اليأس قال . . صدق أمك في كل ماتقوله فقدعرفتها لاتكذب أبدا وأعرف ياولدى كما عرفت أنا بالتجربة أن الكره والحب كالموت لإرادة القضاء ولزما الصمت حيث طاف برأس كل منهما الخواطر التي تتمشى مع أحاسيسه وتفكيره ولم ينبههما غير دقات الساعة التي ذكرت حسام بميعاد مقدم الطبيب فانتصب واقفا ليقول لقد نسيت أن أقول لك انني كلفت زميلي باستدعاء ابن عمه وهو طبيب ماهر — كما يقول زميلي لفحصك بعد انتهاء روشتة الطبيب ليأمر بتكرارها أو تغييرها وتوقف عن الكلام عندما سمع تنبية التليفون فأسرع إليه وكان زميله يخبره أن ابن عمه سافر في مهمة خاصة بعض أيام وقد ترك عيادته تحت إشراف زميل له وسوف يحضر نائبا عنه بعد محادثته وهو طبيب على مستوى رفيع في علاج

المرض الذى أشار إليه فيطمئن الوالد . لاداعى لكثرة المصاريف ياولدى أنا الآن بخير والحمد لله وبينما هما يتحدثان سمعت الأم طرقا على الباب وبعد أن فتحته الخادم وقبل أن يظهر الطارق أسرع حسام لمعرفة من القادم متوقعا مقدم الطبيب . . ولم يكد يقع نظره على الطبيب حتى ارتجف وانتفض وقال : أهلا وسهلا ولم يشأ ان يتمم . . اذ تحير بما يناديه . . . (بابا) أم بالدكتور . . ؟ وصافحه فى احترام وقاده إلى غرفة المريض وخيل للطبيب أن حسام فى زيارة الزميل الذى دعاه وقد أخبره أن المريض قريبه لكى يعفيه من دفع الروشتة بعد أن علم بأن المتحدث ابن عم زميله الدكتور الغائب على أن رؤية حسام أعادت له الماضى الذى لم يزل يتعلق به ولايستطيع أن يتناساه وقد أحجم عن الزواج رغم تقرب لفيف من العذارى المثقفات واللائى يعملن معه إليه على أمل أن يتزوج منهن ولكن لم يستطع أن يفتح قلبه ويسمح لإحداهن أن تحل محل مسرة فيه . .

وأثناء فحص المريض ترامى إلى مسمعه صوت مسرة . . تنادى حسام ولولا قدرته على مقاومة ماألم بنفسه لارتعشت يده وهو يقبض على مقياس الضغط . . إنه صوت مسرة . . وهذا حسام . . وتاه تفكيره فى تفسير هذا الموقف فى الوقت الذى لبى حسام نداء أمه وقبل أن يخبرها بأن القادم الدكتور مؤنس قالت . . من يكون هذا الطبيب لقد رأيت ظهره يشبه . . فقاطعها ولدها باسما . . الدكتور مؤنس فعلا إنه يشبهه تماما . . وهو دكتور ممتاز لذا أريد أن يفحصك ليقرر الحالة التى تمر بك أحيانا قبل أن تزداد . . فقالت . . لاداعى . . أنا أعرف متى أشعر بها ومتى تزول . . إنها حالة نفسية أكثر مما هى بدنية فتهلل والبسمة تهوم على شفتيه أعتقد انه يعالج هذا اللون أيضا وصفق الدكتور يدعوه ليخاطبه لإنهاء مهمته وأثناء حديثه مع حسام ترامى إلى أذنها صوته فبدا الإحساس يراودها كأنه هو . . وكانت أسرعت بعمل الليموناده وظهر الدكتور فى الردهة لينصرف وكانت تحمل كوب الليموناده

لتناولها إلى حسام لكي يقدمها إليه..ووقع نظرها عليهو تبادلا النظرات وعرف كل منهما الآخر وارتعشت يدها فوقع الكوب على الأرض فانتفضت وارتجفت وأسرعت لتختفي بينما جمع حسام فتات الزجاج وهو يقول . . او لم أقل لك لابد من فحصك للضعف الذى يستبد بك أحيانا وقال الطبيب إذا سمحت انا على استعداد بعد أن اكتب لك روشته المريض . . . فما اسمه ؟ وماسنه ؟ وقبل أن يجيب حسام سمع والده يناديه فقدم للطبيب مقعدا فى الردهه قائلا . . عن اذنك دقيقة واحده وسمع أمه تقول من المطبخ لقدأعددت الليموناده ياحسام فتعال خذها لكيلا تقع فقال حسام للدكتور أو لم اقل لك انها فى حاجه إلى الفحص أرجو أن تقنعها بضرورة ذلك فقال الطبيب وهو يحاول أن يتمالك نفسه لابد أن توافق دون أى تأثير لكى تكون طبيعية لأن ذلك يساعد على نجاح التشخيص فعاد حسام أرجو احضار الليموناده بنفسك وأراد أن يقول أبي ينادى ولكنه أحجم وقال . لأرى ماذا يريد . ووقع نظر الطبيب على صورته مع مسرة وحسام وهو صغير معلقة فى إطار ثمين أمام مرآة بالصالة فغض الطرف وقام من مجلسه ليجلس بعيدا عنها فاذا به يقترب من باب المريض ويسمع فايد يقول لابنه إن هذا الطبيب يذكرنى بزواج أملك فقاطعه حسام قل والدى الروحى فانى مازلت استشعر نحوه بشعور الابوة فعاد يقول . انه يشبهه تماما رغم تقدم السن وكأنه لم يزل يحتفظ بحيويته وشبابه اليس هو الذى انقذ حياتى فى المستشفى لم أكن اتبينه يومئذ جيدا لكننى استطيع أن اؤكد إنه هو فقال حسام . . اجل هو طبيب ممتاز وعقب حسام هب انه الدكتور مؤنس والدى الروحى ايسوءك هذا ؟ فقال الوالد . . بالعكس ولكم اتمنى أن يكون هو لأقبل اليد التى منحتنى العافية بدل أن تمنحنى السم لتثأر منى على الأقل فقال وهل تنتظر من الملاك أن يفعل غير ما فعل فردد الوالد . أى والله انه ملاك الآن أعترف وبودى لوأسجل ذلك على حسابى . . وانتصب الطبيب بعد أن انتهى من تناول الليموناده دون أن يتكلم إذ قدمت

له — مسرة — الكوب فى هدوء وانسحبت بعد أن رمقته بنظرة خاطفة إذ خيل إليها أن الدموع توشك أن تنهمر . . . ودخل الطبيب على المريض لأخذ بيانات الروشتة وإن كان فى قرارة نفسه أراد أن ينصرف لكيلا يزداد انفعاله الداخلى وسأل عن اسم المريض وقبل ان يجيب حسام الذى امتقع وجهه وبدا الارتباك عليه أجاب فايد وذكر اسمه ولم يبد الطبيب دهشة المفأجاة إذ كان يخامره الشك منذ رآه فى المستشفى وكاد الشك يكون يقينا عندما رآه هذه المرة ولكنه عمد إلى التجاهل تمشيا مع رغبة حسام ومسرة كما ظن وتحول عنهما راجيا له الصحة وطول العمر ولكن المريض استوقفه وسأل يسرنى أن أتشرف بمعرفة اسم الدكتور فابتسم الطبيب وقال يمكنك قراءة الاسم على الروشتة فقال فايد . . نظرى مازال متعبا فقال الطبيب : . مؤنس . . فاعتدل المريض فى جلسته وكأن العافية عاودته وخاطب ابنه أولم أقل لك : : لقد صدق حسى واستوقف الطبيب وسأله ألم تعرفنى يادكتور إلى هذا الحد تغيرت ورغم إيمان الدكتور بأنه هو ولكنه قال . لم اتشرف من قبل بمعرفتك فقال المريض ولكننى ذكرت اسمى قال الطبيب عشرات أسماء المرضى مرت على بهذا الاسم قال المريض . : انافايد . . زوج مسرة . . قال الطبيب وقد تماسك نفسه . : عوفيت وسلمت وتحول عنه ليخرج مسرعا بعد أن حيا حسام وأردف : : لقد تحسنت صحته . . طمئن الهانم زوجته وانا فى الخدمة دائما : . وفى طريقه إلى الخارج كانت مسرة واقفة فى ردهه على أمل أن يحييها أثناء انصرافه على الأقل ولكنه قال وهو يمر بها دون أن يصافحها طمئنى ياهانم لقد زال الخطر عن زوجك : : وأسرع دون أن يصغى إليها وهى تقول . : . . خدعك ظنك يادكتور وأسرعت إلى غرفتها كالمحمومة لاتدرى كيف تبعد عن خاطره ذلك . :

عندما يغفر الله

وهو أعلم الناس بدخيلة نفسها ومدى كراهيتها لفايد . . تحول فايد من شيطان آدمى إلى إنسان صوفى وراح يفكر تفكيرا جديا فى التكفير عما أصاب مسرة فى ماضيها وفهم من تعليق الدكتور على حديثه أنه ظن أنها عادت إليه ووجد نفسه مسوقا إلى جلاد ضميره ولا سبيل أمامه إلا أن يترك نفسه تحت حبل مشنقته اللامرئية ولم يجد وسيلة لانقاذ مسرة من هذه التهمة إلا الابتعاد عنها لغير رجعة مضحيا بولده فى سبيل إسعادها فيما تبقى من عمرها وسيجد ولده بجوارها ما يغنيه عنه ولن يفقد لفراقه حنان الأب فإنه لم يزل يحب الدكتور كما لاحظ أن الدكتور لم يزل يغمره بعطفه وحنانه ويعامله معاملة الوالد لابنه وعليه بجانب ذلك أن يكفر عن خطيئته نحو أنسجام الذى تركها حامل على وشك الوضع ولم تحاول ان تلاحقه مطاردة اياه بعد خروجه من السجن لتضع حلا لمشكلاتها كأم بعد ان طلقها وكان اقتصد من مصروفه اليومى الخاص الذى خصصه له ولده مبلغا لا يستهان به وصح عزمه على الذهاب الى انسجام ليسترضيها وليعرف مصير الجنين الذى تركه فى أحشائها وقد يطيب له المقام بجوارها موقنا بأنه سيجد عندها الحنان النسوى الذى افتقده منذ تخلى عنها وبدأت أخيلة جميلة ترافقه وهو فى الطريق إليها مستعيداً ذكريات الماضى وما تحملته من آلام وحرمان من أجله غير ملولة ولا ضجرة يراوده أمل بسام يلتمع فى خاطره يتحقق بلقائها ولما بلغ مسكنها الذى كان يعرفه وجد فيه سكان غيرهم وعلم من الجيران إنها تركت لهم عنوانها ولكن عندما ذهبوا لزيارتها إذ كانت جارة طيبة لاتتردد فى خدمة الجيران ومساعدتهم اتضح أنه غير صحيح ولما أحس بالتعب يعاوده عاد إلى المخبز ليقضى بعض الوقت ريثما يسترد قوته ثم يستأنف البحث عنها وأثناء استراحته سمع صوت مشادة داخل المخبز وبعد التحرى لمعرفة السبب علم أن صبيا من موزعى الخبز على

المنازل مدينا للمخبز بمبلغ استجراره لحساب أسرة لم تسدد المبلغ ويأبى المسئول فى المخبز تسليمه الخبز الا بعد سداد المبلغ ويترفق — فايد — بالصبى مشفقا عليه محاولا استدراجه للتأكد من صحة هذا الدين وبان فى حديث الصبى الصدق فى لهجته وهو يقول : سيدة كانت تأخذ منه وتدفع له دائما حساب كل شهر دون مراوغة مع (البقشيش له) وقد مرضت ووعدت بتسديد المبلغ بعد شفائها عندما تغادر المنزل اذ ليس معها غير ابنتها ..وهز الصبى رأسه كأنه رجل يقدر آلام الغير قائلا بلهجة تفوق سنه .. لازم الواحد منا يكون فى قلبه شفقة انا انسان ولست حجرا .. وتأثر فايد — بانسانية الصبى واثنى عليه وحول الدين عليه ثم سأله عن اسم السيدة وعنوانها ليرسل لها الخبز على حسابه الخاص ريثما تتعافى فأجابه الصبى — أنسجام — الممرضة — ولم يكد فايد يسمع اسمها حتى أزداد تعلقه بالصبى وراح يتحدث اليه ليستطلع اخبارها وبعد معرفة عنوانها خرج مسرعا وبوده لو يركب طائرة وليس فى مقدوره أن يركب تاكسى لأنها تقطن فى زقاق يتفرع من حارة ضيقة يصعب على التاكسى الدخول فيها ولو فرض وكان من الممكن دخول التاكسى فسوف يرفض السائق لأننا أصبحنا فى زمن يتخير فيه السائق الطرق وفق مزاجه لا وفق رغبة الراكب . . وبعد المعاناه التى أشعرته بالتعب اذ الطريق المؤدى الى البيت غير ممهد ومياه المجارى حولتها الى برك ومستنقعات عليها طبقة من الناموس والميكروبات تكفى لقتل مئات السكان وروائح العفونة تخنق انفاس الماره ولو طال بهم المقام لاصابهم ميكروب الكوليرا ولفت نظر فايد بيوت سكان الحى التى تشير إلى فقرهم وبؤسهم وأدرك سبب إهمال البلدية لهذا الحى فلو كان من الشوارع التى يقطن فيها أصحاب الجاه والثراء والمسئولية لتحولت هذه الشوارع إلى جنة فيحاء وتنهد فى تحسر مغمغما مناجيا نفسه بغير صوت يارب السماء . . خلقت الكل من طين . . ووحدت بين العقاب والثواب دون أن تفرق بين مخلوق ومخلوق . . وفق شريعة السماء . . ولكنهم ابتدعوا للأرض شريعة تفرق بين طبقة وطبقة وفق ميزان المال والجاه والسلطة . . انها

تعطى من لا يحتاجون وتحرم المحتاجين فى مقدور الأثرياء الذين يقطنون. فى أى شارع أن يجعلوا منه روضة لو شاءوا ولكن الدولة توليهم اهتماما على حساب الفقراء المحتاجين لعناية الدولة ورعايتها ويلمح الناس تتجمع فى مقهى يمر به لتستمع الى خطاب الرئيس السادات . . فيجلس ريثما ينتهى الرئيس من خطابه وسرعان ما تتلاشى ثورة نفسه الناقمة على نظم المجتمع موقنا بأن الفجر بدأ فعلا ينير مصر بعد ظلامها الحالك وان العدالة الاجتماعية سوف تلغى التفرقة بين الطبقات مؤثره انصاف كل من يحسن الإنتاج ويبرز أقوى ما فى نفسه من طاقات وتسرب الى نفسه أملا مشرقا يوحى بتحقيق عدالة السماء موقنا بأن الدولة بدأت وفق توجيهات الرئيس الى العناية بشئون الفقراء وصغار العمال لترتفع بمستواهم الذهنى والخلقى ويقينا لو استطاعت الدولة أن تطهر أحياء الفقراء من القاذورات والميكروبات فسوف تتطهر تباعا نفوس هذه الطبقة وتتلاشى الأحقاد والضغائن والتفكير المنبعث من التفرقة بين مواطن ومواطن وكلاهما يتساوى أمام الدولة فى تسديد جميع الالتزامات . . وواصل سيره بنفس مطمئنة حتى وصل الى منزل انسجام وطرق الباب . . وطال الطرق واشتد على امل انها نائمة فتصحوا ولكنه لم يسمع ما يشير الى وجود احد فى الداخل واضطر أخيرا أن يسأل البقال المجاور للمسكن فأخبره أن المالك طردها لعدم تسديد الأجر مدة ثلاثة أشهر وعقب البقال . . لو عرفت ذلك قبل طردها لسددت عنها المبلغ المطلوب ولكنها تركت المسكن وانا أؤدى فريضة الحج . . لقد كانت سيدة طيبة تخدم الجميع دون أجر . . ورفع الحج وجهه الى السماء قائلا . . لطفك يارب بعبادك . . بجانبها جار يعيش على حساب الغير بوسائل السرقة والنصب والاحتيال ولا يستطيع المالك أن يطرده مع علمه بأنه لص لأنه يدفع له الاجر ولا استطيع ان ارفض بيع المطلوب له لانه يدفع الثمن أعرفت أن المال وحده هو الذى يحمى صاحبه دون اعتراض . . ولم يشأ فايد أن يطيل الحديث فى هذا الشأن اذ لا فائده فيه ريثما تكون القيم

الأخلاقية هي التي تحمى المواطن . . وأنهى البقال حديثه بقوله أن صبيه الذى ساعدها فى نقل متاعها أخبره انها ذهبت لتقيم مع والدتها .. واستراح فايد لهذا الخبر وشكر الحاج وواصل سيره إلى بيت أمها . . وبدل أن تستقبله الأم كالمعتاد لم تكن انسجام موجوده استقبلته امرأة لا يعرفها وعلم منها أن ام انسجام غادرت القاهرة منذ شهور لتعيش مع ابنها الذى سافر الى ليبيا للعمل هناك تاركة ابنتها فى البيت ويبدو أن ابنتها كانت مريضة بمرض استعصى على الأطباء علاجه فراحت تبيع أثاث بيتها لتسديد ديونها وتوفر لقمة العيش لابنتها وأخيرا اضطرت أن تترك المسكن قبل أن تجمع أجرته وخرجت بدعوى أن تستأجر غرفة فوق سطح قريب لوالدتها ولم تخبرنى مقرها مع الأسف وكنت أتمنى أن أرد لها جميلها فقد قامت على تمريضى حتى شفيت دون أجر . . جزاها الله خيرا وشفاها وعاد فايد إلى بيت مسرة مضطرا يحمل من الهم أضعاف ما كان يحمل من أجل مسرة يدب فى أوصاله مشاعر قوية نحو انسجام ورغبة ملحة تحتم عليه البحث عنها مهما كلفه الأمر من تضحية واسودت الدنيا فى ناظريه لاستحالة العثور عليها طوال هذين اليومين ولاحظ ابنه أن والده على غير ما عهده شارد الذهن زاهد فى كل شئ حتى الطعام ورجح أن يكون حرمانه من أمه هو سبب هذا العزوف فراح يمنيه بتحقيق التقريب بينهما وما عليه الا الصبر والاحتمال رغم اعتقاده فى قرارة نفسه باستحالة تحقيق هذا الأمل ولما كان فايد اقتنع اخيرا باستحالة إعادة مسرة أراد أن يضع حدا لتفكير ابنه فى هذا الأمر فصارحه بما يعانيه ويشعر به ليوفر عليه جهد التفكير فى حل هذه المشكلة واستجمع شجاعته وسرد عليه قصته مع انسجام ولكى يبرئ نفسه من وصمة ما علق بها بسببه أخذ على عاتقه ضرورة انقاذها من محنتها ولو تطلب الأمر أن يعمل أى عمل يدر عليه ربحا يعولها به اذ لا شك أن أمه سوف تثور وتغضب عندما تعرف ذلك وتأثر حسام لأبيه وأشفق على انسجام وأحس بأنه مسئول معه من أجل اخته وأخذ على عاتقه أن يبحث عنهما مهما

كلفه البحث من مشقة وعناء وتضحية ليهون عن أبيه جهد البحث ومعاناة التفكير ورغم الحاح والده راجيا منه ألا يولى الأمر اهتماما لكيلا يتعطل عن دراسته وخشية إيلام والدته لكن حسام أكد له حرصه على الدراسة والبحث عنهما وقت فراغه ولما اختلى حسام بوالدته صارحها بما أفضى به والده وتأهب حسام للدفاع عن والده وانسجام وابنتها عندما تثور ولكنها استمعت إليه في هدوء وأناة وأشفقت على انسجام موقنة أنها ضحية من ضحاياه ولا شأن لها فيما قدمت يداه وزاد عطفها عليها عندما علمت إنها أنجبت منه بنتا وهنأت حسام بأخته مؤكدة له أن مشاعر الأخت الحانية لا تقل عن مشاعر الأم وهي المعين الذى يرتوى منه إذا نضب الحنان من قلوب من حوله بعد وفاة الأم وأوصته بها خيرا . . وازداد حسام بوصية أمه وتوجيهها رغبة في البحث عن انسجام وابنتها في أوقات فراغه مستعينا بمعلومات والده التي ظلت تعلق بذهنه للاتصال بالممرضات اللاتى كانت تعمل معهن ومعارفها دون جدوى بينما ظل والده حليف السهد والأرق يتمنى لو تدور عجله الأيام بأقصى سرعتها ليهتدى إليها إن كانت واقفه عند نهاية هذه الأيام وأراد ابنه أن يخفف من حدة تفكيره ويزيح عنه كابوس اليأس فسأله إذا جمع القدر بين أمى وانسجام وسألك أيهما تختار ؟ وأطرق قايلا إذ لم يكن يتوقع هذا السؤال كما لم يفكر من قبل أو يحاول التفكير فيه ثم أطرق لا يدرى ماذا يقول فضحك ابنه وهو يقول أهذه مشكلة تحتاج للتفكير المفروض أن يجيب قلبك فورا فرفع الوالد رأسه ونظر لابنه وهو يقول . . إذا صح هذا وهو لن يحدث مطلقاً لأن أمك تعتد بحبها إلى أقصى حد وتعتد بكرامتها مضحية في سبيلها بحياتها إن تطلبت الكرامة ولذلك سأختار طبعاً من لم تزل تحبنى ولم تتخذ بدلى بديلا وضحك ليبادل ابنه الدعابة ثم قال علك أردت أن تستدرجنى في لباقة إن كنت سأرد انسجام لعصمتى أو مجرد رغبه في لقائها . . إطمئن ياولدى أن أختك في حاجة إلى رعايتى وأمها فى حاجة إلى حمايتها والكفاح لاعادة الحياة الكريمة إليها وأعتقد أن سبب مرضها تفكيرها في ابنتها ومصيرها فإذا

اطمأنت لا شك أن الصحة تعود اليها . . أما أنت فلم تعد فى حاجة الى فقد اصبحت شابا مكتمل النضج والرجولة ويمكن الاعتماد عليك فى كل مهام والفضل لأمك التى عرفت انشائك نشأة استقلالية سليمة بعيدة عن العوج والغرور فعرفت كيف تسلك الطريق المستقيم وفق تعاليم الدين والحمد لله .

ولقد ضحت أمك بزوجها من أجلك قبل ان تعرف انك ابنها والدم الذى يسرى فى شرايينك هو الذى دفعها إلى ذلك من حيث لا تدرى وأنا اعرف أن الآلام تعانيها المسكينة . انها فدائية ياولدى وما بها الآن ليس التهاب أعصابها كما يقول الطبيب أو كما تظن هى . . بل هى حمى عواطفها الكمينة حمى الصراع القائم فى نفسها بين عاطفتين عاطفة الزوج تركته غصبا وعاطفة ولد تؤثره نفسها ويسيطر على هاتين العاطفتين الخوف من الوحدة المقبلة . . إن كل يوم يمر بك ويدنيك من ضرورة اختيار الفتاة لتكون زوجتك بعد ان تحبها طبعا وسوف يتطلب هذا الحب والزواج ضرورة البعد عن امك مضطرا مدة تؤنسها بعد قد تقصر أو تطول انت الآن لا تدرى مايصوره خيال الوحدة الموحشة قد تكون مخيفة ومزعجة . . أنها تفكر منذ الآن فى اليوم الذى تفرح فيه بزواجك وهى تعلم أن ميلاد حب إمرأه أخرى فى قلبك قد يكتسح حبك لها ولو إلى حد — وهنا تحداه حسام لا لا ياأبى إن حب امى أقوى من أى حب يحتمل أن يتسلل إلى قلبى . . إننى أعبدها بعز الله ودمعت عيناه وبحرارة الصدق أردف حبى لها أقوى من حبى لنفسى وأنا على استعداد أن اضحى بنفسى من أجلها فمسح الوالد رأسه بيديه ليباركه وهو يقول أرجو ذلك ياولدى وبهذا الحب وحده تصنع المعجزات فحب الأم ياحسام هو الذى يصنع المعجزات لوعاشت امى حتى باكورة شبابى لصنعت منى هذا الصانع ولا اكتمك أن حب أمك الذى سيطر على بعد لقائك عندها هو الذى مدنى بالقوة والاحتمال بعد أن نفذت قوتى وأعاد فى أوصالى ماء الحياة وردنى الى الله . . . ولمح تاريخ النتيجة المعلقة أمامه فهز

رأسه لتذكره أمرا وسأل أبنه أتعرف ميلاد أمك . . فقال الولد فى لهفة تصور أنى حريص على الاحتفال به هذا العام رغم معارضتها . . ونظر الى النتيجة إنه غداً شكراً لك ياأبى كدت أنسى أذكر أن والدى الدكتور كان يحتفل به احتفالا لا مثيل له فى احتفالات الميلاد كأنها أبنته الوحيده وليست زوجة وقاطعه فايد . . أتعرف أن تصميمك على الاعتراف له يادكتور كوالد يثلج صدرى ويشعرنى بأنك ولد بار يقدر الجميل فقال حسام لو كان له ولد لما أهتم به أكثر من اهتمامه بى طوال عمرى فكيف أقابل الجميل بالعقوق . . أننى عندما اناديه — بابا — أشعر أن جوانحه تهتز وتنفرج أساريره إذا كان مقطباً كأن النداء قبلة حارة تطبعها أمى على ثغره . . وكم أنا سعيد بأبوته فخور بها سعيد بأبوتك لأنها أعادت إليك الحياة والى الطمأنينة والقدرة على خدمتك والعمل على مايرضى الله . . وهنا انتصب الوالد واقفاً وقال أرجو أن تسمح لى بمغادره المنزل لكى تفسح صدرها إلى استقبال ميلادها بقربك وقرب وتنهد على مضض وهو يقول . . . الدكتور . . . فاجئها بالحفل دون مقدمات وفكر فى توطيد حياتها المقبلة منذ الآن وتأمينها ضد الوحده والوحشة القاتلة وقاطعه الولد فى إصرار لابد أن تحضر الحفل معنا فقال الوالد بلهجة الأسى . . إن أمك موسوعة ذكريات إذا رأتنى سأعتذر سيطوف بخيالها ذكريات فى حسبانها أسوأ ذكريات ميلادها . . . بسببى سامحنى الله ثم أطرق خجلا ليجفف الدموع التى طفرت من عينيه بالرغم منه وقال بلهجة حزينة . . أنا الآخر لا أريد أن اذكر هذا اليوم . . لقد كان بداية فراقنا وانتصب واقفاً قائلا بصوت الملتاع دعنى اخرج ياولدى تعالى إلى فى المخبز عندما يتسع وقتك لأراك وغدا ستعرف أننى كنت على صواب وخضع حسام لمشيئة والده بعد طول جدال مضطراً وليقينه بأن وجوده حقاً يثير شجون أمه فلاتحظى بالبهجة التى يريدأن تنعم بها كما يريد وبعد انصراف والده خلا بنفسه يفكر فيما يجب عمله ليجعل من هذا العيد ميلاداً جديداً لسعادتها المقبلة راجياً من الله

أن يجعل حياتها المقبلة مشرقة بسامة وانتهى تفكيره الى قرار أراد ان يفاجئ به أمه ليسعد به قلبها بعد طول حرمان وقام فى التو لينفذ ما اعتزم عليه وفى اليوم التالى لاحظت الأم أن ابنها بمعاونة الخادم ينسقان البيت تنسيقاً جديداً مع تجميل الصالون والردهة بالورود والأزهار وأقام صورة عرسها مع الدكتور مع الشموع والورود ثم هيأ المائدة على طريقة احتفال أمه بعيد ميلاده فلما سألته أمه عن سبب ذلك قال إنه دعا بعض أصحابه لتناول الشاى عنده بمناسبة نجاحه وقد حال مرض والده فايد دون الوفاء بالعهد وقد حانت الفرصة لتنفيذ ذلك قبل دخول الكلية وأخذت عليه عدم تكليفها ونحته لتقوم بباقى الإعداد رغم انحرافها ولكنها قاومت لكيلا تشوه سرور ولدها ولكن التوعك كان أقوى من المقاومة فبان عليها الشحوب والإعياء رغم تماسكها ولاحظ عليها ذلك فأقبل عليها يداعبها ويناغيها كأنها حبيبة قلبه ناسيا أن إيقاد الشموع أمام صورة عرسها أعادت إليها ذكريات ميلاد زواجها السعيد ونسيت نفسها وراحت تنظر إلى وجه الدكتور الذى يشيع منه النور على ورق الصورة كأنه مجسم امامها وشاع وجهها ولم يدر ولدها أن ميلاد زواجهما كان يوم ميلادها ورمقها ولدها بجانب عينيه من بعيد ولم يشأ أن يبعد عن خاطرها جمال تخيل هذا اليوم ولو عرف أن هذا الميلاد كان فاتحة آمالها ومناط حياتها ومر شريط الذكريات يحمل سحابة قاتمة دفعت الدموع من عينيها وعندما لاحظ حسام ذلك أقبل عليها يهدهدها كما كانت تهدهده وهو صغير ويغمرها بقبلاته حتى إذا استردت قدرتها على مبادلة ابنها البشر والسرور انتهز الفرصة وقال لها لقد نسيت أن أخبرك بأننى دعوت — بابا — الدكتور — فنظرت إليه فى دهشة فاستطرد. أنا سعيد بأبوته ومدين له بحياتين حياتى فهو الذى ساعدك حتى صرت هكذا وحياة أبى حيث رد إليه الصحة والأمل بعد اليأس والمرض وأعتقد أنه من حقه أن يشاركنا فرحة هذا اليوم فنظرت إليه تتفرس خفايا تلك المشاعر

ولاح على وجهها انشراح قلبها وقالت : جميل أن تقدر الجميل ياحبيبى ولكن أخشى أن يعتذر لأن صدره يضيق بهذه المناسبات إذ لايملك وقته إلا لماما . . . . فأجابها اطمئنى سأعرف أحمله على قبول الدعوة فأظهرت ارتياحها ببسمة مشرقة ولم تتكلم وتركها حسام تشرف على ماتبقى من إعداد الحفل بعد أن لاحظ انها استعادت نشاطها بشكل ملحوظ واعتمد على الله وذهب إليه فى عيادته متظاهراً بالحزن والاضطراب وظن الدكتور أن والده أصيب بسوء فسأله كيف حال والدك الآن ؟ هل هو متعب فقال حسام إنه بخير والحمد لله والفضل لك فعقب الدكتور الفضل لله ياولدى. إذن ماذا حدث فقال أمى واليوم كما تعلم . . على ماأظن عيد ميلادها وقد أعدت الاحتفال به دون أن أشعرها وأرجو أن تحضر كأننى دعوتك مع زملائى احتفالا بنجاحى وسكت حسام عندما لاحظ انعكاسات حديثه على وجه الطبيب تجهم لذكر مرضها وأشرق لذكر ميلادها أطرق مايا كأنه يستعيد ذكرى هذا اليوم وبصوت هادىء فيه رجفة الأسى قال : أجل اليوم عيد ميلادها وابتسم فى مرارة مردفا ياللانسان من غدر الدهر . . تصور ياولدى كان فى نيتنا أن نحتفل به هذا العام فى الحجاز أثناء تأدية فريضة الحج وغامت عيناه بالدموع فوارى وجهه لكيلا يراه حسام متمتما . . تشدنا الأمانى إلى السماء وتجذبنا تقلبات الأيام إلى الأرض ويصمت ليتنفس الصعداء . . ثم يطرق كأن للذكرى خشوعا يتصل بالله ويتطلب الحمد والصلاة وكان لابد أن يطمئن حسام على قبوله فقال . . نحن فى انتظارك — يابابا — وهز النداء مشاعر الدكتور فلم يعلق وحسام يردف مهمتك أن تطمئنا على صحتها وتشعرها بأنها غير مريضة وكل ماتشعر به انحراف من تقلبات الجو فاغتصب الدكتور بسمة قائلا المفروض ألا تشعر بأى انحراف مادمت أنت بجوارها وقد جمع الله بينها وبين والدك فايد وأنت قادر على أن تجعل حياتهما سعيدة هانئة فقاطعه حسام . . . قد تكون سعيدة حقاً بى ولكن لاتنس أن المرأة فى حاجة دائما إلى الحب وخصوصا حب من يحبها وأمى تحبك

— يابابا — ولا أحسبك ألا مبادلا إياها هذا الشعور رغم ماحدث فقاطعه الدكتور بصوت تموج نبراته الأنات .. أرجوك يالدى الكلام فى هذا الآن لايجدى لقد انتهى ماكان بيننا لغير رجعه ويبدو أن ذلك كان مقدرا بدليل انى لم أعرف انك ولدها الاعندما جئت لعيادة خالك ثم اتضح انه والدك ولا أكتمك انى حمدت الله اذ ايقنت انكما قادرين على أن تزيلا عنها عيش الوحده وتبددا ذكريات الماضى إن كان لم يزل فى ذهنها مايسمح لطواف هذه الذكريات.. فقاطعه حسام بلهجة التأكيد وقد تكون سعيدة بقربى لكن سعادتها منقوصة لفراقك .. صدقنى ياأبى .. لقد خبرت أمى جيدا وأدركت كمين عواطفها .. أنا حاضرها وانت ماضيها وحاضرها ومستقبلها وذهل الدكتور لهذا المنطق ونظر إليه مأخوذا متأملا خلجاته وقد لمس بصدقه عميق صدره فقال بنبرة الأسى والقنوط لم يعد لى وجود فى حياتكم ياولدى وفهم حسام مايعنيه فقال : خدعك ظنك ياأبى ..صدقنى ..

لقد خرج أبى فايد من بيتنا لغير رجعهخرج بعد أن أيقنأن لامكان له فى قلب أمىوأنك لم تزل تعيش فى قلبها ولا أكتمك انى حاولت جهدى أن أقنعها بالعودة إليه لأعيد إليه الأمل ليعمل عملا يضئ بهجانبا من وطنه ولكن تعلقها بك وقف حاجزا بينه وبينها وعرفت منها إنها أغلقت قلبها عليك ولقد علمتنى فيما علمتنى أن قيمة الإنسان فيما يعمل عملا يصعب على الآخرين القيام به وعودتك إلى أمى هو أعظم عمل أقوم به من أجل إسعادها وسعادتك كما أعتقد إنك بالنسبةلىأبىو بالنسبة إليها زوجها ولن تتم سعادتنا الابأكتمال وحدتنا .. وطوقه الدكتور بذراعيه مقبلا وجهه فى حرارة قائلا : ياولدى الحبيب لقد أثبت إن البنوة لاترتبط بالدم وحسب ... ولكن بتلقيح ماهو انقى من الدم .. فقد يكون دم الأب أو دم الأم فاسدا : فلا ينتفع به انتاجهما بل قد يكون كالسم يقضى عليه .. ويشهد الله انى لفخلك فقاطعه حسام .. بأسمى العواطف وانبل المثل وذلك ما أعتز به وهو ذخيرتى مدى الحياة .. وصارحه الدكتور بأنه اليوم انتشله من أعماق بحر لاقرار

له بعد أن ظل غريقا طوال مدة الفراق : وسرح بذهنه لحظة ثم أردفه
ولكن والدك فى حاجة إلى الرعاية فقال حسام سأكون بجانبه دائما والله
يتولاه برعايته وعلى كل حال أرجو الله أن يوفقنى لتحقيق أمله الذى يرجوه
وإذا تحقق سوف تعرفه فقال الطبيب أنا على استعداد لمعاونتك ماديا
وأدبيا واعتمد على الله ومن أجلك ياولدى سأحضر وقطع عليهما الحديث
دخول الممرضة لتذكره بالكشف على المريضة المتعبة وخرج الطبيب
بعد أن استبقاه ريثما يعود وبدأ حسام يستروح نسمات الطمأنينة لنجاحه فى
مهمته وراح يطالع بعض المجلات المودعه على المكتب ولفت نظره صورة
أمه مودعة بين صفحات مجلة يبدو أنه كان يقرأها فى هذا اليوم ومد يده
ليقبل الصورة ثم تراجع عندما دخل الطبيب وفى أثرة فتاة ناضرة المحيا رغم
ضمور وجهها وأثر الحزن العميق البادى فى عينها . ووقفت تنتظر الروشتة
التى بدأ يكتبها الدكتور وهو يقول لماذا لم تأت إلى منذ بدأت تشعر بالألم
وهى تعرفنى جيدا لقد عملت معى انسجام مدة غير قصيرة يوم كنت فى
مستشفى الدمرداش وكانت تتردد على فى عيادتى الخاصة كلما ألم بها أى.
انحراف .. على كل حال اطمئنى ياوجيده وحتى أهيء لها مكانا فى عيادتى
أحضرى لها هذا الدواء الآن واختفى برهة ثم عاد ليقدم إليها مظروفا وهو
يقول . .بالمظروف الروشتة وقد وضعتها فى المظروف خشية أن تفقد مناك.
وأين تقيم الآن لكى أمر عليها بعد يومين إن شاء الله ذكرت له الفتاة.
العنوان وقبل ان تنصرف سألها أظنها فى إجازة مرضية الآن فأجابته
الفتاة على أثر انتهاء اجازتها المرضية كلها فصلتها المستشفى إذ كان
المرض طال حتى مضى عليها عاما وعندما ما أرادت العودة إلى العمل
قالوا لها لاتسمح الميزانية بزيادة الممرضات ووعدها بدعوتها إذا احتاجوا
إليها وكانت صحتها تحسنت إلى حد فخيل إليها أنها تستطيع أن تعمل بممرضة حرة.
.ونسيت أنها فى دور النقاهة فراحت تعمل ليل نهار لكى توفر لى تكاليف الدراسة

ولم أكد التحق بكلية التجارة وعاودها المرض فاضطررت إلى ترك الكلية والتحقت بإحدى المؤسسات بوسيطة زوجة رجل سبق لوالدتى تمريضها إذ لابد أن أضحى فى سبيلها كما ضحت فى سبيلى وبدا الاشفاق باديا على وجه الطبيب فقال بصوت ينم على الرثاء والأسف . . مسكينه لقد كانت ممرضة ممتازة وأبدى استعداده بعد شفائها بقبولها ممرضة فى عيادته الخاصة أوصى الفتاة بضرورة مواصلة تعليمها بانتساب معتمده على الله وعليه فشكرته الفتاة وقالت لقد حدثتنى والدتى كثيرا عن مروءتك وانسانيتك فقاطعها .. من اعتمد على الله لا يخيب أمله واتصل بسائق سيارته وامره ان يوصلها إلى بيتها وعندما همت بالانصراف سألها حسام وكان التأثر ملك عليه حسه .. واين والدك فقالت توفى وأنا طفلة فعقب الدكتور عوضها الله بك خيرا ومر بذهن حسام حديث والده ووجد اسم الزوجه كما ذكره انسجام ولها بنت ودون تردد ودع الطبيب رغم رغبته فى استبقائه ريثما ينتهى من العيادة ولكنه اعتذر بدعوى شراء بعض اللوازم وافترقا على أن يلتقيا فى المساء وخرج مسرعا وركب تاكسى يتبع عربة الدكتور فلما دخلت الفتاة مسكنهما المتواضع . طرق الباب وإذا برجل عليه سمه الشراسه يفتح الباب ولم يتوقع حسام وجود رجل فاضطرب ولكنه تشجع وقال : الست انسجام الممرضة هنا فقال الرجل بنبرة جافه .. هب أنها موجودة ماذا تريد ؟ فقال حسام والدتى مريضة وتريد أخذ حقنه فأغلق الباب فى وجهه بعنف وهو يسب ويلعن وترامى إلى مسمع حسام إتهام الفتاة بأنها شجعت الشاب على توصيلها ليعرف البيت لكى يحضر أثناء تغيبه ودفعت الابنه عن نفسها وراحت الام بلهجة المحمومة تلعن الأيام التى ربطتها به وكان سببا فى مرضها وتعاستها ويضطر حسام تحت تأثير رغبة خفية إلى الانتظار على مقهى عند ناصية الشارع متخذا زاوية تسمح له برؤية الخارج من منزل انسجام ومضى الوقت وبدا الليل يطوق الكون بغلالته الرقيقة السوداء

وايقن حسام انه لافائده من الانتظار فى هذه الليلة وقد يكون الدكتور فى طريقه إلى البيت ومضى فى طريق عودته وأثناء مسيره لمح الرجل يسير مسرعا امامه كانه على ميعاد وخلفه رجلان يتهامسان احدهما يقول للآخر . هذا الجبان العاطل يعيش على حساب فتاة صغيره ابنة زوجته لقد اوهمها قبل الزواج انه من الاثرياء وبعد ان تزوجته اتضح انه يتاجر بالزوجات فهذه الزوجه الرابعة عشر وكلهن من العاملات ويدهش رفيقه ويتساءل كيف تزوج هذا العدد فيجيبه يتزوج مدرسة مثلا أوعاملة فى إحدى الشركات ويساعده على اغراء الفتاه قدرته على تمثيل دور المحب الولهان وبجانب عنايته الفائقة بمظهره وعيب فتاة العصر انها تقيم الرجل بمظهره وهو يتصيد بأسلوبه الشيق الرجل الطيب الكريم فاذا انس الرجل اليه استعار عربته بدعوى ان زوجته مريضة ويريد ان ينقلها إلى بلدتها لتكون تحت رعاية أمها وبوسيطة العربة والزى الفاخر الذى اغتصب ثمنه من زوجته يتزوج الفتاه التى راقبها وعرف اتجاه تفكيرها المادى وتأثرها بمظهر الرجل ويتحايل لدعوتها على فنجان شاى او وجبة غذاء فى قصر الوجيه الذى تعرف عليه ويدعى ان له نصيبا فى هذا القصر قد ورثه عن والده وهكذا يتحايل بأساليب مختلفة لاقتناص الزوجات ويسكت مرددا : لطفك اللهم بعبادك بينما يقهقه رفيقه ساخرا قائلا : يالله كأن السيارة والفيلا والملابس الفاخرة جواز المرور لتحصل على قلب الفتاه فيعقب محدثه .. بالضبط عند الفتيات التافهات اللاتى يعتقدن أن قيمة الرجل فيما يبدو من مظهره ويتساءل رفيقه ماذا تفعل المنكوبة اذا اكتشفت أمره بعد الزواج فيجيبه .. طبعا تطلب الطلاق وهنا على ارادته تدفع له مبلغا من المال بجانب تنازلها عن حقوقها الشرعية [ولكن شأن زوجته المريضة هذه كما تقول غير السابقات لأن ابنتها هى التى تعولها وتعوله بالتبعية فيقول أن مرتب البنت يكفى بالكاد لسداد التزامات البيت الضرورية هذا اذا ترك لها مبلغا من المال وهو لا يترك معتمدا على عملها الاضافى فى احدى المكاتب التجارية بعد الظهر ويسكت عندما

يبلغ متجرا فيدلف إليه مستأذنا من رفيقه لشراء بعض اللــوازم ولا يدرى حسام كيف اندفع بحماسة قاهرة إلى العودة لمنزل انسجام دون تهيب ويطرق الباب كأنه على ميعاد وتصعق وحيدة عندما تفتح الباب وتجده أمامها وتنظر إليه فى ذعر وقد امتد بصرها خلفه خشية أن يكون زوج أمها عاد وبصوت مرتجف تقول .. أما يكفيك ما حدث أتريد أن تكون قتيلا الليلة ؟ وتجد نفسها أمامه فى الغرفة دون أن تقاوم دخوله أو تطرده مستغيثة بالجيران ويغلق الباب دون تعليق ويتجه صوب أمها والفتاة تنظر إلى أمها فى هلع وقبل أن تتكلم الأم التى أخرستها المفاجأة يقول لها حسام .. عندى لك حديث هام وتنتفض الأم كأنها تنبهت من نوم عميق وبصوت ضعيف متكسر تقول .. خير إن شاء الله وتنظر إليه فإذا بلمحاته تشد قلبها شدا وتقول لابنتها بصوت هامس اغلقى الباب من الداخل وقدمى له الكرسى ليستريح إذ يبدو أنه مجهد وهو شاب طيب كما يبدو ولا أحسبه يفكر فى إيذائنا وارقبى الشارع فإذا لمحت الرجل قادما من بعيد نبهينا لكيلا يؤذيه ولا يسع الإبنه إلا الطاعة وهى تنظر إليها لتستزيدها إيضاحا ويدرك حسام ذلك فيقول للأم .. أتعرفين رجلا اسمه فايد وتهلع الأم ولكنها تشعر بانتفاضة مريحة فتقول لابنتها التى ظلت واقفة ترقب التغير الذى طرأ على وجه أمها ولكى تطمئنها تقول لها هذا الرجل كنت أقوم على تمريض زوجته وهو الذى توسط لى لكى أعود للعمل فى المستشفى بعد شفائى منذ أعوام طوال وتنسحب الأبنة مطمئنة إلى صدق أمها لكى تراقب الرجل ولما تشعر بابتعاد ابنتها تسأله .. أجل أعرفه وقد سافر إلى السعودية منذ أعوام فهل تراه مازال حيا وتتنهد المريضة وتدمع عيناها وهى تقول .. ذهبت إليه آخر مرة فقيل لى لقد أفرج عنه وسألت عنه فى كل مكان أعلم أنه يرتاده فلم أجده فقال حسام .. إننى موفد من عنده لقد بحث عنك كثيرا متتبعا تنقلاتك من منزل إلى منزل .. فانتفضت جوانحها وارتعشت مفاصلها وتصلبت عيناها عليه وهى تغمغم وأين هو لينقذ ابنته

من براثن هذا الذئب . . أنا لا آبه لنفسى فإنى فى طريق النهاية على عجل لكن الذى يزيد من وجيعتى ومرضى قلقى على ابنتى إن التفكير فى مصيرها بعد موتى يزيد من علتى التى تتسرب إلى قلبى فى غير بطء .. ما أسوأ حظى وما أتعس ابنتى بسببى فدبرنى بالله ماذا أفعل لأضمن مستقبل ابنتى بعد موتى وفهم مرماها .. فسرد عليها معاناة فايد من أجل الحصول عليها وعلى ابنتها وكيف هو اهتدى إليهما بطريق الصدفة عندما كان عند الطبيب ولا شك ان الله سبحانه وتعالى اراد إنقاذكما فاطمئنى وهنا جذبت يده لتقبلها ولكنه سحب يدها محاولاً أن يكرر ما يبعث الطمأنينة والأمل البسام إلى قلبها وهى تصغى إليه دامعة ثم قالت .. إنك رسول الخير ياولدى وبشير السعد لابنتى لقد صنعت معجزة إن كان حقا ما تقول فقال ستعرفين أكثر مما يؤكد سعادتك أو سعادة ابنتك المقبلة إن شاء الله وسكت عندما لاحظ أنها استغرقت فى تفكير عميق أضفى على وجهها نقابا من الجهامة وبدا فى عينيها بريق الحيرة والخوف والقلق فحركت شفتاها لتتكلم ولكن اللوعه أخرستها فأدرك ما يجول بذهنها فقال .. لا تحملى هم الرجل الذى معك سنعرف كيف نخلصك منه فاغتصبت بسمة مريرة وقد انتشلها من تفكيرها وقالت بصوت حزين يائس إنك لا تعرفه . . إن جشعه المادى لا حد قال : هذا لا يهم .. إن مشكلة المال أسهل المشاكل مادام ميسورا .. قالت ..

لن يغفر لى فايد زواجى ويعلم الله أننى قضيت طوال هذه السنين أبحث عنه على أمل أن يعود من اجل ابنته .. وعندما أخبرنى صديق له من أقرب الناس إليه أنه هاجر إلى السعودية تائبا إلى الله ليقضى ما تبقى من عمره بجانب الرسول عليه الصلاة والسلام اتصلت بالسفارة السعودية وفى نيتى أن ألحق به مع ابنتى ولكن السفارة أكدت لى أن الاسم ممنوع من دخول السعودية بعد أن رحلته السفارة المصرية من هناك مكبلا بالقيد .. وعدت أبحث عنه ولما عيل صبرى ارتضيت بنصيبى ونصيب ابنتى وهنا دخلت

ابنتها لتنظر إليها محذرة خشية من عودة الرجل فأشار إليها لتجلس بجانبه ولكنها جلست بجانب أمها وهى تنظر إليه فى حذر فقال وعلى شفتيه بسمة مطمئنة لو عرفت سبب مجيئى الآن لاطمأننت إلى ومر بذهن الفتاة أنه جاء لخطبتها وأدركت أمها ما يجول بخاطرها وهى تنظر إليها فقالت فعلا ياوحيدة واستطرد حسام قائلا .. تعلمين أن والدك توفى فدمعت عينى الفتاة وغمغمت ليت الله مد فى عمره من أجل أمى وأجلى فلم يكن لنا فى الحياة سواه أو ليتنى مت قبله لكيلا تعانى أمى ما عانت من أجلى فاستطرد حسام لقد قيل إنه استشهد فى حرب سنة ١٩٥٦ ولكن الذى حدث أن إسرائيل أخذته أسيرا فلما انتصرنا فى حرب ٦ أكتوبر عاد والدك مع الأسرى وانتفضت الفتاة وطوقت عنق أمها من شدة الفرح وهى تقول .. أبى .. حى أصحيح هذا ؟ فاستطرد حسام .. وستريه حالا وسكت ليتنفس الصعداء كأنه ألقى عن عاتقه حملا ثقيلا كان ينوء بحمله وكادت الفتاة ترتمى عليه لتقبله من شدة الفرح لولا أنها تداركت نفسها وقالت بصوت منغم بالفرح والابتهاج شاعرة بأنها انتشلت من بحر عميق غرقت فيه طويلا وكادت تشرف على الهلاك .. لقد أعدت الحياة إلينا والأمل المشرق فكيف نجزيك ونشكرك..قال حسبى سعادتكما فعقبت الأم وهى موقنة بأنه يعمل ذلك من أجل خطبة الفتاة وانتصب واقفا وهو يقول .. سأحضر تاكسى فاستعدا لتذهبا إليه لكى يتدبر فى مصيركما وإنقاذكما وأسرعت فى ارتداء ملابسها فى حين استوقفته الوالدة لتسأله أصحيح ما قلت .. كان أسيرا .. ولكنى أعلم أنه لم يحارب سنة ١٩٥٦ فقال حسام لقداسعفتنى البديهة لتلفيق ذلك لأبرىء والدها من وصمة الغدر بك والحمد لله إنها اقتنعت وسرعان ما حملهما فى تاكسى إلى والده فى الغرفة التى استأجرها بجانب المخبز وفوجىء فايد بابنه يرافق سيدة ضامرة مريضة توشك أن تقع على الأرض من شدة ضعفها وهزالها معتمدة على ذراع ابنتها وقال له .. لقد خطبت هذه الفتاة فأرجو أن تسمح لهما بتمضية الليل عندك ريثما أهيىء فرصة لمفاتحة والدتى ثم أرافقهما

غدا لمقابلتها وكانت الطمأنينة ردت الحياة بحرارة الشباب إلى وجه الفتاة فبان متوردا جميلا وغض الوالد نظره عن رؤية المريضة عاكفا على التسبيح والاستغفار قائلا لابنه .. اذهب لأمك لقد تأخرت ياولدى ولاشك أنها قلقة عليك خصوصا فى مثل هذا اليوم ألم أقل لك من قبل يوم يتفتح قلبك للحب .. ستنسى .. ولم يدعه ابنه يتم كلامه فعقب .. لا ياأبى ستغفر لى أمى تأخرى عندما تعرف السبب وتركهم مسرعا إلى منزل أمه ولقيته وعلى وجهها مسحة من مظهر العتب واللوم لتأخره دون ان تتكلم ولم تشأ أن تنبه المدعوين والمدعوات من زملائه اللاتى دعاهم إلى الحفل واستطاع أن ينفرد بها بعض لحظات ليسر إليها بما حدث فزاد إشراقها وبدأ جمالها كأنها فى سن العشرين وتأخر مقدم الدكتور فاعتقد حسام أنه أحجم لأمر لايدريه ولما اتصل به تليفونيا علم أنه اضطر إلى التأخير لعيادة مريض وهو فى الطريق إليه كما أخبره الممرض..وعلى أثر مقدم الدكتور بعد أنلعب القلق والشك بقلب مسرة إذ خشيت أن يعتذر بسبب مرضاه . . قدمه حسام إلى زملائه وكان لفت نظر والدته أن تقابله وتعامله دون أن تشعر الزملاء بأن بينهما جفوة وخلى بالدكتور بعض لحظات وسرد عليه ما حدث منذ تركه حتى عودته لأمه واستأذنه فى التغيب بعض الوقت لكى يحضر فايد وانسجام وابنتها راجيا منه أن يقابلهم ويعاملهم معاملة رب البيت لضيوفه وأدار آلة التسجيل على الموسيقى الراقصة لكيلا يشعر الرفاق بتغيبه وأسرع إلى فايد وعندما سأل عنه الرفاق قالت مسرة .. لقد ذهب ليحضر قريبة لنا مريضة لكى يرفه عنها ولأول مرة فى تاريخ حياة فايد يجالس امرأة وفتاة دون ان ينظر إليهما أو يتحدث ليعرف على الأقل كيف تعرف ابنه على تلك الفتاه التى سحرت لبه وعندما عاد حسام .. ابتسم فايد وهو ينظر اليه بلهجة فهم ابنه مرماها عدت وتركت أمك وهى فى أشد الحاجة إليك الآن .. فقبله ثانية وقال جئت لأرافقك مع خطيبتى وأمها إلى الحفل لتشعر والدتى أنك راضى عن هذه الخطبة .. وبدت الأم حائرة لاتدرى تفسيرا لهذا الموقف المريب

ومن هذا الشيخ الرابض كأنه فى محراب يتعبد .. إن ملامحه تذكرها بفايد.
ونظر حسام إلى كل منهم متفرسا ثم قال .. أعتقد أن كل منكم يتساءل..م
نهاية هذا الموقف .. وقد حان الوقت ليعرفوا .. وقدم فايد إليهما قائلا .
السيد .. فايد الذى حولته المعركة بعد خروجه من إسرائيل .. صوفيا ..
ردهشت انسجام وألجمت المفاجأة لسانها ونظرت إلى فايد مغمغمة
ايمكن هذا ؟ .. وقدم انسجام اليه . . . هذه السيده انسجام وتلك ابنتها وحيده
وترك والده مأخوذا لا يدرى ماذا يقول .. ثم أردف .. لقد حضرت لمرافقتكم
لحضور حفل ميلاد أمى .. واتجه لأبيه قائلا . لاتسلنى الآن كيف اهتديت
فهى قصة تحتاج لوقت وهناك سوف أخلو بك وأسردها عليك .. وهناك
قابلت مسرة لاول مرة — فايد بالترحاب وبغير كلفة وقابلت انسجام مع
إبداء عطفها وشفقتها مقبلة ابنتها وحيدة وأبدى الدكتور ارتياحه إلى انسجام
لتحسن صحتها بسرعة إلى حد يبدو كأنها غير مريضة وخيل لانسجام
أن حسام ابن مسرة من الدكتور لانه لم يشر فأبدت لها اغتباطها وهنأتها
على ابنها لما يمتاز به من شباب ناضر ومثالية رفيعة موقنة بأنها وافقت على
زواج ابنها من ابنتها لما أظهرته من مشاعر الرضا واستقبالهم فى غير ضجر
او تبرم وانتهز الطبيب فرصة انهماك الشباب فى الرقص وتحدث إلى مسرة
بعيداً عن الموجودين معتذرا عما بدر منه معللاً سوء تصرفه يوم تخلى عنها
من فرط حبه والحب لا يخلو من الغيرة والأثره مهما سمت روح المحب
وارتفع بمثاليته إلى مصاف الملائكة المنزهين وطال بهما الحديث كل منهما
يصور للآخر ما قاساه فى أيام الفراق من وحشة ولوعة وضنى وبينما هما
يتناجيان لمحت — وحيدة — بين المدعوات طالبه كانت معها فى مستهل العام
الدراسى بالكلية قبل أن تتركها عندما اشتد المرض بأمها لكى تعمل وكانت
هذه الطالبة تغار منها لاجتهادها ومنافستها فى حب طالب معهما كان يغازل
كل منهما على انفرادٍ ويشعرها أنها عروس أحلامه وما هو الإ ساخر لاهى
لأنه مرتبط بابنةٍ عمه منذ الطفولة ولكنه يحاول أن يساير أسلوب العصر

الموبوء بما انتقل إليه من مساوئ الغرب حيث يسعى كل شاب أن يتعرف على أكثر من فتاة ليباهي بمغامراته الغرامية وتعلق الفتيات به كما تفخر الفتاة أمام لداتها بأنها حلوة مغرية يتبارى الفتيان للحصول على قلبها وكل فتى وفتاة فى هذا العصر مشدود إلى أوهام لا صلة لها بالواقع الذى يتحتم أن يركز تفكيره عليه للمساهمة فى بناء مجتمع صالح جديد بالانتساب إلى العروبة الكريمة وكان حسام إلى هذه اللحظة لم يظهر لانسجام وابنتها أن فايد والده لكيلا يقحم نفسه فى سر قصته منذ ولدته أمه على مسمع من وحيدة التى لا تعلم شيئا كما حرص فايد ألا يشعرها أو يشعر زملاء حسام بأنه والده اذ المعروف فى الوسط العلمى أنه ابن الدكتور ولم يشأ أن يشوه حسام فى نظر زملائه : :

ووجدت وحيدة — الفرصة سانحة لتنتقم من غريمتها فى الحب الاول الذى ولى منذ خروجها من الكلية وشجعها على هذا الانتقام تقرب هذه الزملية إلى حسام ومحادثته بأسلوب العذارى المراهقات اللاتى يحسبن أن النظرة الساحرة والكلمة الناعمة والحركة الرشيقة والهمسة المثيرة .. كل ذلك يكفى لإيقاظ الحب فى القلب الذى لم يتفتح لنسمات سحره ولو عرفت العذارى أن الحب لا يتطلب غير الصدق فى كل شيء .. الصدق فى المظهر وفى الكلام وفى المشاعر المهم أن تكون الفتاة بسيطة المظهر معبرة عن عواطفها فى صراحة وبراءة واضحة المشاعر فى غير ابتذال أكثر تأثيرا فى الرجل بصدقها من فتاة تصطنع الجمال والدلال والرشاقة والمعرفة على أن حسام رغم المحاولة التى بذلتها الزميلة لتنبه مشاعره وتدنيه منها كان منصرفا عنها بتفكيره فى تحليل تلك المواقف الماثلة امامه فوالده الذى قهر شيطانه أخيرا بفضل قوة إيمانه وأمه الحبيبة التى تحدت الآلام ومرارة الحرمان بقوة الإيمان وشدته أخته إليها عن بعد فرأى الفرحة تغمرها سعيدة بلقاء أبيها وهى ترقبه خلسة يتحدث إلى أمها وقد ظهرا كعاشقين تقدم بهما السن ولايزالان يحتفظان بحبهما الوفير واشرق وجهها اشراق

نفسها متناسية ما مر بها من أيام قاسية عانت خلالها مع أمها آلام الحرمان والأسى .. وشعر حسام بغبطة روحية هائلة لأنه مصدر هذه السعادة التي شملت أمه وزوجها ووالده وزوجته واخته وراح يلاطف ويداعب مدعويه وزميلاته يلتففن حوله كأنه النور وهن الفراشات كل ترفرف حوله بعطرها وأنوثتها .. ولكنه في الواقع كان متلهيا عنهن بالنظر إلى أبيه الذي ترك الجماعة واعتزل بعيدا عن الهرج والضجيج وأقبل عليه قائلا .. فيم تفكر يا أبي أتفكر في مصير ابنتك التي أصبحت عروسا تغري العين على التطلع إليها .. اطمئن أري زميلا لي يرقبها بإعجاب أكيد وأنا أعرفه شاب مكتمل الرجولة قوى الإيمان لا يألف الاستهتار والمجون .. فدع أمرها لي والله يتولاك وزوجك برعايته واستشعر الوالد بغبطة ولده فنظر إليه معقبا .. أنا سعيد بك وبها ياولدى وسكت مليا ليرمقه في زهو وإعجاب مردفا أنت بدر هذا الحفل وها هي النجوم تلاحقك وإن كانت في الواقع زهور ناضرة فأى الزهور بلغ أريجها قلبك؟ ويطرق حسام خجلا ثم يطوف ببصره حواليه فإذا وجد الكل لاه عنهما بالموسيقى والدعابة والطرب قال لابيه في الواقع لايشغلني الآن إلا تركيز سعادتك وزوجك وابنتك وسعادة أمي وزوجها فابتلع فايد لهاثه وقال بصوت مرتجف النبرات يتسم بالحزن والأسى كنت أتمنى أن تعيش بين أبويك فاستحال الامل لقاطعه ابنه لاراد لقضاء الله والخير فيما يريده الله وتنفس فايد تنفس المستريح قائلا .. حمداالله فلطالما ركبت مطايا الامل وارتفعت به فوق هامات الرجاء على أجنحة الشيطان والسفاه وضللت في متاهات التفكير فقاطعه حسام .. أى تفكير يا أبي فقال الوالد .. التفكير فيما قدر على الإنسان أن يكون وهل هذا القدر منبثق من خير نفسه أم من شرها فأجابه ولده بصوت مكتمل اليقين والإيمان كان لابد أن تدفع الضريبة لتنتصر على الشيطان فأحمد الله الذى رفعك إلى مصاف الأطهار خلى القلب من الدنس والأهواء واتجه الوالد بتأثير هذه اللمسة

الروحية نحو الله وردد وهذا حسبي وراح يستغفر الله ويكبره على نغمات موسيقى المذياع كأنه حفل ذكر موسيقى وتجلى حب حسام فجذب يده وقبلها قائلا بارك الله فيك وحفظك لنا من كل سوء وتحول عنه ملبيا نداء أمه فلما أقبل عليها نظرت إليه لتستمتع بشبابه الغض وحيويته الرائعه واتزانه المحبب وسألته بلهجة الدعابة ترى أى الزميلات أعجبتك ياحسام فأجابها فى أدب وحياء أتراك ملتنى فقاطعه الدكتور سنة الحياة ياولدى نريد أن نفرح بك ونطمئن عليك فقال حسام . . . يوم اوفق إلى الفتاة التى تماثلك شكلا وخلقا وتفهما لواجبات الزوجة والأم صبورة حكيمة تتخذ من المحن والآلام منفذا للقوة والإيمان فربت الدكتور على خده معجبا به قائلا نعم الاختيار ياولدى . . وفقت وبوركت وأثناء جديثهما دارت مسرة بعينيها تجوب المدعوين وسألت ابنها أين انسجام فأجابها : لقد استأذنت لتعود إلى بيتها قبل مقدم زوجها .. قالت مسرة أسلمتها المبلغ المطلوب؟ قال أجل ولذلك خرجت مسرعة يتم كل شئ بأذن الله ولمح والده يتسلل فى هدوء فأدرك أنه لم يستطع صبرا ويريد أن يلحق بها ليطمئن . وعزفت الموسيقى وساد الجميع جو الطرب مصحوبا بالرقص . . ومر الوقت حتى كاد الليل ينسحب لولا بقية فيه تنبه المدعوين إلى ضرورة العودة إلى منازلهم ليستريح أهل البيت .. وانصرفوا تباعا وتقدم حسام إلى والده الدكتور قائلا وهو يتأهب للانصراف . . سأتركك الليلة تنصرف لترتب شئون عرسكما غدا وسيكون الحفل على حسابى فقاطعه الدكتور على أن يسبق الرقص والغناء فقاطعته مسرة بتلاوة الذكر الحكيم إن شاء الله وأقبلت انسجام تجر ساقيها فى إعياء وكانت ابنتها تؤدى فريضة العشاء فلما سمعت مسرة تقول . . أهلا انسجام وعقب حسام ألم يلحق بك وأسرعت ابنتها إليها متسائلة فى لهفة أين أبى ؟ فقالت بصوت من فرط البكاء لايظهر . . أبيك . . أبيك . . وتلعثمت وارتعشت شفتاها وانهمرت دموعها ففزعت ابنتها وقالت : لقد لحق بك هل أصابه الرجل بسوء فسكتت ولم تحر جوابا وارتمت على الأرض فاقدة الوعى وبعد أن أسعفها الدكتور تكلمت وهى

تجاهد نفسها وتلملم كلماتها . . قبل أن أدخل بيتى سمعته ينادينى فاضطررت أن أتوقف لأثنيه عن اللحاق بى خشية أن يراه الرجل فيسىء إليه وأقنعته بالتراجع والتريث وتابعت خطاى ولم أكد أبلغ بيتى حتى وجدت الرجل فى انتظارى وخشيت أن يكون لمحنا ونحن نتكلم فى الطريق ولكن هدوءه وسؤاله بلهجة لا يشوبها الحنق أين كنت لم يبعث الخوف أو الشك فى نفسى فقلت له أن وحيده أصيبت بمغص حاد وقد ذهبنا إلى المستشفى وتركتها تحت العلاج وعدت من أجلك ولأول مره يبتسم دون إبداء الشك فيم قلت ثم حادثته بشأن الطلاق وقلت له إننى ذهبت إلى أمى حيث علمت أنها عادت من عند أخى وقد اقترضت منها المبلغ الذى طلبته فى مقابل تنازلى عن ميراثى فى البيت الذى تركه والدى فى الصعيد ودون تعليق مد يده فناولته المبلغ قائلة .... هيا إذن إلى المأذون وليكن الطلاق على حسابى ولم يكد يتسلمه حتى سألنى من هذا الرجل الذى كان يسامرك فى الطريق قلت لا أعرفه.. لقد سألنى عندما مررت به عن رجل يقطن فى هذا الشارع لا أعرفه قال فى هدوء وغير إكتراث . . ربما ثم تركنى وهو يقول .. من الأفضل أن يحضر المأذون هنا .. وعلى أثر خروجه نظرت من النافذه لأرى — فايد — هل عاد ادراجه أم ما زال واقفا على الناصية فراعنى أنه كما تركته وقف يرقب بيتى وملكنى الرعب عندما رأيت الرجل يخاطبه ثم رافقه وعاد به إلى البيت ودخل يخاطبنى فى غير اكتراث لو لم يكن لابد لك من تمضيه شهور العدة لعقد المأذون عليك بعد أن أطلقك فورا وشئت أن أنفى معرفتى به خوفا عليه فقلت ما هذا الهراء .. وراح فايد ينظر اليه دهشا وإلى متسائلا دون كلام وإن كانت نظراته تنم عن سؤاله .. هل يعلم شيئا وفى لمح البصر اخرج السكين من رباط بطنه وهو يقول تستطيعا ان تقضيا شهر العسل فى القبر ورفع يده ليغمد السكين فى صدر فايد ودون وعى وقفت بينهما لأحمى فايد قائلة اقتلنى اذا شئت ولكن فايد ابعدنى وقام بينهما صراع كل منهما يريد

أن يقضى على الآخر والسكين تنتقل من يد الرجل إلى يد فايد : ثم انتهى الصراع بقتلهما وصرخت وحيدة أبى .... أبى ... ووضع حسام وجهه بين يديه صارخا بصوت مخنوق .... أبى ... أبى

وزاغ بصر انسجام ونظرت إلى حسام دهشة مرددة .... أبيك .... أبيك :

وتقدمت منها مسرة قائلة .. أجل أنه ابنى يا انسجام وإبنه الذى غاب ثم عاد وغمغمت وحيدة في أسف ومرارة وحزن بالغ .. أخى .. حسام أخى ولا أدرى وتحول الحفل إلى مأتم ومالت مسرة على انسجام تواسيها وتعزيها وبينما الجميع خاشعين لرهبة الموت سمعوا طرقا على الباب .

وهرعت الخادم لتفتح الباب وارتفع صوتها فى فرح وهى تقول سيدى فايد والتف الجميع حوله مبهورين وراح يقص عليهم كيف تخلص من الموت لقد طعن خصمه فى قلبه وطعنه الخصم بطعنة استطاع أن يتحاشى تصويبها إلى قلبه ولكنه أوهمه أنها أصابت قلبه فأردته صريعا واعتقد الرجل إننى مت فحاول الفرار وخرج إلى الشارع كالحيوان المذبوح فى آخر أنفاسه وعقبت انسجام حمدالله لولا ظلام الليل الحالك لاكتشف أمرنا . . ولاحظ الدكتور نزيف جرحه فأسرع بمعاونة ابنه إلى تضميد الجرح ريثما يحمله إلى عيادته ....

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رئيس مجلس الادارة

رقم الإيداع بدار الكتب/١٩٣٢/١٩٨٠

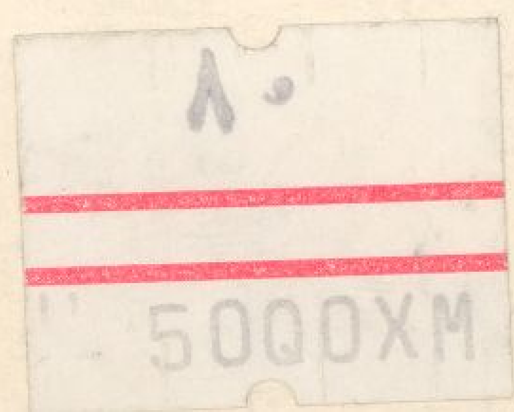
الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية
١١٦٦٧-١٩٨٠-١٠٠٠

جمهورية مصر العربية

مطبوعات
المجلس الأعلى للثقافة

- ٢٤٧ -

القاهرة
الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية
١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م.



٨٩
50QOXM